

ثم أبصرت الحقيقة

تأليف

محمد الخضر

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ

دار الإحياء
للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة ٥٦٦٦هـ



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لمراسلة المؤلف

alboshra1975@hotmail.com

رقم الإيداع

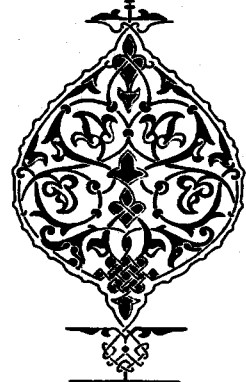
٢٠٠٦/١٦٥٤٥

الترقيم الدولي

977-331-438 -3

دار الأمان، ١٩٨٧ شارع جليل الجياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

للطبع والنشر والتوزيع



إهداء

الى رسول الله الذي أنار الله به حياتي ...
الى أهل بيته الأطهار وصحابته الكرام الذين ظلمهم الأوثان
وقصّر في حقهم أهل الأهواء ...
الى أبي الذي لم تمنلني عيناك بالنظر اليه قبل رحيله ...
الى أمي جبل العطاء وعنوان التضحية وبيع السموخ ...
الى كل مسلم يحب الحقيقة ولا يرضى باستغلال الدين ولا
بالباطنية القبيحة ...
الى هؤلاء جميعاً أهدي كتابي هذا ... راجياً من الله أن
يلهمني الإخلاص ويميزني عليه حسن الثواب.

مقدمة

لا أدري أترى وريقاتي هذه فجراً تشرق بعده أم تبقى حبيسة الدفتر فأحرم أجراها وبركتها...

لقد مرت عليّ السنون وأنا أقلب صفحات الكتب .. أتفكر وأتساءل .. أقرأ وأدوّن .. أضيف وأحو .. حتى مرّت عليّ سنوات عجاف أملت عليّ أن تبقى خواطري وأفكاري بعيدة عن القلم الذي يدوّنها ويصيغها ويسبك عباراتها.

فكنت أتصفح كل يوم ما دَوّنته في دفترتي لعل الله الفتح العليم يفتح عليّ قلبي فتحاً تميش به مشاعري وتتوقد فيه أفكاري فأسل قلمي من غمده وأسطر ما أختزنه حافظتي بالأرجحية التي ينبغي أن أسطرها به.

ثم شاء الله تعالى أن تتجمع لدي الخواطر من جديد ويسيل حبر القلم على الورق ليسطر لك أيها القارئ هذه الكلمات.

فهذه رسالة نسجتها لك الورود، عنوانها المحبة وموضوعها طلب الحقيقة.

فالحقيقة اليوم ومنذ زمن بعيد باتت حبيسة التعصب والإدعاء .. وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تُقر لهم بذلك.

وأحسب أن كتابي هذا سيُرضي أقواماً ويسخط آخرين، شأنه شأن الحقيقة المجردة ترضي الباحثين المتجردين وتُسخط المتعصبين المنحازين.

لكني على يقين من أن الكلمة الحرة التي لا تعرف الزيف هي شمعة تضيء أبداً .. فإن كُتب لي أن أعادى فإن الحق الذي أناضل من أجله سيتصر لي ولو بعد حين.

خطوات إلى الأمام

(ينبغي من كل مكلف أن يطرح العصبية ويصحح
النية ويستعمل النظر بالفطرة التي فطر الله
الناس عليها ولا يقدم عليها ما لقنه أهل مذهبه)

ابن الوزير

الوحدة التي نريد ..

ننادي بالوحدة فلا نجني إلا الفقرة، ونشدد الاجتماع فلا نجني إلا الشتات.

ها نحن نزرع الشوك فلا نحصد إلا الألم ... ونشتكي من عمق جراحات الأمة ونحن السكين التي تقطع أوصالها.

كأي مسلم .. حُق لي أن أتجسر على تاريخ عظيم وبطولات وتضحيات قادتنا بالأمس إلى الرفعة فتناسيناها وما عدنا نذكرها إلا في كتبنا المدرسية أو مسابقاتنا الرمضانية أو وسائلنا الإعلامية كمسلسلات وتمثيلات هي إلى تشويه التاريخ والرموز أقرب منها إلى النطق بالحقيقة.

حُق لي أن أتحسر على همم عالية تربت في أحضان الإسلام فأخرجت لنا جهابذة الناس على مر التاريخ وفي شتى الميادين، لكنها اليوم في التراب ولا تعيش إلا على الفتات الذي يرميه لها الغرب.

نعم .. حُق لي ولك أن نحزن لهذا وأن نستحث إيماننا وهمتنا وعاطفتنا لنعود من جديد.

لقد كانت عيناى تتطلعان إلى الوحدة ... تترقبان اليوم الذي تنكشف فيه عن الأمة الغمة ...

تمنيت لو أن بيدي أن أجمع هذا الشتات .. وأن أحل عقدة لم يجرو أهل الإسلام على حلها حتى الآن ..

لكن صوتي كان ضعيفاً .. تماماً كإدراكي لأسباب هذه الفقرة ... كنت عاطفياً جداً .. أريد لوضع الأمة أن يتغير بغمضة عين .. كأن الفقرة والاختلاف على قضايا هامشية يُمكن أن تُهمش وأن تُطرح في جنبات الطريق.

كبرت وكبر معي هذا الهم .. وبت أدرك ما لم أدركه من قبل .. وبت أتساءل عن الوحدة التي نتكلم عنها ونتطلع إليها .. أهى الوحدة الصورية التي نعيشها للحظة ونفقدتها طوال العمر أم تلك التي تضمن لبياننا البقاء متماسكاً وصلباً أمام التحديات؟

أهي الوحدة التي تكون مبنية على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أم تلك التي تكون على حساب كتاب الله وسنة نبيه ؟!

وكنيت أستحضر أمامي دائماً علاقتنا مع أهل الكتاب الذين أنزل الله عليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل، لما انحرفوا عن دين أنبيائهم جاء الإسلام مصححاً لما ورثوه من الضلال، داعياً إياهم إلى تصحيح المسار وإلى الاندماج في لواء الحق، فلم يرتض ما هم عليه من الضلال بحجة أنهم أتباع أنبياء بل دعاهم إلى المصارحة مع النفس وإلى عرض عقائدهم على وحي السماء.

فللوحدة مقاييس شرعية . . . وإذا أراد المتسبون إلى الإسلام من شتى الفرق الاتحاد مع بعضهم البعض فلا بد أن تكون الوحدة على عقيدة الإسلام الذي جاء بها محمد ﷺ لا على عقائد شتى لا تمت للإسلام بصلة.

وتأمل قول الله عز وجل للمؤمنين ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِء فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَلَوْا فِتْنًا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسَبَكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) وتأمل سيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه، ففيها العبرة والعظة.

ففي زمن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كانت فئة ممن تتلبس بلباس الإسلام وتنطق بالشهادتين نطقاً دون أن تعيش معنى تلك الشهادتين في حياتها . . . كانت لتلك الفئة من يستمع لها من المؤمنين إحساناً للظن بها، فقال الله عز وجل ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِئَكُم سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢)

كننا نغفل عن هذه الحقيقة أو نتغافل عنها فنجعل عواطفنا هي الحكم، ولإسلام هو التابع لهذه العواطف . . .

(١) سورة البقرة آية ١٣٧

(٢) سورة التوبة آية ٤٧

دين موروث ..

لو وُلدت في منطقة (النجف) أو (القطيف) فإنك حتماً ستكون شيعياً اثني عشري، لأن البيئة التي نشأت بها هي بيئة شيعية وأبواك بلا شك كذلك شئت أم أبيت، والحال معك كذلك لو أنك وُلدت في (القصيم)، فإنك حتماً ستكون سنياً، لأن البيئة والأسرة أملت عليك ذلك.

لكن أترى الحق فيما تحدده لنا بيتتنا؟ أم بما يعرفه المرء من دلائل وبراهين.

حاول أن تتفكر إن كنت سنياً بزميل شيعي اثني عشري يُكثر جدالك ومحاجتك ويتهمك بالنصب ويغض أهل البيت، لو أن هذا الشيعي وُلد لأبوين سنين وفي بلد سني، ألا ترى أنه سيكون أول من يساندك ويشد على عضديك وربما يتحمس للرد على الشيعة الاثني عشرية أكثر منك!، في حين أنه اليوم أشد الناس جدالاً لك وعصبية في حوارك؟

ألا ترى أننا بنينا قناعاتنا الدينية من منطلق ما وجدنا عليه آباءنا لا من منطلق التجرد للحق واتباعه؟

وأن حديث (يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ينطبق أحياناً على قناعاتنا المذهبية؟

الدين والمذهب بالنسبة لكثير من المسلمين اليوم كأثاث المنزل أو كالأموال والأراضي .. ورثوه عن آبائهم وأجدادهم .. وهم على خطاهم سائرون .. هذا إن لم يكن الدين في حياتهم أقل من الدينار والدرهم ومتاع الدنيا الزائل.

بالأمس كانت الأمم السابقة المكذبة للرسول تجابه الحق الذي جاءت به الرسل قائلة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٣). فكان جواب الرسول ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ حَتَّٰمُ الْوَعْدِ لَا يَأْتِيهِمُ الْغِيَاثُ يَوْمَ هُمْ كَاٰبَتُهُمْ﴾ (٤).

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فكان رد هؤلاء المتعصبين لباطلهم، الجاهلين لحقيقة أمرهم هو ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾!

المشهد يتكرر، لكن ليس بين رسل الله وبين قوم كفار وثنيين، وإنما بين كلمة حق وبين متعصبين ألفوا ما وجدوا عليه آباءهم، فردوا الحق وتشبثوا بالباطل.

وللأمير الصنعاني رحمه الله كلمات جميلة في هذا المعنى يقول فيها: (ولتقدم قبل المقصود أصلاً مهماً وهو أن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن الكفار بأن نظرهم مقصور على اتباع الآباء في كتابه العزيز في غير آية عاياً عليهم ذلك، مثل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠) (٤)، ﴿قَالَ مُرْقُومًا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَانْتِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) (٥)، ﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ﴾ (٦)، أي ليس لهم مستند سوى ذلك ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧)، ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ (٨)، فهم في جميع الآيات قاصرون نظرهم على اتباع الآباء لحسن الظن بهم حتى صار ذلك عادة لهم بل فخراً يعيرون به من خالفهم!!

ويضربون به المثل حتى سموا محمداً ﷺ ابن أبي كبشة، لأنه عبد ما لم يعبد آباؤه كما عبد أبو كبشة الشعري، وحتى ذكروا بذلك أبا طالب وهو في طريق الموت وقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! ولذلك خص الأبوين في الأخبار عن تغيير الفطرة "وإنما يهودانه أو

(٤) سورة البقرة آية ١٧٠

(٥) سورة الزخرف آية ٢٣

(٦) سورة هود آية ١٠٩

(٧) سورة الشعراء آية ٧٤

(٨) سورة يونس آية ٧٨

ينصرانه" ولذلك مقت الله الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وفتر رسول الله ﷺ بأنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه، كما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه. فمن عقل وأنصف فلي نظر إلى جميع بني آدم في القديم والحديث في الملل الكفرية ثم المذاهب الإسلامية!، بعد إخراجه للأنبياء صلى الله عليهم ومن سار على سيرتهم من السابقين والتابعين وقليل ما هم بالنظر إلى الخليفة، فإنه يجد الناس تبعاً لما ألفوه من اتباع الآباء بمجرد تقليد وهوى ومحبة للجمود على دين الآباء!!^(٩)

وفي أنفسكم أفلا تبصرون ..

كم من مبصر لا يُبصر؟
 كم من مبصر لا يستطيع أن يبصر نفسه التي بين جنبيه؟
 لقد جاء القرآن الكريم ليوقظ الأذهان من سباتها العميق ... ليدعو الناس للتفكير في أنفسهم ومعتقداتهم.
 فمنهم من استجاب وتفكر ووصل إلى الحقيقة، وهؤلاء قد أدركوا ما يريده القرآن منهم.
 ومنهم من استسلم لما ورثه عن الآباء والأجداد فلا يكاد يبصر غير ما أَعَدَّه أبواه له .. سواء بسواء مع مائدة الطعام التي تعدها له والدته أو زوجته! يحسب أنه يحسن الصنع .. لكن الخيبة والخسران مآله يوم أن يكتشف السراب الذي كان يعيشه.

يقول تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ (١٠)

(٩) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ٤٥-٥٠

(١٠) سورة الكهف آية ١٠٣

يوم أن يُزال عن بصره غطاء الزيف الذي ألجم نفسه به ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢)، فأين طريق العودة؟ وأين فرصة التصحيح؟

انقطع العمل وانقطع طريق العودة للعالم .. وبقي الإنسان أمام الحقيقة التي كان في غفلة عنها.

حبك للشيء يعمي ويصم ..

هذه حقيقة لا غبار عليها ... من أحب عقيدته وفكرته عمي عن معرفة عيها حتى لا يكاد يتصور الحق في سواها.

هذا مدلول قول النبي عليه الصلاة والسلام (حبك للشيء يعمي ويصم) (١١)

وفي شرح الحديث يقول أبو الطيب محمد شمس الحق (أي يجعلك أعمى عن رؤية معائب الشيء المحبوب بحيث لا تبصر فيه عيباً ويجعلك أصم عن سماع قبحه بحيث لا تسمع فيه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك). (١٢)

وقد سئل ثعلب عن معنى الحديث فقال: يعمي العين عن النظر إلى مساويه ويصم الأذن عن سماع العدل فيه، وأنشأ يقول:

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق وأسمعت أذني فيك ما ليس يسمع (١٣)

ولكي يتحرر عقل الإنسان من الانقياد لغير الحق، ومن العمى الذي يحجبه عن الحقيقة فلا بد أن يطرح العاطفة جانباً، وأن ينظر إلى حجة الخصم وإلى برهانه ليرى الجانب الذي لربما غفل عنه ولم تبصره عيناه.

(١١) رواه أبو داود

(١٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٢٨/١٤

(١٣) أيضاً

هذا ديني وذاك مذهبي (١٤) ..

فإن سألتني عن ديني ومذهبي أجبتك بقولي: (اللهم إنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام، فمن شمله فهو صاحبي وأخي، ومن كان قدوة فيه عرفت له حقه، وشكرت له صنعه، غير غال فيه ولا مقصر، فإن استبان لي الدليل، واستتار لي السبيل، كنت غنياً عنهم في ذلك المطلب، وإن ألجأتني الضرورة إلى الرجوع إليهم وضعتهم موضع الإمارة على الحق، واقتضيت الأقرب في نفسي إلى الصواب بحسب الحادثة، بريئاً من الانتساب إلى إمام معين، يكفيني أني من المسلمين، فإن ألجأتني إلى ذلك الله، ولم يبق لي من إجابتهم بد، قلت: مسلم مؤمن، فإن مزقوا أديمي، وأكلوا لحمي، وبالفوا في الأذى، واستحلوا البذا، قلت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبِّئُكَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٥)، ﴿لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ (١٦)، وأجعلك اللهم في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، رب نجني مما فعله المفرقون لديك، وألحقني بخير القرون من حزب أمينك (١٧).

فالإسلام هو الاسم الذي أوجب الله علينا التسمي به وأمرنا أن نتشرف بالانتساب إليه فقال جل من قائل ﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٢).

وهو ملة أبينا إبراهيم والتسمية التي نادانا الله بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ أَكْبَرُ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٣)، ﴿إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾.

وقد أنكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تعصب المهاجرين والأنصار لمسمياتهم مع أن تسمياتهم شرعية قد جاء القرآن بها فكيف بمن استحدثوا ولا زالوا يستحدثون الأسماء والجماعات وما زالوا يوالون المسلم

(١٤) المراد بالمذهب هنا المذهب العقدي لا الفقهي.

(١٥) سورة القصص آية ٥٥

(١٦) سورة الشعراء آية ٥٠

(١٧) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الأبناء والمشايخ ص ٧.

ويعادونه لقربه أو بعده عن جماعتهم لا لكونه أشرك بالله أو عادى الإسلام أو ابتدع في دين الله.

ولكي نتحاور، لا بد لنا أن نتحاكم إلى الإسلام الذي عرفه الأولون وذكره القرآن ونادت به السنة، ولنطرح التعصب للشخصيات والطوائف جانباً ولنصنع للحق حيشماً كان.

ولتقرأ أيها القارئ كتابي هذا بعيني مسلم صادق يرتجي الحقيقة، لا عيني سني أو شيعي أو ناصبي يريد مني موافقته في حقه أو باطله، فإني ما كتبت ما كتبه ها هنا ترضية لأحد أو رغبة في موافقة لأحد لمجرد الموافقة بل كتبت حقائق توصلت إليها بفضل الله تعالى علي في رحلة بحث في كتب الفريقين (السنة والشيعة).

سهام رمتني وأخرى سترميني..

لا يستطيع أحد أن يدعو إلى إصلاح فكر أو ثورة على موروث باطل دون أن يُرمى بسهم أو يُجرح بكلمة.

هذا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أكرم الخلق وأتقاهم لم يسلم من بهت الباهتين وظلم الظالمين، قيل عنه كاهن .. ساحر .. مجنون .. شاعر، فمن أكون أنا وأنت حتى نستكبر أن يقال في حقنا ما هو دون ما قيل في حقه صلوات الله وسلامه عليه وهو النبي المرسل؟!

من خلال معاشتي وحواراتي مع المتعصبة من شتى الطوائف نلت الكثير من الأذى، فأعظم الأذى أن يُتهم المرء في دينه وصدق انتماؤه إليه. فلما كنت أحاور النواصب^(١٨) وأظهر حبي لأهل البيت وأرد على من

(١٨) النصب هو بغض أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وهو على درجات كما أن التشيع على درجات، فمنه النصب الذي يصل بالمرء إلى حد البغض والعداء المطلق ومنه ما يصل بالمرء إلى حد بغض بعض أهل البيت دون غيرهم من أهل البيت، ومنه النصب اليسير وهو الذي لا يصل بالمرء إلى حد البغض لكنه يصل به إلى حد تكذيب الفضائل المتفق على صحتها دون =

من يقلل من شأنهم بالأحاديث الصحيحة الثابتة أو بما عُرف من حقهم في شرع الله، قيل عني: (رافضي) !

ولما كنت أحاور الشيعة الاثني عشرية وأنتقد ما يطرحونه من غلو بأهل البيت قالوا عني: ناصبي كبير . . . فلست ناصبياً فقط بل عريق في النصب ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ولما تحاورت مع بعض المتصوفة حول غلوهم في رسول الله ﷺ مستدلاً بأحاديث صحيحة ثابتة في بيان حقه صلوات الله وسلامه عليه تدعو إلى محبته وحفظ حقه بأبي هو وأمي، من غير غلو ولا جفاء، قيل عني: مبغض لرسول الله !

وهكذا صرت بين المتعصبة جامعاً لكل النقائص.

رافضي مبغض لصحابة رسول الله ومغال في أهل البيت . . . وناصبي مبغض لأهل البيت ومغال في الصحابة .. ومبغض لرسول الله ومن باب أولى مبغض لأهل بيته ولأصحابه.

وما حصل لي حصل للإمام المقبل أكثر منه بكثير رحمه الله، ومثلي لا يقارن بمثله لا فضلاً ولا علماً ولا تضحية، فأين جهد ذاك الإمام الجيهذ من جهد المقل.

فقد تجرع رحمه الله مرارة التعصب المذهبي وناله الأذى فصبر ومضى في طريقه غير آبه للتخذييل ولا للتخدير.

حرص على إعلان تنصُّله من الإلتواء إلى أي من المذاهب الإسلامية

= أن يستند في هذا إلى أدلة سائفة من علم الدراية أو الرواية.

ولا يصح ما يدعيه البعض من أن حب أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وتوحيهم نصب، فإن هذا لهو غاية الجهل بل حُبهم إيمان وتقى، فهم المدحون المرضي عنهم بنص كتاب الله.

ولعل الله عز وجل أن يسر لي كتابة بحث في هذا الشأن، أنطرق فيه إلى مفهوم النصب ودلائله وأثاره ومن رُمي به بحق ومن رُمي به زوراً وبهتاناً حتى يقف القارئ الحر على حقيقة هذا المفهوم الذي ظلم كثيراً من أرباب الفرق المتنازعة.

والتأكيد على براءته من التعصّب لها في معظم مؤلفاته شعراً ونثراً، ومن ذلك قوله:

برئت من التمثّذ طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب
ومالي والتمثّذ وهو شيء يروح لدى المماري والمحابي
كزّس جهده ووقته لمحاربة الجمود والتعصّب الفكري، فلقني من
مقلّدي ومتعصّبي عصره أذى شديداً، وناصبوه العداء، وأنهموه بأنه ناصبي،
معادٍ لمذهب أهل البيت (المذهب الزيدي)، مما اضطره إلى بيع ممتلكاته
والرحيل بأهله إلى مكة (١٠٨٠هـ) فجاور بها وانقطع فيها للعلم والتأليف
والدعوة إلى التجديد وإشاعة روح التسامح ونبذ الفرقة والتقليد والتعصّب،
فعلا ذكره هناك وعظّم صيته بين علماء مكة والقادمين إليها من مختلف بلدان
العالم الإسلامي، وتباينت الآراء حوله بين مؤيّد ومعارض، فقد تقبّل
المنفتحون والمنصفون آراءه ووجهات نظره وأقبلوا، كما أقبلوا على اقتفاء أثره
في اجتهاده وإطراح التقليد جانباً، واعتمادهم على منهجه وأسلوب بحثه
واجتهاده، أما المتعصّبون فرفضوا إطرؤحاته وثاروا عليه، ونسبوه إلى الزندقة
لتمرّده على التقليد وعدم تمسّكه بمذهب معين، واعتماده على كتاب الله
وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم فحسب، وخاصة بعد انتشار كتابه (العلم
الشافخ في إثبات الحق على الآباء والمشائخ)، وذيله الأرواح النوافخ، لما
فيهما من النقد للمتعصّبين للأسلاف، والخط من شأن التقليد والمقلّدين،
فقال قولته المشهورة: سبحان الله .. ناصبي في صنعاء وزنديق في مكة !

وهذا هو الإمام القرطبي بدوره يحكي عن محنته مع المتعصبة فيقول:
(فقامت عليّ القيامة، وتواترت عليّ الملامة، وفوق إليّ العتاب سهامه،
ونُسبت إلى القول بأنّ الدعاء لا ينفع، ولا فائدة فيه، كما يُعزى إلى بعض
الناس بسبب أنني لم ألزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أديار الصلاة - حالة
الإمامة - .. وتارة نُسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم،
بسبب أنني لم ألزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة .. وتارة أضيف
إليّ القول بجواز القيام على الأئمة، وما أضافوه إلا من عدم ذكرهم لهم في

الخطبة .. وتارة أحمل على التزام الحرج والتنطع في الدين، وإنما حملهم على ذلك أنني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه - وإن كان شاذاً - .. وتارة نُسبت إلى معاداة أولياء الله، وسبب ذلك أنني عادت بعض الفقراء - يقصد الصوفية - المبتدعين المخالفين للسنة، المتصيين - بزعمهم - لهداية الخلق (...)(١٩).

ويعزّي الشاطبي نفسه بما أصاب العلامة ابن بطة مع أهل زمانه ناقلاً ما حكاه ابن بطة عن نفسه بقوله: (عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعتي على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له.

فإن كان صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعله أهل هذا الزمان - سماني موافقاً.

وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً. وإن ذكرت في واحد منها أنّ الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجياً.

وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشتبهاً .. وإن كان في الرؤية سماني سالمياً .. وإن كان في الإيمان سماني مرجئياً .. وإن كان في الأعمال سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً.

وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً .. وإن أجبتهما سماني باطنياً .. وإن أجبتهما بتأويل سماني أشعرياً .. وإن جحدتهما سماني معتزلياً .. إلى أن يقول (ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى ..).

نحن مع الحق وإن قاله خصومنا

مشكلة الكثير من أرباب الفرق والجماعات أنهم يريدونك نسخة منهم، تنطق بما يؤمنون به هم وآباؤهم الأولون، لا يريدون لضميرك ولعقلك أن يقول كلمته ولو على وجه التساؤل والبحث عن الحقيقة.

ومن آفاتهم النظر إلى المرء قبل النظر في قوله، يقولون: (من فلان حتى يعلمنا؟) أو (أوليس هذا الذي أخطأ في مسألة كذا وكذا) فيعممون خطأه في مسألة على كل ما يقوله من صواب، فلا يستمعون إلى حجته ولا يريدون حقاً من ورائه.

وهذه النظرة الفوقية الاستعلائية تقصم ظهر صاحبها قبل الآخرين، فمن الخاسر سواء وهو يصد الناس عن الحق ويتجنبه هو في نفسه لا لشيء إلا لعصية جاهلية ملأ بها دماغه.

والأولى بالمرء أن يطلب الحق حيث كان، وأن لا يحجبه عن الحق كونه قد أتى من خصمه.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: (فانظر إلى مناظري زمانك، كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره) وإنما ينبغي في المحاور (أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق...) (٢٠).

ولله در الإمام مالك بن أنس إذ يقول: (ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف) (٢١).

نعم والله .. إنها أزمة الإنصاف.

(٢٠) إحياء علوم الدين ١/ ٦٤

(٢١) جامع بيان العلم ١/ ١٣٢

والإمام مالك ما هنا يتحدث عن زمانه الذي انتشر فيه العلم وسادت الفضيلة فكيف بزماننا وقد قلَّ العلماء واتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلوا وأضلوا، وعم الفساد وبيعت الذمم.

ولابن تيمية كلمات جميلة في وجوب تحري المرء الحق واتباعه يقول فيها: (فإنَّ الإنسان لا يزال يطلب العلم والإيمان، فإذا تبين له من العلم ما كان خافياً عليه اتبعه، وليس هذا مذبذباً، بل هذا مهتد زاده الله هدى ... والواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق فيتبعه حيث وجدته) (٢٢)

ويقول: (وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه فيه، وترك القول الذي وضحت حجته، أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة واتباع هوى فهو مذموم) (٢٣).

فالعبارة بالحق لذاته لا بمن قاله، وعلى المسلم أن ينفض عنه غبار التعصب والتقديس لغير كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فإنَّ الناس لم يفترقوا ويزيغوا عن الهدى إلا لأمرين:

هوى متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

ولسلطان العلماء العز بن عبد السلام عبارة ذهبية يقول فيها: (ولم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين، فإنَّ أحدهم يتبع إمامه مع بُعد مذهبه عن الأدلة، مقدماً له فيما قال كأنه نبي أرسل إليه، وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الألباب) (٢٤).

وهذا الإمام الشوكاني يوجه كلامه لمتعصبي المذاهب قائلاً: (فدعوا-

(٢٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٥٢-٢٥٣

(٢٣) المصدر نفسه ٢٠/ ٢١٣-٢١٤

(٢٤) الفكر السامي للحجوي ٢٣٠

أرشدكم الله وإياي- كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالفكم وخالفكم ومتعبدكم ومتعبدكم^(٢٥).

نعم لندع التعصب المقيت، ولنحتكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

لماذا لا نتحاور؟

وإن أدت أن تعجب أكثر فاعجب من أمر مسلمي اليوم ... علمهم القرآن الحوار مع أهل الكتاب الذين شتموا الله وشتموا رسوله، وهم اليوم يستكثرون على أنفسهم الحوار مع من انتقص من هم دون الله ودون رسوله! يأتي المتعصب السني فيقول (لا حوار مع من شتم صحابة رسول الله، هؤلاء روافض لا ينبغي لنا حوارهم ولا حتى دعوتهم^(٢٦)!) ويأتي المتعصب الشيعي فيقول (هؤلاء نواصب^(٢٧) أنجاس لا ينبغي الحوار معهم!). وقد عايشت الفتيين، وأوذيت منهم أيما إيذاء.

(٢٥) فتح القدير ص ٣٥٢-٣٥٣

(٢٦) للأسف بعض هؤلاء المتعصب لا يكلف نفسه حتى دعوة من يشتم الصحابة ولا الأخذ بيده، فأني موازين للدعوة هذه؟! علينا أن نفرق بين فعل بعض السلف من عدم محاورة أهل البدع بغرض تحجيم فكرهم وعدم إعطاءهم الفرصة لنشر باطلهم على الملأ لكونهم قلة وأرباب هوى لا طلاب حق، وبين واجب الدعوة إلى الله لكل من ضل الطريق.

وعلى فرض ثبوت مخالفة أحد من السلف لما ذكرناه فإنه لا حجة في قول أحد من الناس مع وجود المنهج القرآني القويم في الحوار ومع وجود سيرة الرسول ﷺ ومنهجه في الدعوة مع الكفار وأهل الكتاب والمنافقين والأعراب فضلاً عن غيرهم، نعم من أراد المكابرة منهم لا يناقش ولا يعطى المجال لكن التعميم في الحكم هو ما نستكره.

(٢٧) لا نسلم بهذه التهمة، فالشيعية مثلاً يفضون الصحابة وكتبهم وخطباءهم وأشرطتهم تشهد بذلك وستأتي الإشارة إلى هذه الفكرة في موضعها في هذا الكتاب بإذن الله، أما أهل السنة فلا يفضون أهل البيت بل يحبونهم ويقرونهم لكنهم يفضلون أبا بكر وعمر وعثمان مثلاً على علي لأدلة شرعية عندهم، وليس في هذا بغض لعلي رضي الله عنه، ولا أقول هذا الكلام تعصباً لأحد بل هذه حقيقة معلومة لكل منصف، فالمفاضلة بين رجل ورجل لأدلة حتى لو كانت ضعيفة لا تعني بأي حال من الأحوال بغض أحدهما. والمتعصب يستطيع بكل سهولة إقناع نفسه بأنه هو وحده وكيل أهل البيت في الأرض، وأن من سواه لا يحبه ولا يعرف حقه.

فعبجاً لهذه العقول، جعلت الصحابة وأهل البيت أعظم من الله ورسوله حين تتقبل الحوار مع اليهودي والنصراني الكافر بالله ورسوله والشاتم لهما ولا تتقبل الحوار مع المخالف!

والحقيقة أننا لن نستطيع فك رموز الخلاف السني الشيعي بهذه العقول المغلقة التي لا تريد الفهم ولا التفاهم.

فإن الإمام علي بن أبي طالب وهو أحد فقهاء الصحابة الكبار عند السنة والشيعه، لم يجد حرجاً في التحاور مع الخوارج الذين كفروه، فأرسل إليهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس محاوراً، وعلي يعلم أن رسول الله ﷺ قد وصف الخوارج بأنهم (كلاب أهل النار)، فأين هؤلاء المتعصبة من الفقه والفهم لهذه المعاني الجليلة؟

نريده حواراً من أجل الحقيقة

الديكة تتصارع وتتطارح أرضاً، لأنها تؤمن بلغة العضلات، أما الإنسان العاقل فاللغة التي يرتضيها لنفسه ولمجتمعه هي لغة الحوار.

والناظر في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر والذي ابتعد في ممارساته كثيراً عن التعاليم الإسلامية القويمه، ينتابه الأسى وتعلوه المرارة، على نمط الحوار المتبع بين جميع الفئات المختلفة على جميع المستويات.

كثيرة هي الحوارات التي تجسد لنا هذا المثال، جمهور يستمع وديكان يتصارعان، كل منهما يريد الفتك بالآخر، والانتصار للرأي لا للحقيقة.

إننا لم نعود على الموضوعية والحوار والواقعية في حواراتنا وأدبياتنا ومداخلتنا، بل اعتدنا على الرؤية الأحادية التي لا تتقبل رأي الآخر ولا تفهم ما يريد، وما على الآخرين إلا أن يقولوا (آمين) ثمانين مرة، لا سيما إذا كان البعض منا في موقع يسمح له بفرض رأيه الواحد على الآخرين^(٢٨).

(٢٨) لا أدعي بكلامي هذا أن العقيدة الإسلامية صارت آراء تقبل وتُرد، وإنما القصد أن المقدس الذي تؤمن به، ليس مقدساً عند الطرف المخالف، وعليك أن تتقبل الحوار معه على هذا الأساس، أما النظرة الفوقية التي لا تريد الحوار بل تريد من الطرف المقابل الإذعان فحسب، فهذه لا تنفع للحوار وليست من الحوار في شيء.

ومثل هذه الحوارات جعجة بلا طحين .. لا يُرتجى من ورائها هداية لأحد، أو نتيجة محمودة يستفيد منها الطرفان، لأنها تفرغ مخزون آفات نعيشها في أنفسنا.

فالمظلوم عندنا يشتكي من الظالم، لأن السوط بيد الظالم .. يذكره بالله ويدعو عليه الليل والنهار، لكن سرعان ما ينقلب المظلوم ظالماً حينما يسقط السوط من يد ظالمه ويتقل إلى يده، يتناسى الرب الذي كان يخوف الناس به، فيجور على الخلق ويتزى على حقوقهم بلا رحمة.
هكذا تجلت لي صراعات المتعصبين من أهل الطوائف.

ولكي نهض من جديد كأمة إسلامية، ولكي نستطيع أن نتدارك بجدية الصدع الذي أضعف الأمة فانقسمت لأجله إلى فرق وطوائف متاحرة لا بد لنا من الإخلاص والصراحة، والرغبة في أن تكون راية الإسلام هي العليا لا راياتنا الطائفية.

ما أحوجنا اليوم إلى الإنصاف وإلى التجرد الذي بثه الإسلام في النفوس المؤمنة، التجرد للحقيقة لا للأشخاص.

ألم نقرأ قول الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٩)

فأي مسلم يرى الهدى في غير الله وغير رسوله؟! وهل يشك رب العباد أن الحق معه ومع رسوله - معاذ الله -؟!!

لكن الله يرشدنا إلى أدبيات الحوار .. إلى التجرد مع الخصم .. لا تفترض منذ البداية أنك أتيت لتملي عليه وأن عليه أن يقبل! .. إنما جعل الحوار لبيان الحق ولكشف الشبهة.

والحوار يبتدأ بالحسنى ويكون بالحسنى كما قال الله تعالى

﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
ما دام الطرف المقابل يحتفظ بأمرين:

أولهما: التأدب مع مقدسات الطرف الآخر، فلا يشتمها ولا يستطيل في الكلام بها بل يوضح موضع النقد الذي يراه بكل موضوعية وتأدب.

والثاني: طلب الحق وعدم العناد والمكابرة، فإذا وجد العناد ووجدت المكابرة استخدم مع صاحبها أسلوب ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

ولو أن حواراتنا قامت على هذا المنهج القويم الذي نادى به القرآن الكريم لكان الناس غير الناس والحال غير الحال، لكن نشكو إلى الله تعالى.

من هنا كانت البداية

فإن سألتني عن حكايتي وراودك السؤال: ما الذي أحوجني لخوض هذا المعترك؟

أجبتك بقولي: حكايتي واحدة من حكايات عاشها كثيرون غيري ...
لم أكن من فرقة وطائفة ثم انتقلت إلى أخرى بل مضيت في طريق وعر كتب الله لي فيه إِبْصَارُ الحقيقة.

نشأت في بيئة تمازج فيها السنة والشِعة، فوالدي رحمه الله من أهل السنة، وكذلك والدتي، والبيت الذي نشأت فيه والدتي منذ الصغر كانت له طبيعته الخاصة.

فمربية الوالدة كانت شيعية وكذا إخوانها من الرضاعة، ولشدة علاقة والدتي بمربيته كانت عائلتها مقربة منا إلى حد كبير، نزورهم ويزوروننا.

وعلى مستوى صداقات الوالدة، فلوالدتي الكثير من الصديقات الشيعيات، أقربهن إليها امرأة بسيطة من عرب إيران (من منطقة عبادان الإيرانية على وجه الخصوص)، قضت معظم حياتها في الكويت.

وكنتيجة طبيعية لهذا الارتباط بالشِعة، كانت أُمِّي تصطحبني صغيراً في

بعض الأحيان إلى الحسينية حيث يُقرأ العزاء وتوزع أطباق الطعام أيام المحرم.

لا زلت أتذكر يوم أن اصططحبني أمي فترة النهار إلى إحدى الحسينيات.

قدور في باحة المكان ونساء يغرفن الطعام ...

حينها طلبت مني والدتي أن أجلس في غرفة مقابلة للباحة حتى تنتهي من الحديث مع الملاية^(٣٠)، لم أكن أعلم ولا زلت لا أعلم ماذا كانت تريد منها.

لكنني أتذكر أنني قد جلست على كرسي بجانبه صندوق كبير، ولا أظنك تتصور طفلاً يجلس لوحده في غرفة ولفترة من الزمن دون أن يحلق بنظره هنا وهناك، هذا إن لم يعبث بيديه بكل ما يقربه.

نظرت في الصندوق فرأيت أشياء كأنها من فخار أو طين.

لم يترك لي المجال طويلاً للتخمين، سمعت نداء الوالدة (هيا يا محمد، لنذهب)، خرجت معها والأسئلة تحيط بي من كل جانب.

فقلت لها ونحن في السيارة (أماه .. ما هذا المكان الذي دخلناه؟)

قالت: إنها الحسينية، بيت مخصص لعزاء عاشوراء واللطم والنياحة والبكاء ولمناسبات أخرى.

فقلت: وما هذا الطين الذي وجدته في الصندوق في الغرفة؟ ووصفت لها شكله.

قالت: يسمونها التربة الحسينية، يضعها الشيعة على السجادة حينما يريدون الصلاة ويضعون جباههم عليها في الصلاة.

فقلت: طيب، لماذا هم شيعة ونحن سنة؟

(٣٠) الملاية: امرأة تقوم مقام الشيخ أو الملا بالنسبة لنساء الشيعة في الحسينيات من نعي وإلقاء دروس وغيرها بحسب ثقافتها وقدراتها.

أجابني بقولها: لأنهم يسبون عائشة ولا يحبون أبا بكر وعمر ونحن نحب الصحابة ولا نرضى أن نسبهم، ولأنهم في عاشوراء يلطمون ويبيكون ويلبسون السواد ويضربون أنفسهم ونحن لا نعتقد مثل هذه الأمور بل نراها خطأ، ولأنهم لا يصلون مثل صلاتنا.

إجابة غريبة بالفعل تحكي بساطة فهم والدتي آنذاك للخلاف بين السنة والشيعة، فكل ما تعرفه عن الشيعة من خلال تعايشها معهم هي تلك الفكرة فحسب، ربما لأنها لم تكلف نفسها السؤال أكثر بل رأت أن فتح باب النقاش أو السؤال عن هذه المواضيع قد يحرك في النفوس شيئاً، فشاءت أن تكتفي بما تعرفه.

لكنني سألتها: لماذا يفعلون ذلك؟

وقد كنت كأبي طفل قد تعلمت في المدرسة شيئاً من السيرة النبوية، وأن عائشة هي زوجة رسول الله وأن أبا بكر هو صاحبه في الغار وفي الهجرة، وتعلمت شيئاً عن قصة إسلام عمر وفضله، وبالنسبة لطفل قد تعلم هذا كله لا يمكن له أن يتصور مسلماً يشتم هذه الشخصيات، فتعجبت جداً من كلامها، وبقي السؤال في داخلي (ما بال الشيعة يشتمون زوجة رسول الله وأقرب أصحابه إليه ويقولون إنهم مسلمون).

على أي حال، كانت هذه الإجابات المختصرة كافية حينها لسد فضولي كطفل بل وحتى في بدايات الشباب، فقد كان الدين بالنسبة لي آنذاك شيئاً هامشياً.

ومضت أعوام تمخضت عنها أسئلة جديدة كان من شأنها أن تدعوني إلى التفكير بجدية بموضوع السنة والشيعة.

في الجامعة، تعرفت على أحد سادة الشيعة، كان يكبرني نحو عشر سنوات إن لم يكن أكبر من ذلك، لم أرغب في فتح النقاش بيني وبينه عن الشيعة والسنة لحساسية الموضوع، لكن أحد الزملاء فتح معه باب النقاش واستعرض معه أوجه الخلاف، وكان مما ذكره السيد الشيعي حديث الكساء، ورغم احتكاكي بالشيعة آنذاك للبيئة التي عشت فيها إلا أنني لم أكن حتى

ساعتي تلك قد اطلعت على هذا الحديث الشريف، ففتح لي هذا النقاش سبيلاً لبحث بسيط عن هذا الحديث الذي سمعته حينها لأول مرة.

بعدها بزمان أهدت لي إحدى الشيعيات كتاباً اسمه (ثم اهتديت) أرسلته لي عن طريق صديقة والدتي الإيرانية، فتصفحت الكتاب ثم شرعت في قراءته، وقد كان الكتاب بالنسبة لي قوياً لأول وهلة، لقلة علمي واستيعابي للأدلة التي يستدل بها الشيعة على صحة مذهبهم.

لكنني مع ذلك، ومع علمي البسيط استوقفتني عدة مواضع من الكتاب استغربت منها جداً، فكان كتاب (ثم اهتديت) الانطلاقة الحقيقية لي في عالم الخلاف السني الشيعي.

فبدأت أقرأ في كتب الفريقين وأسأل من أثق به من أهل العلم عن كل ما يشكل علي حتى تولدت لدي قناعات هامة، وتساؤلات كثيرة استفرغت الجهد والطاقة في البحث عن الإجابة عنها.

في السيدة زينب

شاء الله تعالى أن يكون محط قدمي في سوريا لأول مرة في حياتي، تجولت في ضواحي تلك البلاد وخطر ببالي أن أزور السيدة زينب وأن اقتني من تلك المنطقة كتاباً شيعياً لمزيد القراءة والبحث.

وكنت أمضي الساعات في السيدة زينب، أتناقش وأنصفح الكتب وأشاهد الناس حتى كدت ألتحق بحوزة الشيرازي هناك لولا إصرار الوالدة علي أن لا أفعل.

استجبت لرغبة والدتي وعيناي تتطلعان إلى هناك... لكنني لن أنسى أبداً شاباً عراقياً تعرفت عليه في السيدة زينب وصحبته برهة من الزمن، كان له أثره الجيد في نفسي وفي التعرف على واقع الشيعة أكثر.

بدا لي شاباً من عامة الشيعة، لكنه أخبرني عن أبيه وهو عالم شيعي لا أدري ما مدى شهرته في الأوساط الشيعية، هاجر هذا الشاب مع أبيه إلى إيران

منذ أكثر من خمس عشرة سنة، فنشأ وترعرع في إيران ثم قدم إلى سوريا مع أبيه.

أبدت له إعجابي به، فهو شخص لم تستخفه الطائفية المقيتة التي ابتلي بها أكثر الناس اليوم، فلم يكذبني القول في حديثه بل كان صريحاً معي للغاية بخلاف غيره ممن التفت بهم من الشيعة.

قلت له: اعلم قبل كل شيء أنني شخصياً قد سعت إلى أن أكون منصفاً قدر طاقتي، ولو كنت متحاملاً على الشيعة لاكتفيت بكتب خصومهم وحكمت عليهم بالضلال وأغلقت باب النقاش منذ البداية كما يفعل كثير من الناس، لكنني أبيت إلا أن أبحث وأناقش واستمع لقولك وقول غيرك حتى أصل إلى الحقيقة.

فرحب بي وقال لي: أنا مستعد لكل ما تريده.

كان يتكلم بتلقائية متناهية، قال لي ذات مرة (لا أدري كيف خرجت الثورة الإسلامية في إيران .. لو كانت قد خرجت في العراق لكان هذا واقعياً لأن الشيعة هناك شيعة بحق، أما إيران فالوضع فيها مزري للغاية، أتصور أن الحكومة فقط هي الشيعية والشعب لا يعرف شيئاً عن الدين).

وقد سألته عن كثير من الأمور، فما كان يعلمه أجبني عنه وما لم يعلمه وعدني أن يسأل عنه أباه.

ولعل من أبرز ما تناقشنا فيه دعوى بعض علماء الشيعة تحريف القرآن .. فحينما طرحت له الموضوع واستفسرت منه عن رأيه، قال لي: أبداً، لم يقل عالم من علمائنا بتحريف القرآن، فقلت له: نحن الآن في منطقة المكتبات والكتب الشيعية متوفرة ها هنا، فهل لي أن أريك هذه الأقوال؟ وقد كنت حينها لا أتذكر إلا موضعاً واحداً أما بقية المواضع فكانت في دفثري الذي تركته في البلاد.

فخرج معي إلى مكتبة من المكتبات فقال لي: أي كتاب تريد؟ فقلت: تفسير الصافي للعلامة الشيعي الكاشاني.

فسلم على صاحب المكتبة وطلب منه المجلد الأول من تفسير الصافي

ثم خرج معي من المكتبة، فأريته الموضوع وجلس طويلاً يعيد قراءته وهو لا يكاد يصدق^(٣١).

فقلت له: عزيزي، لست أقصد من وراء إرشادك لهذا الموضوع أن أستعرض عضلاتي أو أن أشكك في عقيدتك، قصدي واضح لا غبار عليه، أريدك أن تنتصر للإسلام من كل من يطعن فيه وينقصه كائناً من كان، سنياً كان أو شيعياً، لا تقرأ وتزن الأمور بعيون شيعية وإنما رّد الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله واجعلهما الحاكمين.

فقال لي: سأسأل عنه أبي وأخبرك.

بعد يوم من هذا اللقاء أخبرني بأنه ذهب لأبيه وذكر له أنني أُرشدته إلى موضع في تفسير الصافي يدّعي فيه الكاشاني أن قرآن المسلمين الذي بين أيدينا اليوم محزف!

يقول: قبل أن أخبر أبي الموضوع بالضبط، بادرني بإخباري عن رقم المجلد ورقم الصفحة والموضع بالذات، ثم قال لي: أخطأ الكاشاني في المسألة وانتهى الأمر.

(٣١) خصص الكاشاني في تفسيره الصافي المقدمة السادسة من مقدماته لإثبات تحريف القرآن، وعنون لهذه المقدمة بقوله (المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك).

وبعد أن ذكر الروايات التي استدلت بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر الشيعية المعتمدة، خرج بنتيجة عبّر عنها بقوله: (والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو منغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي ﷺ، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد ﷺ غير مرة، ومنها أسماء المناقبين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول ﷺ)، ثم ذكر بعد هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبار مشايخ الإمامية قال: (وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي. رضي الله عنه. فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي الله عنه فإنه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الإحتجاج).

فقلت للشاب: وأنت ما رأيك؟ أتوافق أباك فيما قاله؟

قال: نعم، الكاشاني أخطأ ونحن لا نوافق.

فقلت له: القرآن هو المصدر الأول الذي يقوم عليه التشريع الإسلامي، والتشكيك فيه والقول بوقوع التحريف فيه هدم للدين، لو كنا نتكلم عن مسألة فقهية بسيطة لكفى أن تقول أخطأ وانتهى الأمر، أما أن يطعن الكاشاني في كتاب الله بهذه الصورة وتقول عنه أخطأ، فليس هذا بصحيح أبداً.

يا صاحبي، انس للحظات أن الكاشاني شيعي وانتصر لكتاب الله، إن لم يكن الطعن في كتاب الله والقول بزيادته أو نقصانه كفراً، فما هو الكفر؟ صمت ولم أشأ أن أخرج وأثقل عليه، فأغلقت الموضوع، وبقيت معه زمناً أتناقش معه في أمور أخرى حتى فاجأني يوماً باعتذار على استيحاء يقول لي فيه بأن أحد السادة طلب منه أن لا يجالسني، لم أستفسر منه عن السبب لكنني تفهمت وضعه وشكرته شكر مودع على أمل اللقاء به في يوم من الأيام.

رجعت من السيدة زينب محملاً بالكتب بعد شهر كامل قضيته في سوريا، وبت أشوق إلى قراءة ما قدمت به من هناك، صحيح أنني لشغفي بالقراءة قد تصفحت بعض هذه الكتب خلال فترة استجمامي هناك لكنني كنت أنتظر بفارغ الصبر لحظة رجوعي إلى البلاد للبدء في البحث والقراءة الجادة.

في الحقيقة، لم تكن هذه الزيارة هي الاحتكاك الوحيد لي مع الشيعة، بل كنت كثير الأسئلة والنقاش، ناقشت مرة أحد علماء الشيعة في الخلافة والإمامة في بيت قديم موقوف لعلماء الشيعة القادمين من إيران وغيرها من البلدان، وناقشت غيره في مكتبة شيعية، وآخر من البحرين وهكذا.

ولكثرة دخولي في النقاشات كان بعض أصحابي الذي يعرفون عني الاهتمام بالخلاف السني الشيعي حينما ألتقي بهم يسألوني عن آخر نقاشاتي.

على أي حال .. تولدت لي من هذه النقاشات فئات كثيرة أبصرت بها حقائق جليلة عظيمة القدر تحتاج منك إلى قراءة متأنية بعين فاحصة، تطلب الحقيقة ولا ترتضي سواها.

في حب أهل البيت ...

(أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه
ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً)

الإمام علي بن الحسين

حب أهل البيت ..

كنت مستعداً لأن أكون شيعياً منذ الوهلة الأولى، إن كان الخلاف بين أهل السنة والشيعه الاثني عشرية أو غيرهم من فرق الشيعة خلافاً بين فئة تحب أهل البيت وبين فئة تبغضهم وتبغضهم حقهم.

لكن ما على هذا دار الخلاف ولا على هذا تحطم جسر العبور بين الفريقين بل على حقائق نطق بها كتب الفريقين (السنة والشيعه)، وظهرت ملامحها واضحة المعالم في معتقد الفريقين.

إن علماء الشيعة يدركون أن جُل الأحاديث التي يستدلون بها على مكانة أهل البيت وعلى رفعتهم هي أحاديث سنیه ترويه كتب أهل السنة، ويدركون كذلك مدى إكبار أهل السنة لمقام أهل البيت وحفظهم لفضائلهم حتى إن الأحاديث النبوية المادحة لهم قد سُجلت ودوّنت في أصح كتبهم بدءً بالبخاري وانتهاءً بأقل كتب الحديث عناية بالإسناد.

ومن يتصفح صحيح البخاري ومسلم أو أي كتاب من الكتب الستة والمسانيد فإنه سيجد حتماً أبواباً بعضها في فضائل علي بن أبي طالب والحسن والحسين أو فاطمة وبعضها الآخر في فضائل بقية أهل البيت (العباس وابنه عبد الله، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم)، إذن ما قضية الخلاف والكل يحب أهل البيت ويدعو إلى محبتهم؟!

هل هي قضية (من الأولى بالخلافة أبو بكر أم علي)؟

لن تجد سنياً يرى حرجاً في تسلّم علي الخلافة بدلاً من أبي بكر، إذ كلاهما من الصحابة الأجلاء، أهل صلاح وتقى، ولولا إزراء الشيعة الاثني عشرية بمقام أبي بكر وطعنهم في الصحابة الذين بايعوه وفي حُسن اختيارهم لما كان للقضية كلها أدنى أهمية.

غير أن الخلاف بات متعدياً هذا الإطار بأميال وفراسخ، وبات بين عيني الفريقين أكبر من خلاف حول قضية فاضل ومفضول.

ثمة قضايا طرحتها الشيعة الاثنا عشرية إلى جانب قضية الخلافة والإمامة كانت ولا زالت سبباً في ظهور الشُّقة بينها وبين أهل السنة .

الأئمة الاثني عشر معصومون ولا يُتصور فيهم السهو ولا النسيان!

للأئمة الاثني عشر ولاية تكوينية تخضع لها ذرات الكون !

إمامة الأئمة من الله، الله نصبهم على العباد كما نصب الأنبياء والمرسلين !

غلو الشيعة الاثني عشرية بصفة عامة في أهل البيت ورفعهم إياهم إلى مصاف الأنبياء بل أكثر من هذا كما سنرى في استعراضنا لمرويات الشيعة في الأئمة .

القول بردة أغلب صحابة رسول الله وانقلابهم على أعقابهم!

هذه القضايا وقضايا أخرى عالقة في التاريخ جعلت الشيعة فيها خلاف الإمام علي مع غيره من الصحابة خلافاً بين كفر وإيمان !

حيثُتد زادت الشُّقة بين الفريقين ويات الخلاف فرقة وبغضاً وتنافراً حتى صار أهل السنة والشيعة الاثنا عشرية رقيقين درب ولكن .. على طريقين لا يلتقيان أبداً !

وصار يُنظر إلى أهل السنة على أنهم نواصب، يبغضون أهل البيت أو يتولون من يبغض أهل البيت!

ولذلك من السهل أن يُوصف من يجادل الشيعة الاثني عشرية في ما طرحه من قضايا عقدية تجاه أهل البيت وتجاه خصومهم بأنه ناصبي مبغض لأهل البيت ! أو بأنه من حزب بني أمية ! أو من أحفاد يزيد!

ولن تجد مغالياً في الحب يرضى بحب من لم يكن مغالياً مثله .

ولذا مهما قرأ علماء الشيعة في كتب أهل السنة من ثناء عطر على أهل البيت أو إشادة بموقف أحد منهم فإنَّ هذا لن يغير نظرهم تجاه أهل السنة، طالما أنَّ كاتب هذه الكلمات لا يدين الله بعقيدة الإمامة التي تنادي بها

الشيعة، ويضلل أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم ممن رضي بالخلافة أن تنتقل من أهل البيت إلى غيرهم !

كنت ولا زلت أتمنى لو أن الخلافة أعطيت لأهل البيت منذ تلك الفترة وأغلق الملف حتى لا يُصبح أهل البيت فيما بعد وسيلة لأهل الزعامات والتحزبات لاستحلاب الرزق السريع باسم الإسلام وباسم أهل البيت^(٣٢) أو وسيلة لإلهاب مشاعر العامة وإثارة النعرات الطائفية حتى صارت ذكرى عاشوراء بيئة خصبة لشتم أصحاب رسول الله وانتقاصهم والتندر بهم أحياناً! وبيئة خصبة لإضفاء أجواء الغلو على كل ما يخص أهل البيت.

لكنه قدر الله عز وجل ... ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ... له سبحانه الحكمة البالغة التي نعجز عن فهمها بعقولنا البشرية القاصرة.

ولقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى أنه ما من أمر يأمر به عباده بفعله إلا كان للشيطان فيه حظان كلاهما حبيب إلى نفسه: إما غلو وإفراط وإما تقصير وتفریط.

(٣٢) حاول أيها القارئ أن تدرس قضية الخمس بإنصاف بدء بقراءة تفاسير جماهير المسلمين لأية الخمس ومقارنتها بتفاسير الشيعة الاثني عشرية، انتقلا إلى التنافس التاريخي بين نواب المهدي المنتظر على أموال الشيعة، ثم ما يحصل اليوم من تنافس بين الوكلاء والمرجعيات والأرصدة الخيالية لبعض الآيات، حتى إني حينما زرت السيدة زينب في سوريا لاقتناء الكتب واللقاء مع علماء ومفكري الشيعة قد فوجئت من كلام شاب عراقي التقيت به هناك، ودار بيني وبينه حديث عابر عن الخمس ذكر لي فيه أن هناك من الشيعة من يشكك في أموال ابن مرجع معروف يعيش في الغرب وأن أرصدته العالية إنما أتت من خمس الشيعة لا من أبيه الذي عُرف عنه الفقر، ولست هنا في موقف الاتهام لأحد أو حتى تبرأته لكنها قضية ذكرت لي من شخص أتوسم فيه الصدق.

فهناك كلام كثير حتى بين الشيعة أنفسهم فيما يخص الخمس وجمعه ومن يجمعه وما هي مصارفه وإلى أين تذهب.

ولعل من أهم ما يُذكر في موضوع الخمس هو اعتراف أحد مدعي النيابة عن القائم المنتظر واسمه (محمد بن علي الشلمغاني)، وكان إذ ذاك يتنافس مع أبي القاسم بن روح على النيابة عن القائم الغائب وأخذ الخمس من الناس فظفر أبو القاسم ولم تسنى للشلمغاني فرصة الاقتيات على أموال الخمس فكان مما قاله: (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهاوش على هذا الأمر كما تتهاوش الكلاب على الجيف) المصدر: كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٤١

فإذا كان الناس في المسيح مثلاً ثلاثة: مبغض ذهب به البغض إلى وصف المسيح تارة بالساحر وتارة أخرى بالكافر أو ابن زنا - عياداً بالله - (وهم اليهود المغضوب عليهم)، وصنف آخر غالى في المسيح حتى ادعى أنه ابن لله وديان الخلق يوم القيامة (وهم النصارى الضالون)، فإنه بقي المسلمون على العقيدة الوسط بين غلو الغالين واتهام المبطلين ليقولوا: هو عبد الله ورسوله، الطاهر ابن الطاهرة وهو النبي المسدد من رب العالمين، آتاه الله المعجزات البينات ليظهره على الدين كله، لكنه مع علو مقامه ورفعة درجته لن يستكف أن يكون عبداً لله عز وجل أو ليخرج عن المقام والمنزلة التي وضعه الله بها.

وليس حال أهل البيت من هذا الإطار بعيد، فالبشر هم البشر والنظرات هي النظرات وإن تعددت الصور والشخصيات.

ولأقف هاهنا على رائعة من روائع الإمام علي وهو يصف الناس في نظراتهم له كإمام من أئمة أهل البيت إذ يقول: (وسيهلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً: النمط الوسط فالزموه، والزمو: السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب)^(٣٣)

ولا يحتاج الأمر إلى التفكير في تلك الفرق الثلاثة التي تحدث عنها الإمام علي، إذ يظهر للمتعمّن بالنص أن تلك الفئات الثلاث هي: الشيعة، النواصب، جمهور المسلمين (أهل السنة).

فإذا كان النواصب يمثلون جانب البغض والعداء لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) حتى كفروه واغتاله منهم ابن ملجم الأثيم، وإذا كان الشيعة الاثنا عشرية يمثلون جانب الغلو في الحب حتى قالوا بعصمة الإمام علي وكون

(٣٣) نهج البلاغة ص ١٢٧ (ومن كلام له (عليه السلام) وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين)

إمامته أعظم من إمامة الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام!، فمن الواضح أنَّ السواد الأعظم من المسلمين الذين هم النمط الوسط هم الذين أحبوا علياً وشهدوا له بالإيمان والصدق فقالوا هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد أهل البيت وأفضل علمائهم، له من الفضائل والمآثر العظيمة ما له، فوصفوا خلافته وخلافة من سبقه من الخلفاء الثلاثة بأنها على منهاج النبوة، فأقروا بفضائله بخلاف النواصب، ولم يرتضوا الغلو فيه خلافاً للشيعنة، وقالوا: لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، و (نبي واحد خير من ألف ولي وصالح).

حديث الثقلين

منذ أن قرأت حديث الثقلين وقلبي معلق بأهل البيت وبحبهم، وما زالت كلمات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يردد (أذكركم الله في أهل بيتي) تتأجج في أعماقي . . عند حادثة كربلاء وما حصل فيها من المآسي بمقتل الكثير من أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام على يدي المجرم الحاقد الظالم عبيد الله بن زياد وأخيه في الشر والظلم والمهانة شمر بن الجوشن .

عن زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي . فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد ليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِّ الصدقة؟ قال: نعم). (٣٤)

فحض النبي ﷺ في الحديث على رعاية أهل البيت وحبهم ومعرفة حقهم .

والمرؤ ليعتصر أسي أمام المشهد المخزي الذي صورته الأحداث مع يزيد وعبيد الله بن زياد وشمر بن الجوشن وعمر بن سعد ومسلم بن عقبة وأمثالهم من الظالمين الذين لم يراعوا قرابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولا صحابته فيما فعلوه في كربلاء بأهل البيت وفيما فعلوه بالصحابة وأبناء الصحابة في الحرّة .

أين هؤلاء الجهلة الظلمة الذين باعوا آخرتهم بعرض من الدنيا قليل من

قول رسول الله (أذكركم الله أهل بيتي)؟، وكيف تتذكر هذه الوصية قلوب ران عليها ما تكسبه من الظلم والعدوان؟

اللهم إننا نبرأ إليك مما فعله المبطلون بأهل بيت نبيك ﷺ.

أيها القارئ .. الحديث عن هؤلاء المفسدين حديث ذو شجون .. يطول بنا بمقدار ما طالت آثارهم منذ ذاك الحين إلى يومنا هذا، ولعلي أقف عند هذه الفترة الهامة من التاريخ يبحث منفرد.

غير أن لي ها هنا وقفة مع حديث الثقلين الذين بين أيدينا ... وقفة جدية بالاهتمام ... ليست كسائر الوقفات التي تناولت الحديث ... وقفة مع التعرف على أهل البيت الذين أشار إليهم الحديث:

فالفئات المتمذهبة والمتناحرة فيما بينها قد ألجأها التعصب إلى تحديد أهل البيت بأشخاص دون آخرين ... فنأدى مناديتهم برفع المظالم عن أهل البيت، في حين أنه يظلم أهل البيت مرات وكرات بحصره أهل البيت بأناس دون آخرين، فمنهم من حصر أهل البيت بأبناء الحسين بن علي بن أبي طالب دون أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب مع أن كلا الإمامين من أهل البيت ومن نسل الإمام علي والسيدة فاطمة!

ومنهم من اعترف بدخول زوجات النبي عليه الصلاة والسلام في مستقى أهل البيت إلى جانب أهل الكساء إلا أنهم لا يشغلن حيزاً في ضميره وولائه لقسرة في قلبه وجفاء في طبعه!

ومنهم من جعل أهل البيت اثني عشر رجلاً فقط! بلا بينة ولا دليل، وظلم بقية أهل البيت وسلبهم حقهم باسم التشيع لأهل البيت ورفع مظالمهم! فأين أهل البيت من هذا وذاك ... أظننا بحاجة إلى إعادة النظر في النصوص الشرعية لإدراك معنى أهل البيت بعيداً عن تعصبات المذهبيين واتجاهات الجاهليين.

لذلك أقول مستعيناً بالله :

يشير حديث الثقلين ذاته إلى مفهوم أهل البيت موضحاً أن أهل البيت هم أقرباء رسول الله ﷺ وزوجاته، ففي تنمة الحديث يقول زيد (نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرْم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرْم الصدقة؟ قال: نعم).

ويقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد). (٣٥)

وقد علّم النبي صلوات الله وسلامه عليه صحابته عدة صيغ للصلاة على آله ذاكراً منها هذه الصيغة (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). (٣٦)

وإذا كان إطلاق مسمى (أهل البيت) على زوجات النبي ﷺ مذكوراً في الصلاة الإبراهيمية، فإن التصريح بكون نساء النبي ﷺ من آل بيته أوضح ما يكون في هذا الحديث الشريف.

(٣٥) رواه البخاري - كتاب الأنبياء - رقم ٣١٩٠

(٣٦) رواه البخاري - كتاب الأنبياء - رقم ٣١٨٩

عن أنس بن مالك أنه قال: (بنى النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً فخرج رسول الله ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلک؟ بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة...) (٣٧)

وفي حديث الإفك قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر حاكياً اتهام عبد الله بن أبي سلول لأم المؤمنين عائشة بالزنا: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً (أي صفوان بن المعطل) ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي) (٣٨)

وفي أحاديث الشيعة الاثني عشرية ما يؤيد ذلك أيضاً:

روى الصدوق في الأمالي عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً، قال: إي والله، إنني لأحبه حبين حباً له وحباً لأبي طالب له وإن ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي) (٣٩).

فأثبت رسول الله بهذا الحديث أن عقيلاً وابنه من عترته عليه الصلاة والسلام.

وعن الحسين عليه السلام أنه قال بعد أن جمع ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم فبكى ساعة: اللهم إنا عترة نبيك. (٤٠)

(٣٧) رواه البخاري - كتاب التفسير - باب سورة الأحزاب رقم ٤٥١٥

(٣٨) رواه مسلم - كتاب التوبة - رقم ٤٩٧٤

(٣٩) أمالي الصدوق ص ١٢٨ وبحار الأنوار ٢٢/٢٨٨، ٤٤/٢٨٧

(٤٠) بحار الأنوار ٤٤/٣٨٣

فلم يحصر الحسين العترة في نفسه وفي ولده زين العابدين بل عمم اللفظ لسائر من كان معه من أهل البيت.

وقد خاطب أحد الشيعة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قائلاً:
(يا ابن رسول الله، ألسنت صاحب هذا الأمر؟ قال: أنا من العترة). (٤١)

وروى شيخ الطائفة الطوسي شهادة ولدي مسلم بن عقيل الصغيرين والتي فيها: (فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمداً؟ قال: فكيف لا أعرف محمداً وهو نبيي؟ قال: أفتعرف جعفر بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف جعفرأ وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء، قال: أفتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف علياً وهو ابن عم نبي وأخو نبيي؟ قال له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد ﷺ ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بيدك أسارى نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا و من بارد الشراب فلا تسقينا). (٤٢)

ومنها حديث أكثر صراحة في بيان العترة، فقد روى الأربلي عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم غدیر خم يقول: إني تارك فيكم كتاب الله حبل ممدود من السماء من استمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، قال: فقلت لزيد من أهل بيته؟ فقال: الذين لا تحل لهم الصدقة آل علي وآل عباس وآل جعفر وآل عقيل). (٤٣)

وقد أشار الأربلي إلى هذا في موضع آخر من كتابه فقال: (فإن قال قائل

(٤١) بحار الأنوار ٢٠٢/٤٦

(٤٢) الأمالي للصدوق ص ٨٣ وبحار الأنوار ١٠٠/٤٥ و ١٠١

(٤٣) كشف الغمة ١/٥٤٩

فما حقيقة الآل في اللغة عندك؟، وقد بين رسول الله ﷺ حيث سئل فقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، قلنا: فمن أهل بيته؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس). (٤٤)

ويؤكد ذلك المفيد في كتابه العمدة فيقول: (ومن ذلك ما ذكره الثعلبي أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يعني من أموال كفار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ يعني قرابة النبي ﷺ، قال: وهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل رضي الله عنهما ولم يشرك بهم غيرهم، وهذا وجه صحيح يطرد على الصحة لأنه موافق لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله يدل عليه ما هو مذكور عندهم في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ لأن مستحق الخمس عندهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل عليه السلام ولا يشرك بهم غيرهم). (٤٥)

وروى الطبرسي في الاحتجاج (عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة أن النبي ﷺ خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن عباس و غلام له يقال له ثوبان، وهي الصلاة التي أراد التخلف عنها لثقله ثم حمل على نفسه وخرج فلما صلى عاد إلى منزله، فقال لغلامه: اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار وتجلاه الغشي وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب، وقالوا: استأذن لنا على رسول الله ﷺ، فقال: هو مغشي عليه وعنده نساؤه فجعلوا يبيكون، فسمع رسول الله ﷺ البكاء، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأنصار، فقال: من هاهنا من أهل بيتي؟ قالوا: علي والعباس، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما). (٤٦)

وعن سلمان الفارسي قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله

(٤٤) بحار الأنوار ٢٥/٢٣٧ نقلاً عن كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي

(٤٥) العمدة للمفيد ص ٦

(٤٦) الاحتجاج ١/٧٠ و بحار الأنوار ٢٨/١٧٦

في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم، فردّ النبي ﷺ ورحّب به، فقال: يا رسول الله، بم فضل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب والمعادن واحدة، فقال النبي: إذن أخبرك يا عم... إلخ. (٤٧)

وفي هذا الحديث إقرار من رسول الله للعباس بأنه من أهل البيت ثم إخبار له بسبب تفضيل علي بن أبي طالب عليه وعلى سائر رجال أهل البيت.

وعن الباقر عليه السلام قال: لما أمر العباس بسد الأبواب، وأذن لعلي عليه السلام بترك بابه، جاء العباس وغيره من آل محمد ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ما بال علي يدخل ويخرج؟ فقال رسول الله: ذلك إلى الله فسلموا له حكمه. (٤٨)

والشاهد هو قول الباقر (جاء العباس وغيره من آل محمد) وهو واضح جلي في دخول العباس وغيره في مسمى أهل البيت والعتره وعدم انحصار مسمى (آل محمد) بأصحاب الكساء أو بالأئمة الاثني عشر.

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي أنا وعلي وحمزة وجعفر. (٤٩)

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ألا وإن إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي وأنا سيد الثلاثة وأتقاهم لله ولا فخر، اختارني وعلياً وجعفر ابني أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب كنا رقاداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه على وجهه). (٥٠)

(٤٧) إرشاد القلوب ٢/٤٠٣ وبحار الأنوار ١٧/٤٣

(٤٨) تفسير الإمام العسكري ص ٢٠ وبحار الأنوار ٢٥/٣٩

(٤٩) الأمالي للصدوق ص ٢٠٦ والخصال ١/٢٠٤ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٩٣ وبحار

الأنوار ٧/٢٣١ و١١/٣٨٠ و٢٢/٢٧٤

(٥٠) تفسير القمي ٢/٣٤٧ وبحار الأنوار ٢٢/٢٧٧ و٣٥/٢١٤

وروي أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة (علي بعدي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر أفضل أهل بيتي بعد علي). (٥١)

وفي غزوة بدر لما نُقل عبيدة بن حارث بن عبد المطلب إلى رسول الله جريحاً يحتضر قال: (يا رسول الله أأست شهيداً؟ قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي). (٥٢)

أما في اللغة، فكلام علماء اللغة العربية أشهر من النار على العلم في بيان دخول زوجات الرجل في مسمى (أهل بيته).

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب: (أهل البيت: سكانه، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً عليه السلام). (٥٣)

ويقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط: (أهل الأمر: ولاته، وللبيت: سكانه، وللمذهب: من يدين به، وللرجل: زوجته كأهله، وللنبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره علي رضي الله عنه). (٥٤)

ويقول الزبيدي في كتابه تاج العروس (والأهل للبيت سكانه ومن ذلك أهل القرى: سكانها، والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده، ومن المجاز: الأهل للرجل زوجته ويدخل فيه الأولاد، وبه فُسر قوله تعالى ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أي زوجته وأولاده كأهله بالتاء، والأهل للنبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره علي أو نساؤه، وقيل أهله الرجال الذين هم آله ويدخل فيه الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وقوله

(٥١) كمال الدين ٢٦٤/١ وإرشاد القلوب ٤٢٠/٢ وبحار الأنوار ٥٣/٢٨

(٥٢) المناقب ١٨٨/١ وتفسير القمي ١/ وبحار الأنوار ٢٢٥/١٩ و٢٥٣/١٩

(٥٣) لسان العرب - حرف (اللام) ص ٢٩٠

(٥٤) القاموس المحيط (باب اللام - فصل الهمزة) ص ١٢٤٥

تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ و ﴿رَحِمْتُ
اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (٥٥)

ومما يؤكد دخول زوجات النبي عليه الصلاة والسلام في مسمى (أهل البيت) إضافة إلى الأحاديث النبوية وأقوال علماء اللغة، آيات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد سَمَى الله في القرآن الكريم أزواج الأنبياء أهل بيته، فقال عز من قائل ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِفْجِ مَا نَسْتُ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (٥٦)، ومعلوم أن زوجته هي التي كانت معه وليس معها أحد آخر.

وقال تعالى ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ...﴾ (٥٧)، والآية تحكي قول زليخا امرأة العزيز كما هو معلوم.

وقال تعالى أيضاً ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، يقول القمي مفسراً الآية (.. فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته، وزوده شعيب من عنده، وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال له (شعيب): اذهب فقد خضك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجئهم الليل فنظر موسى إلى النار قد ظهرت كما قال الله ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (٥٨)

ويدخل في مسمى (أهل البيت) الإمام علي وابناه الحسن والحسين وأمهما فاطمة عليهم السلام جميعاً كما جاء في حديث الكساء الذي رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مُرْخَل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل

(٥٥) تاج العروس ٣٦/١٤ طبعة دار الفكر ص ١٩٩٤م.

(٥٦) سورة النمل آية ٧

(٥٧) سورة يوسف آية ٢٥

(٥٨) تفسير القمي ١١٦/٢ - ١١٧ سورة القصص

معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٥٩)

ويتلخص من هذا أن أهل البيت هم زوجات النبي ﷺ وآل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

ودعوى الشيعة الاثني عشرية أن أهل البيت هم اثنا عشر رجلاً (الإمام علي والحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين فقط) دعوى لا دليل عليها بل فيها ظلم يتن لسانر أهل البيت.

ولذا جميع طوائف الشيعة مثل (الزيدية التي جعلت الإمامة فيمن خرج بالسيف من أبناء الحسن وأبناء الحسين، والإسماعيلية التي جعلت الإمامة من بعد جعفر الصادق في ابنه إسماعيل بن جعفر وبنيه، ومن قبلهم الكيسانية الذين جعلوا الإمامة في (محمد بن الحنفية) ابن علي بن أبي طالب وبنيه والقطحية الذين جعلوا الإمامة في عبد الله الأفظح بن جعفر الصادق) وغيرها من فرق الشيعة التي كانت تختلف فيما بينها بعد موت كل إمام.

كل هذه الفرق تدعي اتباع أهل البيت دون سائر الناس، وتكفر أو تضلل بالتالي من يخالفها.

بل من الثابت وجود فرقة تدعي بأن أهل البيت هم العباس وولده وهي فرقة (الرواندية) (٦٠) وتقول بإمامتهم دون باقي أهل البيت.

فالذين يدعون أن الحديث نص على أن من تمسك بأهل البيت اعتصم من الضلالة ونجا يغالط نفسه ويغالط كذلك مفهوم الحديث الذي ينص على التمسك بكتاب الله ويأمر بحفظ حق أهل البيت وحبهم ومناصرتهم لا أن ينظر إليهم على أنهم عدلاء القرآن!

إن المخرج من الاختلاف الذي نشأ بين الشيعة أنفسهم قبل أهل السنة

(٥٩) صحيح مسلم مع الشرح - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٢٤٢٤

(٦٠) راجع فرق الشيعة للتوخي ص ٢٣ و٣٣ و٦٨ والفرق بين الفرق للبغداد ص ٦٠ وكتاب

عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد البمني ج ٢

إنما يكون باتباع الكتاب والسنة عن طريق العلماء الربانيين، من كان منهم من أهل البيت ومن لم يكن من أهل البيت لكنه من أهل العلم والتقوى والورع. وليعلم المؤمن أنه ليس كل أهل البيت مؤمنون بل منهم الكفار كأبي لهب ومنهم الضالّ وهذا أمر متفق عليه عند أولي الألباب، فمن ضم إلى الإيمان والصلاح قرابة إلى رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وهو أولى بالحب والاتباع من غيره لكنه لا معصوم بعد محمد عليه الصلاة والسلام، إذ العصمة بعد كتاب الله لسنته عليه الصلاة والسلام وليس لأحد من بعده، ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فجعل الله عز وجل الرد في حالة الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولو كانت العصمة لأحد بعد رسول الله لجعل الله الرد إليه، خصوصاً وأن الشيعة الإمامية تدعي عصمة الأئمة الاثني عشر وأن الرد لا يكون إلا إليهم.

الوصية الخالدة

إن من أعظم الوصايا النبوية التي تعلق بها قلبي منذ الصغر هي وصية رسول الله ﷺ لابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما:

يقول ابن عباس: (كنت ردف النبي ﷺ فقال لي: يا غلام إنني محدثك حديثاً، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، رفعت الأقلام وجفت الكتب، فلو جاءت الأمة ينفعونك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لما استطاعت ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك ما استطاعت)^(٦١)

هذا الحديث بكل ما فيه من معاني سامية، من معنى التعلق بالله وحده والاستعانة به في نفس المؤمن عقيدة التوحيد الخالص التي ينادي بها القرآن الكريم، فالمسلم في صلاته يردد كل يوم خمس مرات على الأقل الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) ليعلم إقراره بأنه لا معين إلا الله وأنه كعبد له لا يستعين إلا به وحده فهو عبد له والاستعانة في حقيقتها ضرب من العبودية لله عز وجل.

فالله وحده المعين لأنه الخالق المالك لكل شيء وهو المدبر له الخاضع لسلطانه كل شيء ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾^(٦٢) وما سواه من بشر ولو كانوا أنبياء ورسلاً أو ملائكة أو جنّاً أو غيرهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(٦٣) ذلك لأنهم عباد مخلوقون ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

(٦١) مسند أحمد (مسند بني هاشم) حديث رقم ٢٦٢٧ والترمذي (صفة القيامة) حديث رقم ٢٤٤٠.

(٦٢) سورة الأعراف آية ٥٤

(٦٣) سورة فاطر آية ١٣

اللَّهُ عِبَادُ أَتَالُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٨﴾ وتشريف الله لأحدهم بالنبوة والرسالة ليس إلا لتبليغها للناس ولقيادته إياهم للعمل بها لا لعبادته وتقديسه بما هو فوق مستواه كبشر ﴿مَا كَانَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنِّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (٦٥).

والله يضرب المثل على ضعف ما سواه وأن المطلوب منه الحاجة كالتائب في ضعفه وهوانه على أن يأتي بشيء ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾ (٦٦) ثم يصف من يدعو غيره بقوله ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ (٦٧) وذلك حينما تضرعوا لغيره أو تضرعوا لغيره ليوصل دعاءهم له، وهو سبحانه مع ذلك يذكر أن من يدعونه اليوم سيترأ منهم غداً يوم العرض عليه يوم القيامة ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿٨١﴾﴾ (٦٨).

ولهذا يستنكر الله عز وجل على من يلتجأ بالدعاء إلى غيره ولو كواسطة

(٦٤) سورة الأعراف آية ١٩٤

(٦٥) سورة آل عمران آية ٧٩-٨٠

(٦٦) سورة الحج آية ٧٣

(٦٧) سورة الحج آية ٧٤

(٦٨) سورة فاطر آية ١٤

فعله هذا فيسأله طالباً منه الإجابة ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا﴾ (٦٩) وإذا كان سبحانه قريباً من عباده يفهم أحوالهم ويعرف
حاجاتهم وهو الوحيد القادر على نجدتهم فكيف ينصرف العبد إلى سؤال غيره
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٧٠).

الدعاء هو العبادة

روى الكليني في الكافي والحر العاملي في وسائل الشيعة عن أبي عبد
الله عليه السلام أنه قال: (إِنَّ الدَّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) (٧١).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال (إِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الدَّعَاءُ) (٧٢).

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام (أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء
أفضل عند الله عز وجل من أن يُسأل) (٧٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه (كان إذا أصبح قال: أصبحت وربّي محمود،
أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا أتخذ من دونه
ولياً) (٧٤).

(٦٩) سورة النحل آية ٦٢

(٧٠) سورة البقرة آية ١٨٦

(٧١) الكافي ٢/ ٣٣٩ كتاب الدعاء - باب فضل الدعاء والحث عليه، وسائل الشيعة ٧/ ٢٣ (أبواب
الدعاء - باب الدعاء والحث عليه).

(٧٢) الكافي ٢/ ٣٣٨ كتاب الدعاء - باب فضل الدعاء والحث عليه

(٧٣) نفس المصدر

(٧٤) الكافي ٢/ ٣٨٨ كتاب الدعاء باب القول عند الإصباح والإساءة

وكان الإمام علي (عليه السلام) يقول: (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء) (٧٥).

وقد نص القرآن الكريم وهو كلام أصدق القائلين على أن الدعاء هو العبادة.

قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) (٧٦) فسمى الله في الآية الدعاء عبادة.

بل البيان أجلى وأظهر في قول الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) ﴿وَأَعَزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٨٨) ﴿فَلَمَّا أَعَزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (٧٧)، فمن صرف الدعاء لغير الله تعالى فقد عبد غير الله، هذه حقيقة قرآنية جليلة لمن تدبرها ووعى معناها.

التوسل شيء ودعاء غير الله شيء آخر

كلما ناقشت بعض طلبة الحوزات حول الخلاف السني الشيعي وقلت لهم (اتقوا الله في الشيعة الذين يسرون وراءكم ويثقون بكم وأنتم علماء المستقبل، كيف لكم أن تصمتوا عن تقرير علماء الشيعة الاثني عشرية للشرك في عقائد الناس وأنتم تتلون القرآن ليل نهار، وتتلسمون معانيه الداعية إلى إفراء الله وحده بالعبادة والدعاء، لماذا الصمت؟ بل الاستماتة في الدفاع عن الباطل) كانت الإجابة: أنت لا تفرق بين التوسل والشرك، وجميع المذاهب قد ذكرت التوسل فهل يعني ذلك أنهم كلهم كفار؟ الفكر الوحيد الذي يكفر المسلمين هو الفكر الوهابي .. إلى آخر هذا الكلام المعروف والمحفوظ بل والمعلّب أحياناً.

(٧٥) الكافي ١٣/٢ كتاب الإيمان والكفر باب الإخلاص

(٧٦) سورة غافر آية ٦٠

(٧٧) سورة مريم آية ٤٩

غير أن هذا الرد لا يُغني من الحق شيئاً . . . فالتوسل الذي اختلف علماء المسلمين في ثبوت الحديث فيه صحة أو ضعفاً وحول مشروعيته هو قول الرجل (اللهم اغفر لي بجاه نبيك) أو (اللهم إني أتوسل إليك برسول الله) أما أن يتوجه المسلم إلى رسول الله ﷺ أو غيره من المخلوقين قائلاً (يا رسول الله أغثني)، (يا صاحب الزمان أو يا كاظم اشفني) أو (يا علي أدركني) ثم يدعي أن ذلك توسلاً فهذا ضحك على الذقون، وتسويغ للشرك في دين الله.

ولأفسح المجال لشاب شيعي - عراقي الأصل نيوزلندي الجنسية، شاء الله عز وجل أن أتعرف عليه بظروف لم تخطر لي على بال، فهو شاب مثقف ومتدين ومطلع على كثير من الكتب السنية والشيعية حتى خلته طالباً من طلاب الحوزة، لكنه ليس كذلك.

تميّز هذا الشاب ببند التعصب للموروث، والتحرر من كثير من أغلال المذهبية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي تعاني منها المذاهب على اختلاف ألوانها.

وقد طرح هذا الشاب بحكم معرفته بواقع بلده ومن خلال محيطه الشيعي طراحاً انتقد فيه موقف المراجع السلبي تجاه هذه الشراكيات، واستغرب في مقاله تركيز المراجع على الفقه وأصول الفقه وتناسي العقيدة وحصر مضمونها فقط في الدفاع عن أهل البيت وإثبات الإمامة.

ويبدو أن صاحبي كان يتوقع أن كل الناس مثله ينطلقون من القرآن ولا ينطلقون من خلال مخزونهم المذهبي، ولذلك ضُعن حينما رأى السهام تتخطفه وترميه بالضلالة.

يقول صاحبي في مقاله المعنونة بـ ((أدركني يا علي) في ميزان القرآن والعثرة) ما نصه:

(هناك صيغتان من صيغ التوسل بالأنبياء والأولياء وفيهما يقع الخلط بين الناس، الصيغة الأولى: هي صيغة التوسل بالجاء، كأن يقول القائل: اللهم أدركني واكشف عني كربى بحق رسولك وآله) أو (اللهم إني أسألك بجاء رسولك وآله) وهي خطاب لله مباشرة، ولا كلام لنا عن هذه الصيغة وإن منعها بعض علماء المسلمين.

أما الصيغة الثانية فهي صيغة التوسل المباشر والاستغاثة المباشرة، كأن يقول القائل: (أدركني يا علي) أو (الغوث يارسول الله) هذه الصيغة منتشرة في مجتمعنا، سواء بين عامتهم ومثقفهم، فهي إذن ليست من طرح الخيال، بل هي واقع ملموس وفي عصرنا الحالي، لذا يحق لنا مناقشته.

من التبريرات التي أُلقيت حول هذه الصيغ هي أنها لطلب الشفاعة من الله لقضاء الحوائج وتفريج الكرب!

وهذا تبرير بعيد عن الحقيقة لعدة أسباب منها: أنه ليس في نص الصيغة ما يدل على طلب الشفاعة، لأن تلك صيغتها: (يا علي اشفع لي) .. . و(أدركني) غير (اشفع لي) .. (أدركني) هي صيغة اليأس من حوله وقوته إلى حول وقوة من هو أقدر منه، أما (اشفع لي) فهي طلب الوساطة في أمر الحكم فيه لطرف ثالث.

فدعاء (اشفع لي) فيه ثلاثة أطراف: المستشفع والمستشفع به والمستشفع عنده^(٧٨)، أما دعاء (أدركني) ففيه طرفان فقط: المستغيث

(٧٨) قال تعالى ﴿يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَبِّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَوْلًا﴾ وقال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فأخبر الله تعالى بذلك أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:

الأول: إذنه سبحانه للشافع أن يشفع، الثاني: رضاه سبحانه عن المشفوع له.

وهذان الشرطان لازمان لكل شفاعة ترجى منفعتها، فأما الإذن: فهو إذن الله تعالى للشافع، ونكتة هذا القيد وسره صرف الوجوه إلى الله وإسلامها له، وتعلقها به، وترك تعلقها بغيره لأجل الشفاعة، لذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد وذكر ما يدل على عبادة الله وحده، وهذا الشرط لم يفهمه فنام من الناس، ظنوا أن الاستثناء يفيد إثبات الشفاعة مطلقاً، وطلبها من غير الله فعادوا لما ظن المشركون وقصدوه.

وحقيقتها أن الله إذا أراد رحمة عبده ونجاته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه،

وكرامة للشافع) هذه مفاهيمنا ص ١٣٦-١٣٧

والمُستغاث به ولا واسطة بينهما، وكلا الصيغتين (إشفع لي أو أدركني) غير جائزة^(٧٩) لأنها خطاب مباشر (لطلب تفريج الكرب أو قضاء حاجة) لمن لا يسمع الدعاء .. فإن قيل: أن الأنبياء والأئمة والأولياء إنما هم شهداء والشهداء أحياء ويشفعون لأوليائهم! نقول: نعم والله، إنهم لأحياء وإنهم لأهل للشفاعة، ولكنهم أحياء عند ربهم وليس عندنا أو بين ظهرانيها. لا يستطيعون سماعي وسماعكم وسماع هذا أو ذاك!

لأن هذه من صفات الله جلّ وعلا وهو الذي لا يشغله سمع عن سمع ولا يغلطه كثرة السائلين وهو أقرب إلينا من جبل الوريد ... ولم يبلغنا أن الله تعالى مكّن الأنبياء والأولياء من سماع نداء المستغيثين ولا أنه قد منحهم بعضاً من صفاته!

لا جرم ولا جدال أنهم أهل الشفاعة عند الله بعهد الله وميثاقه، فإن كنا نبغي الشفاعة بقولنا (يا علي اشفع لي) فالأولى تأديباً مع الله أن نطلب الشفاعة منه مباشرة ونقول: (اللهم شفع في رسولك) أو (شفّع في علياً).

(٧٩) اختصاص الله بالشفاعة اختصاص ملك كما قال عز من قائل ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾، ومعنى ذلك أنه ليس لأحد من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أن له شفاعة مقيدة بقيود، فالله جلّ وعلا هو مالكها يأذن لمن شاء أن يشفع، في من رضي أن يشفع فيه، فالشفاعة ليست ملكاً مطلقاً لأحد، لأن المالك له التصرف فيما يملكه، وإنما حقيقة الشفاعة أنها لله وحده، لكنه سبحانه يأذن لمن شاء أن يأذن له وفي هذا تمام صرف القلوب إلى خالقها وحده مالك الشفاعة، وعلى هذا دلت الآية في الزمر قال تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾.

والشفاعة أعطيت للأنبياء والصالحين يوم القيامة مع شرط الإذن والرضى من الله تعالى، لا إعطاء مطلقاً، والأحاديث النبوية الصحيحة هي في الشفاعة يوم القيامة لا في الحياة البرزخية.

ففي الحياة البرزخية لا يجوز أن يسأل أحد ميتاً الشفاعة، لأنهم لا يملكونها في الحياة البرزخية حتى ولا ملك انتفاع، لأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا.

والنبي صلوات الله وسلامه عليه الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيامة، لم يخبر بأنه في قبره يشفع! ولا يوجد دليل صحيح ولا ضعيف في ذلك.

هذه هي مفاهيمنا ص ١٤٦-١٤٧ بتصرف

هذا فيما يخص دعاء أو صيغة (اشفع لي) وهي أخف وطأة من صيغة (أدركني)، غير أنه لم يمر علينا فيما مضى صيغة (اشفع لي يا علي) بين أوساط الشيعة بل صيغة (أدركني يا علي) هي المهيمنة وهي التي جرت على ألسن الناس، وهنا الطامة الكبرى.

الاستغاثة في ميزان القرآن

من غير الصحيح القول بأن الشيعة الذين يتحدثون بطريقة (أدركني يا علي) يقصدون توجيه الخطاب إليه أن يدركهم بالشفاعة مثلاً، فليس في ذلك ما يدل عليها ولا توجد قرينة ولا بيئة لذلك، وليسأل أحدنا نفسه:

ساعة أن يردد (أدركني يا علي) هل يفكر في الله أم يفكر في علي؟! ..
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(٨٠)! ولا يمكن تبرير هذه الصيغ وإسنادها إلى التيات، لأن النية غير كافية إذا كان العمل غير مشروع!

يقص لنا القرآن أخبار الأمم السابقة ليس على سبيل التسلية بل للعبارة و الانعاط والنهي عن التشبه بأفعال أهل الضلال لئلا ننتهي إلى ما انتهوا إليه
﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٨١) وقوله ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨٢) .. والله قص خبر المشركين وأخبر عن نياتهم بأنها التقرب إلى الله زلفى، وأن هذه الأوثان إنما هم شفعاؤهم عند الله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٨٣) فما علتهم إذن؟ هل كان الاعتراض على أنهم لم يوفقوا في اختيار الشفيع أم على أسلوب الشفاعة؟ ... ولكن

(٨٠) سورة الأحزاب آية ٤

(٨١) سورة يوسف آية ١١١

(٨٢) سورة الحشر آية ٢١

(٨٣) سورة يونس آية ١٨

مهلاً . . . قد يقول قائل هنا: كيف نقارن بين المشركين والمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وأقاموا الصلاة؟!

والجواب هو أننا لا نقارن وإنما نبين الأمر كي لا نقع فيه، ألم يقل الله تعالى مخاطباً المؤمنين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٨٤)، كيف خاطبهم بصيغة الإيمان ثم شبه فعلهم بفعل الكافرين؟!

إنها صيغة تحذير من التشبه بأفعال الكافرين، لأن الشيطان يسير بخطوات ولا يستطيع أن ينقل المؤمن إلى النقيض بخطوة واحدة، يقول احذروا هذه الخطوة لأن بعدها خطوة وبعدها خطوة وهكذا . . هذا هو أسلوب القرآن . . ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . . ونحن نقول يا إخواننا لا تكونوا كالذين أشركوا في اتباعهم الأسلوب الخطأ في الدعاء إلى الله، لأن دعاء غير الله إشراك به، قال تعالى ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ . .

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ

وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكَكُمْ وَلَا بُيُوتَكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ (٨٥)

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) (٨٦)

﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٨٧)

(٨٤) سورة آل عمران آية ١٥٦

(٨٥) سورة فاطر آية ١٣-١٤

(٨٦) سورة الإسراء آية ٥٦

(٨٧) سورة النمل آية ٦٢

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْنَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٨)

وفي هذا ردٌّ على الذين عمون أن نهى القرآن إنما جاء عن الأصنام فقط! والقرآن مليء بهذه الآيات وأمثلة لها.

ليست هذه مسألة فقهية تعتمد أسس الاستنباط أو تحتاج إلى ذوي الاختصاص حتى يُخْتَلَف في تأويلها وتفسيرها، هذه من صلب عقيدة التوحيد التي لم يجعل القرآن فيها مجالاً للشك أو التأويل لأنها حجة على الخلق أجمعين، وآيات الله تصرح في كل موضع وفي كل سورة؛ أن الذين تدعون من دون الله لا يسمعونكم ولا يستجيبون لكم فأخلصوا الدعاء لله وحده:

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٨٩)

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٩٠)

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (٩١)، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (٩٢)

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ (٩٣)

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٩٤)

(٨٨) سورة الأعراف آية ١٩٤

(٨٩) سورة الأنعام آية ٤١

(٩٠) سورة الأعراف آية ٢٩

(٩١) سورة الأعراف آية ٥٥

(٩٢) سورة الأعراف ١٨٠

(٩٣) سورة الرعد آية ١٤

(٩٤) سورة الشعراء آية ٧٢

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٩٥) ﴿٩٦﴾ سميعٌ لنداء المضطرين والمكروبين .. بصيرٌ بحالهم !

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٩٦)

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٩٧) هو الحي وغيره يموت !

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ (٩٨) ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ (٩٩)

إن قضية يطرحها القرآن بهذه الكثافة وهذا الوضوح لا يمكن أن تخضع لآراء واجتهادات البشر، قال تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠) ؟

لأنها قضية تكفل بالأجابة عنها وتوضيحها القرآن، وهي واضحة وضوح الشمس في وضوح النهار ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٠١) ... (لا تدعوا) ومصدرها الدعاء ولم يقل (لا تدعوا) ومصدرها الادعاء ... (مع الله أحداً)، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ ولا ولياً مثنعاً، هذه مسألة خالصة لله، الدعاء مُخ العباد، والاعتماد على النيات ليس هنا موضعه، وإنما تبرز أهمية النية فيما لو كان العمل صالحاً مشروعاً والنية مُختلَف فيها.

كأن يتصدق رجلٌ بصدقة، فإن كانت نيته لله أجزَ عليها و أثيب، وإن كانت لغير الله لم يؤجر، لكنه لا يعاقب أيضاً وإنما فاته أجر هذا العمل؛ رجل

(٩٥) سورة غافر آية ٢٠

(٩٦) سورة غافر آية ٦٠

(٩٧) سورة غافر آية ٦٥

(٩٨) سورة الأحقاف آية ٥

(٩٩) سورة البجن آية ٢٠

(١٠٠) سورة الجاثية آية ٦

شارك في معارك الجهاد، فإن كانت نيته خالصة لأعلاء كلمة الله أثيب على جهاده، وإن كانت لحسابات دنيوية أخرى لا ثواب له ولا عقاب وإنما فاته أجر هذا العمل؛ رجل صام رمضان، إن كان صيامه إيماناً واحتساباً أثيب، وإن كان لتخفيف الوزن لم يثب ولم يعاقب أيضاً بل فاته أجر هذا العمل، هنا النية هي الفيصل لأن العمل صالح ومشروع.

لكن قضية (أدركني يا علي) إن كانت لغير الله فقد وقع في ظلم الشرك وحبط عمله كله! وإن كانت نيته أن يدعو الله بهذا الدعاء فقد أساء الأدب مع الله وتكلم بهراء.

كان المشركون يعلمون تماماً من خلق السموات والأرض ومن يخرج الحي من الميت ومن يدبر الأمر، قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمِنْ الْمَيِّتِ الْحَيَّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَنُقَوِّنَ﴾ (١٠١)

فما علتهم إذن إذا كانوا يعلمون كل هذا؟! لماذا منعوها رسول الله ؟ لأنهم لم يعملوا بما علموا.

لم يعصم الله هذه الأمة من الوقوع في الشرك، ألم يقل بأبي هو وأمي ﷺ: (لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ)؟!

فخطوات الشيطان كثيرة، تبدأ من تخفيف حدة العبادة وتقليل النوافل وتنتهي بالإشراك بالله والعياذ بالله.

هؤلاء الناس لشدة حبههم لرسول الله ولأهل بيته عليه وعليهم السلام اندرجت هذه الألفاظ على ألسنتهم دون أن يعوا خطرها العقائدي، هؤلاء لا يعرفون الخطوط الحمراء بين الله وبين أوليائه لضعف علاقتهم بالقرآن من جهة ولوجود تلك الطبقة التي تعيش على لعق الدين ما بقي يدرّ عليهم معاشهم على حسب تعبير سيد الشهداء الحسين من جهة أخرى.

إِنَّ اللَّهَ بَيْنَ لَنَا فِي قَرَأَتِهِ التَّنَاقُضَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْإِنْسَانُ حِينَ تَدْهَمُهُ الْكَرْبُ وَالْمَلَمَاتُ حَيْثُ يَلْجَأُ بِفَطْرَتِهِ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ وَحْدَهُ وَيَخْصُهُ بِالدَّعَاءِ وَحْدَهُ، حَتَّى إِذَا مَا كَشَفَ الْكَرْبَ عَنْهُ أَعْرَضَ وَجَعَلَ لِلَّهِ أُنْدَادًا، وَكُلَّ شَيْءٍ يَضَعُهُ الْإِنْسَانُ بَدِيلًا أَوْ شَرِيكًا لِلَّهِ فَهُوَ نَذْلُهُ، مِنْ دُونِ فَرْقٍ بَيْنَ كَوْنِ ذَلِكَ النَّدِّ مُلْكًا أَوْ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا أَوْ صِنْمًا!

يقول تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ هذا هو دعاء الفطرة ! ثم يقول ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ (١٠٢)

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ هذا هو دعاء الفطرة ! ثم يقول ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (١٠٣)

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهُ﴾ (١٠٤) هذا هو دعاء الفطرة، ثم يقول ﴿فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (١٠٥)

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٠٦) بَلْ إِلَٰهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (١٠٧)

﴿وَقُلْنَا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٠٧)

(١٠٢) سورة الزمر آية ٨

(١٠٣) سورة الزمر آية ٤٩

(١٠٤) سورة الإسراء آية ٦٧

(١٠٥) سورة الإسراء آية ٦٧

(١٠٦) سورة الأنعام آية ٤٠، ٤١

(١٠٧) سورة يونس آية ٢٢

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٠٨)

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَظُلُجٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ (١٠٩)

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١١٠)

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ﴾ (١١١)

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحِمَهُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١١٢)

ولم يترك الله هذه القضية العقدية للفقهاء حتى يختص بها أهل العلم لأنها حجته على الناس جميعاً، بل بينها في أغلب مواضع القرآن وشدد عليها أكثر مما شدد على الصلاة!

كيف يستقيم الإخلاص لله إذا اشترك معه غيره في الدعاء؟! أم كيف يكون الانقطاع إلى الله إذا دعا أحداً سواه؟! أم كيف تكون مناجاة الله والتضرع له الذي أمرنا به ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ (١٠٩) .. إن أعظم الخلق قدراً ومنزلة هو رسول الله ﷺ، وأهل بيته وأصحابه هم أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحداً منهم عند الفزع أو الكرب أو الخوف أن يستغيث به فيقول ياسيدي يا رسول الله أغثني!

(١٠٨) سورة العنكبوت آية ٦٥

(١٠٩) سورة لقمان آية ٣٢

(١١٠) سورة الأنعام آية ٦٣

(١١١) سورة يونس آية ١٢

(١١٢) سورة الروم آية ٣٣

وهو الذي ما ترك طريقاً للفلاح والخير والرشاد إلا ودل أمته إليه، بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه، وروي عنه أنه علم ابنته الزهراء عليها السلام أن تقول (يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحدٍ من خلقك) ..

إنّ الذي يملك الضر والنفع هو الله وحده، وأمرنا أن نتوجه إليه بعد أن نأخذ بالأسباب المتاحة لنا على قاعدة "اعقلها وتوكل" .. حتى إذا عجزت أسبابنا توجهنا إلى خالق الأسباب ومسببها، لقد أمر الله تعالى مريم البتول عليها السلام حينما أ جاءها المخاض الى جذع النخلة أن تهز جذع النخلة لتسقط عليها رطباً ! فهل رأيت إنساناً هز نخلة من قبل لتسقط عليه رطباً؟! ناهيك عن هذه المرأة الضعيفة وهي بعد في أضعف حالاتها بعد آلام الوضع ! إنه الأخذ بالأسباب ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١١٣).

ما هي معالم التوحيد في الإسلام ؟ ما هي مدلولات لا إله إلا الله التي حاربها ويحاربها الناس ؟ إنها لربط الإنسان مطلقاً بخالقه وإخراجه من عبودية غيره، إنّ (لا إله إلا الله) لا تعني فقط (لا خالق إلا الله)، فهذه يعرفها حتى الذين يحاربون الإسلام!

إنّ لها أبعاداً لم يألّفها البشر إلا في مناهج الرسل التي دأب البشر على تحريفها وتشويهها بما ينسجم مع تصوراتهم المادية المحدودة، فاخترعوا الوسطاء بين الله وبين خلقه ! .. وما قصة قوم نوح إلا مثلاً واضحاً عن كيفية تحول فئة من أولياء الله ك (ودّ) و (يغوث) و (يعوق) و (نسر) إلى آلهة تعبد وترتجى من دونه مع تعاقب الأجيال، وما هي تصورات النصارى وعقائدهم في بنوة المسيح التي اخترعها لهم (بولس) لتماشي عقائد الرومان في الآلهة ! لا إله إلا الله تعني لا معبود في الكون يستحق أن يعبد إلا الله، لا رازق إلا الله، لا مدبر إلا الله ..

لا نخشى إلا الله، لا نتوكل إلا على الله، لا نرجو إلا الله، لا نخاف إلا الله ..

لا نلجأ إلا إليه، ولا نتضرع إلا إليه ..

لا نرفع أكفنا بالدعاء إلا إليه، فنقول (يا رب أغثنا وأدركننا بلطفك)، ولا نرفع أيدينا فنقول (يا علي أدركننا)!

لا نرفع أيدينا لغيره، لا لأنبيائه ولا لأوليائه ! لأن حقهم علينا ليس دعاؤهم والاستغاثة بهم، بل اتباع أثرهم والافتداء بنهجهم والصلاة عليهم، وهذا هو السبيل لنصرتهم وهذا هو ما يفرحهم ويعطي ثمرة جهادهم ودمائهم ..

أرسل الله الرسل ليطاعوا .. لا ليستغاث بهم! ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١١٤).

أرسلهم الله ليكونوا واسطة التبليغ عنه، لا ليكونوا واسطة التبليغ إليه ! هم رسل الله إلينا، وليسوا رسلنا إلى الله !

هم يبلغوننا ما يريد الله منا، ولا يبلغون الله ما نريده منه! هو الذي يسمع دعاء الخلائق وتضرعهم وليس بينه وبين دعائهم حجاب ! ..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْشُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١١٥)

وتحت عنوان (شبهات حول بعض الآيات) قال صاحبي: (يتوهم البعض ورود بعض الآيات القرآنية التي تبيح أو تشير إلى مشروعية الاستغاثة بالنبي وأهل بيته عليه (وعليهم السلام)، منها قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١١٦) والوسيلة تأتي بمعنى

(١١٤) سورة النساء آية ٦٤

(١١٥) سورة ق آية ١٦

(١١٦) سورة المائدة آية ٣٥

الدرجة وبمعنى القربة بالطاعات، وقد أجمع على هذا كبار المفسرين من السنة والشيعة.

يقول ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها "وابتغوا إليه الوسيلة" قال سفيان الثوري: عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي "القربة" وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي "تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه" وقرأ ابن زيد "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة" وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه).

ويقول: (والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله - ﷺ - وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة" "حديث آخر" في صحيح مسلم من حديث كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله سمع النبي - ﷺ - يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرأ ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة" (١١٧).

ويقول القرطبي: (و(الوسيلة) القربة التي ينبغي أن يطلب بها، والوسيلة درجة في الجنة، وهي التي جاء الحديث الصحيح بها في قوله عليه الصلاة والسلام: (فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة). (١١٨)

(١١٧) تفسير القرآن العظيم ٥٣/٢

(١١٨) الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٦

ويقول عنها الطبرسي في مجمع البيان: (أي اطلبوا إليه القربة بالطاعات)^(١١٩)، وفي جوامع الجامع ٣٢٧/١: (كل ما يتوسل إليه من الطاعات وترك المقبحات).

وفي تفسير شُتر: (أي ما تتوسلون به إلى ثوابه من الطاعة).^(١٢٠)

وللطباطبائي في الميزان: (حقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة . . . ولا رابط يربط بين العبد وربّه إلا ذل العبودية، فالوسيلة هي التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنبه تعالى. فهذه هي الوسيلة الرابطة).^(١٢١)

وللسيد محمد الحسيني الشيرازي في تقريب القرآن ٨٣/٦: ﴿وَابْتَغُوا﴾ أي اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ السبب الذي يقربكم إليه سبحانه من فعل الخيرات والأعمال الصالحة).

فهذه كلها تقول إنّ الوسيلة هي طاعة الله ولا تعني بأية حال اتخاذ الأئمة والأولياء كوسائط ووسائل إلى الله.

أما قوله تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ^(٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ^(١٢٢) فقد قال جمهور المفسرين: إنّ المقصود من الآية هو أن هؤلاء الصالحين الذين يدعواهم المشركون، أقربهم الى الله يبتغي الوسيلة إليه بالطاعة والقربة، فكيف بغير الأقرب! كما قال بذلك الطبرسي في جوامع الجامع والكاشاني في الصافي وغيرهم.

(١١٩) مجمع البيان ١٨٩/٢

(١٢٠) تفسير شبر ١١٢/١

(١٢١) تفسير الميزان ٣٥٥/٥

(١٢٢) سورة الإسراء آية ٥٦-٥٧

وللسيد محمد حسين فضل الله تعليقاً جميلاً يقول فيه: (لا واسطة بين العبد وربّه في خطابه وسؤاله له:

وقد نلاحظ في التوجه الإنساني بوحدانية العبادة والاستعانة... في خطاب العبد لربه في هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. أن الإنسان لا يحتاج في حديثه مع الله وفي طلبه منه إلى أية واسطة من بشر أو غيره، لأن الله لا يتعد عن عبده ولا يضع أي فاصل بينه وبينه.. إلا ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من الله.. بل أراد لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستجيب لهم، وحدثهم عن قربهم منهم بحيث يسمع كلامهم حتى لو كان يمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور، وذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦) وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتُوْسُوْسٍ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق ١٦٦). (١٢٣)

الاستغاثة في ميزان العترة الطاهرة

لقد ترك الأئمة تراثاً من الأدعية تُكتب بحروف من ذهب على صفحات من نور، وقد بلغوا الذروة في أساليب التوسل والتضرع إلى الله لم يسبقهم إليها أحد ولم يأت بشبيه لها من بعدهم أحد، وهذه أدعية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصحيفة الإمام السجاد عليهما السلام بين أيدينا وليس فيها صيغة استدراك أو سؤال لغير الله، فهل فاتهم سؤال رسول الله ﷺ وطلب الاستدراك منه؟! ونحن نقرأ دعاء (كُمَيْل) كل حين، فهل نقرأه لأننا معجبون بشخصية الإمام عليه السلام أم للتدبر بهذا التراث الخالد؟ بماذا توسل الإمام في بداية دعائه؟ برحمة الله وقوته وجبروته وقدرته وعظمته وأسمائه ونور وجهه

وصفاته، وخطابه ومناجاة كلها لله وحده ولم يسأل أحداً غيره، ولو جاز ذلك لكان هو الأولي بسؤال رسول الله ﷺ وهو الأخلص نية والأصفى قلباً! يقول الإمام علي بن أبي طالب يصف لنا آداب التوسل والدعاء:

(إنَّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص إنها الفطرة، وإقامة الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنها مثرة في المال ومنساة في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان). (١٢٤)

ويقول الإمام السجاد الذي سطر أخلص وأصفى تعابير التوسل والاستغاثة في أدعيته، يقول في الدعاء الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي:

(.. والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسري .. بغير شفيع، فيقضي لي حاجتي .. الحمد لله الذي لا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي ..) !!

والحمد لله الذي لا أرجو غيره، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي.

ويقول في مناجاة المطيعين: (ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت) !!

ويقول أيضاً: (أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع في الملمات) !!

ويقول أيضاً: (لا يشركك أحد في رجائي ولا يتفوق أحد معك في دعائي ولا ينظمه وإياك ندائي) !!

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

عجبت لمن أدركه الهم .. ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) (١٢٥)

وعجبت لمن أدركه الخوف .. ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٢٦) فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمَسَّ سَمُوءُ﴾ (١٢٧)

وعجبت لمن خاف المكر ولم يفزع إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَأَفْوَضْ أَمْرِكَ إِلَى اللَّهِ﴾ (١٢٨) فإني سمعت الله بعقبها يقول ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾.

إِنَّ تَشْيُعَنَا لِلْإِمَامِ (عليه السلام) ليس لشخصه ولا لنسبه، وإنما للعقيدة التي آمن بها وللفكر الذي حمله وللنهج الذي انتهجه باعتباره المرآة الحقيقية لنهج رسول الله ﷺ ولعقيدة التوحيد الخالص في الأسماء والصفات والأفعال، سطرها ربنا في قرآنه وبينها رسوله ﷺ وجاهد عليها الأئمة (عليهم السلام) و بذلوا أنفسهم دونها، (أدركني يا علي) لا تكشف الضر .. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٦) فاستجبنا لهم فكشفنا ما به من ضرر (١٢٩)

(١٢٥) سورة الأنبياء آية ٨٧-٨٨

(١٢٦) سورة آل عمران آية ١٧٣

(١٢٧) سورة آل عمران آية ١٧٤

(١٢٨) سورة غافر آية ٤٤

(١٢٩) سورة الأنبياء آية ٨٣

شبهات حول بعض الأحاديث

يستشهد الذين يرون جواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء مباشرة بحديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعو الله له ليرد إليه بصره، روى الحديث أحمد في مسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك، قال: لا، بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقض وتشفعني فيه وتشفعه في، قال: فكان يقول هذا مراراً ثم قال بعد (أحسب أن فيها أن تشفعني فيه)، قال: ففعل الرجل فبراً).

وفي رواية الترمذي أن رجلاً ضريراً البصر أتى النبي صلوات الله وسلامه عليه فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك) قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك، بنبيك محمد - نبي الرحمة -، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، لتقضى لي، اللهم فشفعه في). والجواب أن الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له أن يرد بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه.

فقال رسول الله: (إن شئت دعوت لك) فقال الرجل: (بل ادعه).

ولا بد لها هنا من الوقوف على فوائد هامة في هذا الحديث الشريف: أولها: أن الأعمى ذهب إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ليطلب منه الدعاء ولو كان التوسل بالذات مشروعاً لم يكن ثمة حاجة للذهاب إليه إذ يكفي أن يتوسل به من غير أن يذهب إليه، فيقول: (اللهم أسألك بنبيك) لكنه ذهب وطلب منه أن يدعو له.

الثاني: أن النبي صلوات الله وسلامه عليه وعده بالدعاء له فقال: (إن شئت دعوت لك) فألح عليه الأعمى بالدعاء قائلاً: (بل ادعه)، وهذا وعد من الرسول ﷺ بالدعاء للأعمى، علّقه على مشيئته، وقد شاء الأعمى بقوله (بل

ادعه) ويقتضي أنه دعا ﷺ له، وهو خير من وفى بما وعد، يؤكد ذلك قول الأعمى في دعائه الذي علمه الرسول أن يدعوه به (اللهم فشقه في) أي اقبل دعاءه في. والشفاعة معناها الدعاء كما قال ابن منظور في لسان العرب: (الشفاعة كلام الشفيح للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع: الطالب لغيره، يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان) وبهذا يثبت أن الأمر كان يدور على دعائه صلوات الله وسلامه عليه لا ذاته.

الثالث: أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أمره أن يتقرب إلى الله بعدة وسائل منها التوسل إليه بالعمل الصالح وهو (إحسان الوضوء) و(أداء ركعتين) يدعوه الله عقبهما أن يستجيب دعاءه في أن يقبل دعاء النبي ﷺ له.

وهذا هو معنى قوله (وشفعني فيه) أي أدعوك أن تتقبل دعاء النبي صلوات الله وسلامه عليه لي (١٣٠).

بقي أن نشير إلى ما أشرنا إليه من قبل عن وصية النبي صلوات الله وسلامه عليه لابن عباس التي يقول فيها: (يا غلام، إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

إن الأنبياء والشهداء أحياء ولكن عند ربهم في كرامته، ولا نعرف شيئاً عن كنه حياتهم أو طبيعتهم، وهم لا يستطيعون كشف الضر أو تفريج الكرب أو عون المحتاجين لأنهم عباد وبشر مثلنا وقد انتقلوا إلى عالم آخر، لا يسمعون دعاءنا ولا نداءاتنا ولا استغاثاتنا!

يقول الإمام الصادق في الحديث الذي رواه الكليني في كتاب الروضة من الكافي:

(والله ما نحن إلا عبيد.. ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا براءة، وإننا لميتون ومقبورون ومشورون ومبعوثون ومسؤولون، أشهدكم أنني امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعت رحماني وإن عصيت عذبنني عذاباً شديداً).

وكتاب الله الذي استعرضنا قبساً من آياته، وسنة رسوله ﷺ وأقوال العترة المطهرة كلها تظافرت على منع الاستغاثة بغير الله والدعاء والطلب من غيره، والتشيع لأهل البيت عليهم السلام يقتضي السير على نهجهم واقتفاء أثرهم والعمل بهديهم، ولا يلتفت إلى أقوال الغلاة الذين يستأكلون بهم ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله! إن الذين يحاولون تبرير الاستغاثة بغير الله من الأنبياء والأولياء سيجدون أنفسهم أمام عقبتين رئيسيتين:

أولهما: أن يثبتوا أن المقصود بالاستغاثة بهم على أحسن حالات حسن النية إنما هو ليشفعوا للمستغيث عند الله بدعائهم وليس طلب مباشرة حقيقة الفعل كالنصرة ورفع الضر وكشف الكرب والشفاء! أي إثبات (حسن النية) بإرادة شفاعتهم ودعائهم، وهذه لا يمكن الجزم بها وتقنينها لأن النيات موكله إلى رب العباد، وجب النظر عندها إلى صيغة الاستغاثة وتزيهها عن اللبس، فتبطل عندئذ (أدركني يا علي) و (أغثني يا علي) و (مدد يا أبا الحسن).

ثانيهما: أن يثبتوا بالدليل أن الأئمة عليهم السلام (في حياتهم الأخرى عند الله) يسمعون المنادي، ويسمعونه على أية حال كان وفي أي مكان وفي

أي وقت، وليس المنادي فقط بل يسمعون الجميع، جميع من يناديهم، بأصواتهم جهراً أو همساً، سرّاً وعلانية، بلغاتهم المختلفة!

فإذا نودي الإمام من قبل مائة شخص في آن واحد سمعهم جميعاً . وهذه الصفة مختصة بالله وحده لا شريك له فيها! وعلم هذا في الغيب وحده ومصدر الغيب الذي بين أيدي المسلمين هو القرآن فليشتقوا دليلهم منه فإن عدموا الدليل - وهو معدوم - ثبت عند ذلك ان هذه صفات الله وحده وتسقط عندها صيغة (أدركني يا علي بشفاعتك) .

أما محاولة لي أعناق النصوص وتفسير الكلام بغير مدلوله والادعاء بأن (أدركني يا علي) أو (الغوث يا أبا الحسن) هي إنما لطلب دعائهم الله لنا لكشف الكرب والغم وأن الكاشف والمغيث هو الله، فهي كالتصريح بمشروعية قولنا (اغفر لي يا علي) أو (ارحمني يا علي) والادعاء بأن الغافر والراحم هو الله !

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٣١)

يا الله أم يا علي ويا حسين؟!!

إنَّ الله عز وجل هو الصمد الذي تلجئ إليه المخلوقات في الرخاء والشدائد... حقيقة فطر الله الناس عليها... وآمن بها المسلم العارف بدينه.

وقد روى الكليني في الكافي عن داود بن القاسم قال: قلت لأبي جعفر الثاني: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير. والمصمود إليه أي المقصود.

علق الكليني على ذلك فقال: (والله عز وجل هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن والإنس إليه يصدون في الحوائج وإليه يلجأون عند الشدائد ومنه يرجون الرخاء ودوام النعماء ليدفع عنهم الشدائد)

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق قوله "إذا خفت أمراً قل: اللهم إنك لا يكفي منك أحد، وأنت تكفي من كل أحد من خلقك. فاكفني كذا وكذا"، وفي رواية، "يا كافياً من كل شيء ولا يكفي منك شيء" (١٣٢)

فأين هذا من الذين يرددون (يا محمد يا علي يا علي يا محمد، اكفاني فإنكما كافياي، يا محمد يا علي يا علي يا محمد، انصراني فإنكما ناصراني، يا محمد يا علي يا علي يا محمد، احفظاني فإنكما حافظاني، يا مولاي، يا صاحب الزمان، ثلاث مرات، الغوث الغوث، أدركني أدركني، الأمان الأمان)؟

والله تعالى يسألهم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟﴾!

ألا يكفي هؤلاء أن يكون ربهم هو الملجأ لهم والمستغاث به، الذي يطلبون منه النصر والتثبيت والحفظ والأمان؟ أما يكفيهم رب العالمين حتى يشركوا معه غيره؟!!

يقول الله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣٣﴾

وإنما يتوجه المسلم بندائه ودعائه لله دون غيره طالباً منه سبحانه وحده قضاء الحوائج وتفريج الكرب، لأنه يدرك أن الاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله لا تكون إلا له سبحانه، وأن صرف الاستعانة لغير الله صرف للعبادة لغير الله.

لقد وقفت على روايات شيعية تحكي هذه المأساة، مأساة التوجه لبشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً إن أراد الله بهم ضرراً، ولا يملكون لأنفسهم حياة ولا نشوراً.

فقد خصصت تلك الروايات لكل إمام وظيفة في النفع والضرر فقالت: (أما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فلاخرة وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما الحسن بن علي فلاخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعينك) (١٣٤) ثم ألحق المجلسي صاحب بحار الأنوار بهذه الرواية - دعاء يتضمن الاستغاثة بالأئمة على هذا النحو السالف الذكر من قبيل الشرح لهذا النص. (١٣٥)

وعلى هذا المنوال سارت الأدعية الشيعية، حيث صار الأئمة هم المستغاث بهم والمرجى، فيتوجه الشيعة بالدعاء قائلين عن الأئمة: (أركان

(١٣٣) سورة الزمر آية ٣٨

(١٣٤) بحار الأنوار ٣٣/٩٤

(١٣٥) المصدر السابق

البلاد. وقضاة الأحكام. وأبواب الإيمان منائح العطاء، بكم إنفاذه محتوماً مقروناً. فما شيء منه إلا وأنتم السبب وإليه السبيل فلا نجاة ولا مفرج إلا أنتم ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة^(١٣٦).

وإني على يقين من أن الشيعة لا يعتقدون في قرارة أنفسهم أن هناك إله مع الله، وأعلم كذلك أنهم يستشنعون هذا القول ويرفضونه إلا أن هذا كله متف أمام ممارساتهم وعباداتهم فهم يستكرون الشرك نظرياً وأقوالهم وأفعالهم تعج بالشرك.

ينادي أحدهم (يا حسين) و (يا علي) و (يا مهدي) وربما (يا عباس)^(١٣٧). يستغيث بهم لقضاء حوائجه أو لرفع ثقل يعجز عن رفعه.

فترى هذا يردد (يا علي مدد)، وهذا ينادي (يا حسين أغثني) وذاك يعكف عند مرقد الإمام الرضا يبكي عند قبره ويتمسح بالقبر ويقبله ويدعوه أو ينذر له !!

وذاك يعتقد أن الإمام الكاظم هو باب الحوائج! فيتوجه له بالدعاء من دون الحي الذي لا يموت!

إن هذه الممارسات لتدعوني للتساؤل: كيف لمسلم أن يردد سبع عشرة مرة في صلواته اليومية قول الله عز وجل في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم إذا ما أراد أن يستعين بأحد في قضاء حوائجه استعان بمخلوق مثله دون أدنى اكتراث بتلك الآية التي حفظها منذ الصغر ورددتها لسانه؟!

يرى أن حوائجه تنقضي إذا ما كرر عبارة (ناد علياً مظهر العجائب تجده

(١٣٦) بحار الأنوار آية ٣٧/٩٤

(١٣٧) أحدهم قال لي: النداء ليس بشرك، فهل حينما أنادي ابني (يا خالد) أو في نداء رجل في الطريق (يا فلان) شرك؟ فقلت له: بالله عليك، أترك تنادي الإمام كما تنادي هؤلاء؟ ألسنت تناديه ليفيتك ويعينك ويصرف عنك سوء وغيرها من الحاجات؟ هذا هو الشرك الذي نتكلم عنه، ومن أخبرك أن نداء الناس كهذا النداء الشركي فقد كذب عليك أو استخف بعقلك.

عوناً لك في التوائب . كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي
ثم يلحقها بقوله : (يا أبا الغوث أغثني يا علي أدركني) ، و يتناسى رب العباد
الذي قال عن نفسه في محكم كتابه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ
(١٣٨)﴾

ولنا أن نسأل : إذا كان الأئمة هم ملجأ المحتاجين ومفزع الملهوفين
وأمان الخائفين وقبلة الداعين ، ولا تستجاب الدعوات إلا بذكر أسمائهم ، فأي
فرق بين هذا وبين ما يزعمه مشركو مكة في أصنامهم؟؟!

نعم هناك فرق ، لكنه فرق يحكي مأساة حقيقية . . فمشركو مكة كانوا
في وقت الشدة يخلصون الدعاء لله ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٣٩)

أما الذين يستغيثون بالأئمة ويدعون بأسمائهم فيشركون بالله في الرخاء
والشدة .

بل بلغت الجرأة فيمن صاغ هذه العقيدة إلى حد أن تُعنون في كتب
الشيعة المعتمدة أحد أبوابها بـ (إنَّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع
بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)!! (١٤٠)

والروايات في هذا الباب كثيرة عند الشيعة ومستفيضة ومنصوص عليها
في عدد من المصادر المعتمدة لديهم . (١٤١)

تقول إحدى الروايات (عن الرضا عليه السلام قال لما أشرف نوح عليه السلام على

(١٣٨) سورة النمل آية ٦٢

(١٣٩) سورة العنكبوت آية ٦٥

(١٤٠) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار ٣١٩/٢٦ ومن يتصفح الكافي أو بصائر الدرجات يرى ما
يكفيه من أمثال هذا الغلو

(١٤١) انظر مثلاً: تفسير العياشي ٤١/١ ، الخصال لابن بابويه ١٣٠/١ ، معاني الأخبار ص ٤٢ ،
الاحتجاج للطبرسي ص ٢٧ ، ٢٨ ، وسائل الشيعة ١١٣٩/٤ وغيرها

الفرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الفرق، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله فجعل عليه النار برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله ييساً، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فتُجبي من القتل فرفعه الله^(١٤٢)

هذا ما تقول الروايات بينما يقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١٤٣) ولم يقل سبحانه (فادعوه بأسماء الأئمة أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم).

وهؤلاء الأئمة صحيح أنهم صالحون وأخيار لكنهم بشر مثلنا لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْنَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٤٤)، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾^(١٤٥)

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً ولا نبياً مرسلأ، بل الجميع عباد لله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١٤٦)

ودعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فيه إهانة وتنقيص لمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل دعوة للشرك حين تُعدل أسماء الأئمة بأسماء الله الحسنى التي يُدعى بها.

(١٤٢) وسائل الشيعة ٤/ ١١٤٣، بحار الأنوار ٢٦/ ٣٢٥

(١٤٣) سورة الأعراف آية ١٨٠

(١٤٤) سورة الأعراف آية ١٩٤

(١٤٥) سورة الفرقان آية ٣

(١٤٦) سورة النساء آية ١٧٢

والأنبياء كما أخبر الله تعالى وهو أصدق الصادقين إنما دعوه بأسمائه
الحسنى ووحدانيته لا بأسماء المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.
قال سبحانه وتعالى عن يونس عليه السلام ﴿فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) (١٤٧)

ويقول عن أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٢) (١٤٨)

والكلمات التي علمها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله تعالى ﴿قَالَ
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) (١٤٩)
فأين هذا كله مما تدعيه هذه الروايات السقيمة؟!

(١٤٧) سورة الأنبياء آية ٨٧

(١٤٨) سورة الأنبياء ٨٢

(١٤٩) سورة الأعراف آية ٢٣

وقفة مع دعاء (حلال المشاكل)

من الأدعية المنتشرة بين الشيعة الاثني عشرية وعلى نطاق واسع في العراق وإيران وبعض دول الخليج دعاء (حلال المشاكل).

وهو دعاء تنبض عروقه بالشرك بالله . . . فإن كنت في شك من ذلك فاقراً نص الدعاء بنفسك وحكم عقلك وضميرك.

يقول الداعي مخاطباً علي بن أبي طالب:

يا أبا الفيث أغثنني	يا علي الدرجات
حل عقدتي بك قيدي	أنت لي إن ناب دهري
أنت لي إن حط قدري	يا محل المشكلات
سيدي أنت منائي	سيدي أنت رجائي
لك أخلصت ولائي	يا محل المشكلات ^(١٥٠)
سيدي أنت سنادي	سيدي أنت عمادي
في مماتي وممادي	يا محل المشكلات

إلى أن يقول:

حيدر يا علي حلل مشاكلها	دخيلك هالمصيبة لا تطولها !!
حيدر يا علي وحضر يحامينا	واكسر هاالأعادي واستر علينا

وحتى ينهي الدعاء بقوله:

يا مولانا ترى احنا بحالة شنيعة	أدركننا يا علي حلال مشاكلها !
--------------------------------	-------------------------------

لا أدري حقيقة كيف ارتضى علماء ومراجع الشيعة الاثني عشرية مثل هذا الدعاء الشركي، لكن يظهر جلياً أنّ باب الغلو في الأئمة في المذهب مفتوح على مصراعيه، وهذا ما سنشير إليه في العناوين القادمة .

أحد الأصدقاء زار إحدى المكتبات الشيعية لاقتناء بعض الكتب، وحدثني عن حادثة طريفة حدثت له حول هذا الدعاء .

(١٥٠) أتصور أنّ مؤلف هذا الدعاء نسي إضافة كلمة (يا رب)!

يقول: كنت أمام البائع فوقفت بالقرب مني امرأة وطلبت من البائع كتاب (حلال مشاكل)، فتحرك في نفسي الفضول: فقلت لها، عن ماذا يتحدث هذا الكتاب؟ فشرحت لي الفكرة والدعاء.

يقول: فقلت لها ... سبحان الله ... تعتقدين أنّ علي بن أبي طالب
لم يحل مشكلته مع أبي بكر وعمر، وتريدينه أن يحل مشكلتك !!
يقول: فقالت لي (اصمت)، وأحمد الله أنني لم أصب منها بأذى.

الاستغاثة بالزهاء والأئمة أم بخالقهم؟

حينما احتاج المسلمون إلى العون في غزوة أحد أخبر رب العالمين عن دعائهم قائلاً ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفٍ﴾ (٩٠) ﴿٩١﴾ مع أَنَّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حي بين أظهرهم وكذا الإمام علي وكذا السيدة فاطمة في المدينة، لكنهم مع هذا كله وجهوا نداءهم لله وحده، لأنه لا يملك النفع والضرر إلا الله ﴿قُلْ لَا يَمْلِكُ﴾، فمحمد عليه الصلاة والسلام بشر مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فكيف يملك لغيره النفع والضرر؟!

قال تعالى مخبراً عن رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه
موجهاً الكلام للناس مسلمهم وكافرهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) ويقول ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١٢) قُلْ إِنِّي لَن
مُجِيرٍ مِّنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدُ مِّنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (١٣) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ
وَرِسَالًا تَبَيَّنَتْ (١٥٢)، فالرسول بشر مبلغ عن الله، كرامته وعظمته تتمثلان في

(١٥١) سورة الأنفال آية ٩ .

(١٥٢) سورة البجن آية ٢١

اصطفاء الله له من دون سائر البشر واختياره للنوبة وفي أخلاقه وسلوكه وشخصيته التي تمثل الكمال البشري فيها في حب كل أوجهها ولكنه مع كل هذه العظمة لا يملك لنفسه ولا لغيره النفع والضر إلا بمقدار ما يستطيع البشر (بنص القرآن الكريم)، فكيف بمن هم دونه منزلة عند الله ومن هم دونه فضلاً وعلماً من الأئمة أو الأولياء والصالحين؟

هذا مثال لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وخذ هذا المثال الآخر لإبراهيم عليه السلام خليل رب العالمين الذي قال الله عنه في القرآن المجيد ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٥٣﴾﴾

وذاك المسيح عليه السلام، النبي العظيم الذي أجريت على يديه المعجزات العظيمة من خلق بإذن الله وإحياء للموتى بإذن الله يقول عنه رب العالمين حينما زعم النصارى أنه يملك الحساب يوم القيامة وأنه قد فُوض له ذلك من رب العالمين، وأنه ابن له مع اعترافهم بأن الله (الآب) هو أعظم من ذاك الابن المتجسد (المسيح) كما هو منصوص عليه في عقيدتهم، ماذا أجابهم رب العالمين؟

قال الله تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَفَى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (١٥٤)

بين الله عز وجل أن المسيح بشر يأكل الطعام ويحتاج إليه ويحتاج لمن خلقه، ويصيبه الضر إذا افتقده، فكيف تتوجهون بالدعاء والاستغاثة والنذور والقرايين والذبائح وغيرها من أصناف العبادات لمن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، وتتجاهلون الإله الحق السميع العليم الذي يسمع سرهم ونجواهم ويعلم ما تخفيه صدوركم؟! ما تخفيه صدوركم؟!

ولذا جاء قول الله عز وجل ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) ﴿١٥٥﴾ ليبين أن المسيح ﷺ وأمه مع جلالة قدرهما وعظم منزلتهما إن أراد الله عز وجل أن يهلكهما فلا راد له ولا دافع لعذابه، فإن كان المسيح وأمه لا يملكان دفع الضر عن نفسيهما فكيف يتوجه لهما بالدعاء والعبادة؟! والعبادة؟!

فالأنبياء والأئمة والصالحون لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، فمن توجه لهم الدعاء أو استغاث بهم فيما لا يقدر عليه بشر أو نذر لهم وقدم قرايينه لهم أو ذبح لهم فقد أشرك بالله تعالى.

ولذا رأينا التوجيه القرآني الرائع القائل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (١٥٦) ولم يقل الله عز وجل (فقل لا إله إلا الله) لأن كلمة (لا إله إلا الله) أسهل ما تكون على اللسان، لكن فهم معنى هذه العبارة وتجسيدها على أرض الواقع وتحقيق معانيها هو المراد وهو المطلوب.

كان من السهل على كفار مكة أن يقولوا (لا إله إلا الله) لكنهم أدركوا أن المطلوب منهم أكثر من مجرد اللفظ، فهم يؤمنون بأن الله هو الخالق البارئ كما قال الله تعالى عنهم ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ (١٥٧)،

(١٥٥) سورة المائدة آية ١٧

(١٥٦) سورة محمد آية ١٩

(١٥٧) سورة الزخرف آية ٨٧

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١٥٨) لكن كانوا يقيسون الله عز وجل بملوك زمانهم وغير زمانهم الذين لا يدخل عليهم أحد إلا بوساطة مقرب عنده !

قالوا الله عز وجل أعظم وأجل من نطلب منه كذا وكذا، الله عز وجل عظيم ونحن مذنبون، كيف لنا أن نطلب منه مباشرة، لا بد من وسطاء فيشفعوا لنا، أخبر الله عز وجل عن دعواهم تلك بقوله حكاية عنهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١٥٩)

أي ما كنا نتوجه لهم بالعبادة (دعاء، ندور، قرايين، ذبائح) إلا ليقربونا إلى الله، لا ظناً بهم أنهم من خلقنا ورزقنا وينصرونا في الشدائد.

ولكن هل تقبل الله منهم هذا الإيمان؟ وهل نفعهم إقرارهم بهذا الإله الواحد مع إشراكهم معه غيره في الدعاء والعبادة؟!

قال الله تعالى فيهم وفي من يحذو حذوهم ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٦٠)، ولذلك أرسل الله عز وجل لهم محمداً عليه الصلاة والسلام، وشهد عليهم رسول الله ﷺ بالنار حين قاتلوه دفاعاً عن ذاك الشرك، فأقرارهم بالله لم ينفعهم لما وجهوا العبادة لغيره.

وليس فلان وفلان من الناس بأكرم عند الله من عشيرة رسول الله حتى يُستثنى وتُكتب له براءة من الشرك مع مزاولته للشرك أو اعتقاده له، فالدين لا محاباة فيه، وأبو لهب هو عم النبي عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لما أشرك

(١٥٨) سورة الزمر آية ٣٨

(١٥٩) سورة الزمر آية ٣

(١٦٠) سورة يوسف آية ١٠٦

بالله لم تنفعه تلك القرابة، فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أو نذر لغير الله أو دعا أهل القبور والعتبات فقد أشرك بالله.

وليس البشر اليوم بأكرم عند الله من قوم نوح عليه السلام لما أشركوا بالله أهلكهم جميعاً ونجا منهم أهل الإيمان وهم قلة، فالاستشهاد بكثرة من يدعو غير الله ويستغيث بغير الله رغم انتسابه للإسلام اسماً لن يغني من الحق شيئاً ولن يجعل من الشرك توحيداً، فكم ذم الله عز وجل الكثرة حين تنبئ الضلال فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١٦١) ويقول ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٦٢) ويقول ﴿لَقَدْ حِجَّتْكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٨) ويقول ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٦٣) والآيات في هذا كثيرة جداً.

وانتساب المرء للإسلام شرف له ورفعة، لكنه حينما يشرك بالله ويتخذ له شركاء يدعوهم في الشدائد أو في الرخاء فإن الله غني عنه وعن عبادته وعن إسلامه.

يقول الله عز وجل ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ (١٦٤) ويقول ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٦٥)

فليس لأحد أن يتمسك بالعنوان ويترك المعاني، يتمسك بعبارة (لا إله إلا الله) وهو يطعن في معنى هذه الشهادة في كل حركة وسكنة، يشرك بالله

(١٦١) سورة يونس آية ٦٠

(١٦٢) سورة الشعراء آية ٨ و ٦٧ و ١٠٣ و ١٢١ و ١٣٩ و ١٥٨ و ١٧٤ و ١٩٠

(١٦٣) سورة الزخرف آية ٧٨

(١٦٤) سورة الزمر آية ٧

(١٦٥) سورة إبراهيم آية ٨

الليل والنهار، ويتصور أنّ شهادة (لا إله إلا الله) اللفظية فقط تنجيه من حر النار ومن كفر الدنيا والآخرة !

إنّ هذا ليعود بذاكرتي إلى كتاب (أكسير الدعوات)^(١٦٦) وهو كتاب أدعية واسع الانتشار بين الشيعة وقد شدّني في هذا الكتاب عنوان (استغاثة إلى فاطمة عليها السلام) يقول فيه المؤلف: (في البلد الأمين تصلي ركعتين فإذا سلّمت فكبر الله تعالى ثلاثاً، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام واسجد وقل مائة مرة (يا مولاتي يا فاطمة أغثيني) ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك، ثم ضع خدك الأيسر على الأرض وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك مائة وعشر مرات، واذكر حاجتك تُقضى بإذن الله)! فرق بين من يستغيث بمخلوق لا يملك لنفسه الحياة ولا الممات ولا الرزق حتى يهب ذلك لغيره !

ماذا بقي لرب العالمين ؟!!

الشيعة الاثنا عشرية يؤمنون بإله واحد ولا يدينون بالوهمية غيره، هذا هو الأصل وهذا ما يدعيه علماء المذهب، لكن المشكلة التي يعيشها هذا المذهب هو إسباغه صفات الألوهية على الأئمة بل وتقريره الاستغانة بهم في الشدائد والنذر لهم ودعائهم من دون الحي الذي لا يموت، وهذا كله قدح في التوحيد وإثبات للشركاء لله وإن لم يكن الشيعة يعتقدون أنهم شركاء لله، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة، غير أن ما لم أتطرق إليه هو الغلو الفاحش الذي تناقلته كتب الشيعة الاثني عشرية في الأئمة الاثني عشر، ونظرة كبار علماء المذهب المعاصرين منهم والقدماء للأئمة الاثني عشر، كل ما سيأتي ذكره سيضطررك إلى التساؤل بكل أسى (ماذا بقي لرب العالمين إن كانت هذه هي صفات الأئمة؟!).

الغلو في روايات الشيعة الاثني عشرية

الروايات المغالية في التراث الشيعي الاثني عشري كثيرة جداً وحسبي ها هنا أن أشير إلى أمثلة منها:

١- الإمام علي والصفات الإلهية التي أسبغتها عليه الروايات !

فنسبت الروايات إلى الإمام علي قوله (أنا الأول أنا الآخر) (١٦٧)

وقوله (أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله) (١٦٨)

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية (١٦٩) في كون الإمام علي هو وجه

الله ويد الله !

(١٦٧) جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر آملی ص ٢٠٥ حديث رقم ٣٩٤.

(١٦٨) رواه الكافي ١/ ١٤٥ والمجلسي في بحار الأنوار ٢٤/ ١٩٤

(١٦٩) بحار الأنوار ٢٤/ ١٩١-٢٠٣

وفي رجال الكشي^(١٧٠) وردت الرواية بصيغة أخرى هي (أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول والآخر، وأنا الظاهر والباطن)!

وقد ذكر هذه الروايات ابن بابويه القمي في كتابه (التوحيد)! لكنه حاول جاهداً إيجاد تأويلات سائغة لها بعد أن عجز عن تضعيفها أو الطعن فيها!

٢- الإمام علي هو متقذ الأنبياء!

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية للإمام علي قوله (والله قد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيت من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيت من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح)^(١٧١).

أقول: فماذا بقي لرب العالمين؟!

٣- الإمام لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء!

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية للإمام الصادق قوله (إن الإمام لا يخفى عليه شيء مما في الأرض ولا مما في السماء، وأنه ينظر في ملكوت السماوات فلا يخفى عليه شيء، ولا همهمة ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام)^(١٧٢) ومثل هذه الرواية كثير في الكافي وبصائر الدرجات وبحار الأنوار وغيرها من الكتب.

وينسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام الصادق قوله (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون)^(١٧٣).

(١٧٠) رجال الكشي ص ٢١١ رقم ٣٧٤ وانظر بصائر الدرجات ص ١٥١ وبحار الأنوار ٩٤ / ١٨٠

(١٧١) إزار النعمانية ٣١ / ١

(١٧٢) الأنوار النعمانية ٣٣ / ١

(١٧٣) الكافي ٢٦١ / ١

بينما يقول الله عز وجل عن نفسه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٧٤)

ويأمر أفضل الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين أن يقول للناس ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (١٧٥).

٤ - الإمام والتحكم في الكون !

فنسبت الشيعة الاثنا عشرية لجعفر الصادق قوله (إن الدنيا تمثل للإمام في مثل فلقه الجوز، فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء) (١٧٦).

وليس هذا بغريب، أمام ما ذكرته هذه الكتب من أن ضربة الإمام علي لمرحب اليهودي كادت أن تشق الأرض نصفين (١٧٧) !!

وفي رواية تُنسب للإمام الصادق (أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق، فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام) (١٧٨).

والأئمة في روايات الشيعة هم علة الوجود !

فقد نسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام الصادق قوله (نحن علة الوجود وحجة المعبود لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا) (١٧٩).

بل هم الكاف والنون التي يخلق الله بها الأشياء !!

(١٧٤) سورة النمل آية ٦٥

(١٧٥) سورة الأعراف آية ١٨٨

(١٧٦) الاختصاص ص ٢١٧ (قدرة الأئمة عليهم السلام)، وبحار الأنوار ٢٥/٣٦٧ باب (غرائب أفعالهم)، وبصائر الدرجات ص ٤٠٨ باب قدرتهم.

(١٧٧) مشارق أنوار اليقين ص ١١٠

(١٧٨) الاختصاص ص ٣٢٧

(١٧٩) بحار الأنوار ٢٦/٢٥٩ حديث ٣٦

فينسب الشيعة الاثنا عشرية إلى الإمام علي قوله في حديث طويل عن صفات الإمام (الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله، يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، فهو وليه في سماواته وأرضه . . . فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء . . . مفزع العباد في الدواهي والحاكم والأمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق . . . خلقهم الله من نور عظمته، وولاهم أمر مملكته، فهم سر الله المخزون وأوليأؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون - وفي نسخة - لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون ويأمره يعملون، مبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيبته وأم الكتاب وخاتمه) (١٨٠) !!

٥- لا فرق بين الأئمة وبين الله إلا أنهم عباده !!!

هذا ما نصت عليه الزيارة الرجبية والتي فيها (إنه لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك) (١٨١).

فالأئمة شاركوا الله عز وجل تقريباً في كل شيء سوى كونه معبوداً، فهو معبود وهم عباد، أما الاختلاف فبدرجة الكمال فقط، ولذا صار هو معبوداً وهم عبيد له، هذا ما أستطيع أن أفسر به كل ما قرأته وعبر عنه هذا النص، تماماً كما كان يقول مشركو مكة في تلييتهم (ليكن اللهم ليكن . ليكن لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) ! اختلفت الألفاظ وتطابقت المعاني ! فالصفات شاركوه فيها من الإحاطة بكل شيء علماً، ومن عدم السهو ولا الغفلة، وما إلى ذلك.

والأسماء الحسنى التي لرب العباد لم يشاركوه فيها فحسب بل ذكرت الروايات أن الأئمة هم الأسماء الحسنى (١٨٢)، فالإمام علي بن أبي طالب كما بيتنا هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم!

(١٨٠) بحار الأنوار ١٦٩/٢٥ إلى ١٧٤ باب آخر في دلالة الإمامة حديث ٣٨.

(١٨١) مشارق أنوار اليقين ص ١٣٤ والإنسان الكامل ص ١٢٨ والرسائل الثمانية ص ٨٨.

(١٨٢) روي في ذلك روايات شيعية كثيرة منها ما نسب للإمام علي كقوله عن نفسه (أنا الأسماء الحسنى) - شرح دعاء الجوشن ص ٥٧٦ والأنوار النعمانية ١٠٠/٢ - ومنها ما نسبته العياشي للإمام جعفر الصادق من قوله (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يُقْبَل من أحد إلا بمعرفتنا، قال عليه السلام: فادعوه بها) - تفسير العياشي ٤٢/٢ حديث ١١٩ والبرهان ٥٢/٢ - وقريب من هذه الرواية ما نسب إلى الإمام الباقر كذلك - انظر بحار الأنوار ٤/٢٥ حديث ٧ - ومثل هذا كثير.

حتى خلق الكون قد أسنده الشيعة الاثنا عشرية إلى الأئمة!

ففي صيغة زيارة الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه بإسناد صحيح عند الشيعة الاثني عشرية عن الإمام الصادق أنه قال: (بكم يباعد الله الزمان، وبكم يمحو الله ما يشاء ويثبت، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تُخرج الأرض أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها وورزقها، وبكم ينزل الله الغيث، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم) (١٨٣).

وفي الزيارة الجامعة المشهورة (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث) (١٨٤).

٦- الإمام يحاسب الخلائق يوم القيامة وهو الديتان !

روى المجلسي في بحار الأنوار ٢٧٢/٢٤ عن البرقي في كتابه الآيات عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال لأمر المؤمنين عليهم السلام: يا علي أنت ديّان هذه الأمة!، والمتولي حسابهم!، وأنت ركن الله الأعظم يوم القيامة!، ألا وإنّ المآب إليك!، والحساب عليك! والصراط صراطك!، والميزان ميزانك!، والموقف موقفك!!

قلت: قد قال الله تعالى عن نفسه في القرآن ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦) فجعلها الشيعة الاثني عشرية للإمام علي والأئمة، ولا أدري لماذا لا يصرح هؤلاء بأنّ علياً هو الله تعالى فيريحوا أنفسهم بدلاً من تعداد صفات الله وأسماء وتوزيعها على الأئمة بهذه الصورة؟!

الغلو في أمهات كتب الشيعة

لا يقتصر الغلو الذي نشير إليه على بضعة أحاديث هنا وهناك يمكن للمرء أن ينسلخ منها ويدّعي أنها لا تصح نسبتها إلى عقيدة الشيعة وأنّ الشيعة

(١٨٣) كامل الزيارات ص ٢٠٠ الباب ٧٩

(١٨٤) بحار الأنوار ١٠٢/١٤٤

الاثني عشرية منها براء، بل إن الغلو طال أبواباً كاملة يحوي كل باب منها على عدد لا يستهان به من الأحاديث المغالية، وإليك مثلاً على ذلك كتاب الكافي للكليني.

وهو أهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق، هذا ما يقرره محققو الشيعة الاثني عشرية وعلمائهم ومنهم سيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه المراجعات حيث يقول: (الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها). (١٨٥)

شهادة كهذه من عالم أصولي مدقق في الأخبار شهادة بالغة الأهمية وذات وقع كبير على الأصوليين من الاثني عشرية قبل الإخباريين، ولو أننا فرضنا حتى جداً أن عبد الحسين كان إخبارياً لا دراية له بالحديث (كما يحلو للأصوليين عادة أن يظهروا الإخباريين من الشيعة) فإنه يجوز لنا أن نشكك في حديثين من كل باب، ثلاثة، أربعة، أكثر، لا أن يستغل البعض تلك الحجة لنسف كتاب بأكمله انبنت عليه أحكام الشيعة وعقائدهم منذ عصر غيبة القائم! ولا شك أن اعتراف عالم كبير من علماء الأصوليين كعبد الحسين الموسوي بكون أحاديث الكافي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها وبكون الكافي أقدم وأعظم وأحسن وأتقن كتب الشيعة على الإطلاق، شهادة كافية لإلقاء نظرة على فهرس كتاب الكافي.

فهارس كتاب الكافي (الأصول) ج ١ دار التعارف - بيروت

- باب - أن الأئمة (عليهم السلام) ولاية أمر الله وخزنة علمه

- باب - أن الأئمة (عليهم السلام) خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى

- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) نور الله عز وجل
- باب- أَنَّ الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة
- باب- ما فرض الله عز وجل ورسوله (ﷺ) من الكون مع الأئمة (عليهم السلام)
- باب- في أَنَّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة (عليهم السلام)
- باب- أَنَّ الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم
- باب- أَنَّ الله عز وجل لم يُعلم نبيه علماً إلا أمره أن يُعلمه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه كان شريكه في العلم
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) لو سُر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه
- باب- التفويض إلى رسول الله (ﷺ) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين
- باب- أَنَّ القرآن يهدي للإمام
- باب- أَنَّ النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هي الأئمة (عليهم السلام)
- باب- عرض الأعمال على النبي (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام)
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً
- باب- أَنَّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم
- باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.
- باب- أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة (عليهم السلام) وأنهم يعلمون علمه كله

- باب- في أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) يزدادون في ليلة الجمعة
 - باب- لولا أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) يزدادون لنفد ما عندهم
 - باب- أَنَّ الأئمة (عليهم السلام) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (عليهم السلام).
- هذا بخلاف الكثير الكثير من الكتب التي انتهجت هذا المنهج ككتاب (بصائر الدرجات) للصفار، و(بحار الأنوار) للمجلسي وغيرها.

كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟

وإذا كان الغلو في الأئمة واقعاً في روايات الشيعة وفي أبرز كتب الطائفة العقائدية فإن ذلك الغلو أوضح ما يكون في أقوال ومصنفات مراجع الشيعة وعلمائهم الكبار الذين غرّبوا المرويات الشيعية في تلك الكتب وأثبتوا في رسائلهم وفتاويهم العقائدية ما يوافق المذهب ورفضوا ما لا يصح نسبته إليه من عقائد !

فإن من يقرأ تلك المرويات ويؤلمه ما فيها من غلو فاحش في أهل البيت يتصور للوهلة الأولى أن تلك المرويات مرفوضة من قبل هؤلاء المراجع وأنهم يتبرأون منها وممن كتبها لكنه حينما يقرأ فتاوى ومصنفات هؤلاء العلماء والمراجع يصاب بالصدمة بالفعل، ويتبين له بالدليل القاطع أن الغلو الذي تناقلته هذه الكتب هو جزء لا يتجزأ من العقيدة الشيعية الاثني عشرية.

١- الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء

يقول عن الإمام علي بن أبي طالب (إمام الشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام) الذي يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه في بدر، وأحد، وحنين والأحزاب، ونظرائها لما اخضر للإسلام عود، ولما قام له عمود، حتى قيل في ذلك: بنى الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيه ما استقام البناء نعم لولا حسامه ومواقفه بعد الهجرة وقبلها وحماية أبيه أبي طالب قبل الهجرة، هذا في

(١٨٦) علي بن أبي طالب إمام عظيم من أئمة المسلمين، وحصر كاشف الغطاء إمامته بالشيعة فقط تعصب منه وتحكم لا يرضاه أي مسلم.

مكة وذاك فيها وفي المدينة لقضت قريش وذئبا العرب على الإسلام في مهده وخنفته وهو في حجر أمه!! (١٨٧)

ولنا أن نسأل كاشف الغطا ماذا كان يفعل أصحاب رسول الله في بدر وحنين وغيرها من المشاهد؟ هل كانوا يتفرجون على الإمام علي وهو يقاتل أم كانوا معه جنباً إلى جنب؟! فما معنى تجاهل دورهم رضوان الله عليهم وينخسهم حقهم بهذه الصورة وادعاء أن حسام الإمام علي وحده هو الذي حفظ الإسلام دون حسام الزبير وطلحة وقوس سعد وقيادة خالد وغيرهم من الصحابة؟!؟

ثم ما معنى قول كاشف الغطاء (لولا سيفه ومواقفه في بدر لما اخضر للإسلام عود، ولما قام له عمود) واستشهاده ببيت شعر في ذلك، وقوله أيضاً (نعم لولا حسامه ومواقفه بعد الهجرة لقضت قريش وذئبان العرب على الإسلام في مهده وخنفته وهو في حجر أمه) فأين دور محمد عليه الصلاة والسلام؟!؟

لا أدري حقيقة من الرسول ومن التابع؟

فالشيعية الاثنا عشرية أسبغوا على الأئمة الاثني عشر صفات لا تجدهم أسبغوها على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مع كونه خير البشر! حاول أن تتبّع النصوص التي ذكرها الشيعة الاثنا عشرية في الأئمة وتحاول جاهداً أن تجد معشارها في رسول الله.

أما الإسلام فهو دين الله الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله، وخذلان أحد من الناس له كائناً من كان (أبو بكر أو علي أو عمر أو خالد أو غيرهم) لا يعني أن لا يقوم للإسلام عمود وأن لا يخضر للإسلام عود.

والله تعالى يقول عن نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ
 نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ^(١٨٨) إِذْ هُمَا فِي
 الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ
 وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
 وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٩﴾﴾^(١٨٩) فجعله الله عز وجل
 منصوراً ومسداً منه سبحانه وإن أعرض عنه الناس .

وليت غلو محمد آل كاشف الغطاء يقف عند هذه، لكنت حمدت الله
 وارتضيته رجل دين معتدل في مقابل باقي العلماء الذين لم يتركوا شيئاً لله إلا
 قالوه في الأئمة .

لكن آل كاشف الغطاء أبى إلا تجاوز هذا الحد إلى مستوى لا أملك
 التعليق عليه حين يقول عن الأئمة ما نصه :

يا كعبة لله إن حجت لها الأم لاك فعرشه ميقاتها
 أنتم مشيئته التي خلقت بها الأشياء بل ذرئت بها ذراتها
 أنا في الوري قال لكم إن لم أقل ما لم تقله في المسيح غلاتها^(١٩٠)

حيث يجعل كاشف الغطاء الأئمة كعبة تحج إليها الملائكة وجعل عرش
 الرحمن هو ميقاتها، وجعلهم هم مشيئة الله وقدرته التي خلقت بها الأشياء،
 بل وقطع على نفسه عهداً أن يقول في الأئمة ما لم تقله غلاة النصرانية في
 المسيح ﷺ، ولعله بهذه الأوصاف قد وصل إلى ما أراد، والله المستعان .

٢- آية الله العظمى الخميني

يستهل الخميني حديثه عن الأئمة فيقول (إن من ضرورات مذهبنا أن

(١٨٨) المعبر عنه في الآية بالثاني هو أبو بكر الصديق (صاحبه في الغار) وهذا معروف لدى السنة
 والشيعه .

(١٨٩) سورة التوبة آية ٤٠

(١٩٠) ديوان شعراء الحسين - محمد باقر النجفي ص ١٢ ط طهران ١٣٧٤ هـ

لأنتمنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل^(١٩١) وهذا يعني بكل وضوح أن الأئمة أفضل من الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، والشيعية الاثنا عشرية يستنون محمد عليه الصلاة والسلام من هذا، فيقولون بأن الأئمة الاثني عشر أفضل من الأنبياء جميعاً ما عدا محمد عليه الصلاة والسلام - عياداً بالله -!!

وينزه الخميني الأئمة الاثني عشر عن السهو والغفلة فيقول: (الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، نعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين)^(١٩٢) بل يذكر أن جميع ذرات الكون خاضعة لهم فيقول (إنّ للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون)^(١٩٣)

والغريب أن تجد عالمين من قدماء علماء الشيعة قد صرّحاً في زمانهما بأنّ القول بعدم جواز السهو على الأئمة هو أول درجات الغلو إلا أن هذه العقيدة الآن صارت مقررة في المذهب وصار من يخالفها من أعداء أهل البيت!

ولعل في هذا ما يؤكد مقولة أن مذهب الشيعة يتطور عقائدياً على مر الزمان، فكما تطور بالأمس من اختلاف سياسي مع بني أمية حتى صار فيما بعد خلافاً عقائدياً بين الشيعة أنفسهم (الزيدية والاثني عشرية والإسماعيلية والفضحية والواقفية وغيرها)، فإنه تطور كذلك عقائدياً من غلو إلى غلو أكبر علو. مر الرمس.

يقول ابن بابويه القمي في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ما نصه (إنّ الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي يقولون: لو جاز أن يسهو (أي النبي

(١٩١) الحكومة الإسلامية ص ٥٢

(١٩٢) الحكومة الإسلامية ص ٩٥

(١٩٣) الحكومة الإسلامية ص ٥٢

عليه الصلاة والسلام) في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ، لأن الصلاة فريضة كما أنّ التبليغ فريضة^(١٩٤)

وقد سبق القمي شيخه محمد بن الحسن حيث يقول فيما ينقله عنه تلميذه القمي (أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ والإمام^(١٩٥)) ترى لو كان محمد بن الحسن وتلميذه القمي في زماننا هذا، ماذا تراهم يقولون في كبار علماء مذهب الشيعة ومراجعهم بدءاً بخميني وانتهاء بأحدث مرجعية في عالم الحوزات العلمية، حين ترى المرجعيات التي تدعي أنها تمثل خط أهل البيت مجمعة فيما بينها على هذا الغلو وهو عندها أساس للاعتقاد!

يضاف إلى ذلك أمر هو أعجب مما سبق وهو الإيمان بأن الأئمة خلّقوا من النور ولم يُخلّقوا من أصل الخلقة التي خلّق منها آدم وهي التراب! تلك معادلة صعبة لم أستطع فك رموزها، ما الغاية التي من أجلها تُغيّر خلقة أهل البيت من صورتها الطبيعية التي فطر الله الناس عليها وعلى رأسهم الأنبياء، إلى هذه الصورة الملائكية؟!

سيسألك أحدهم بكل بساطة: (أليس الله على كل شيء قدير؟). أقول: نعم... هو كذلك عز وجل... لكنه قد جعل لكل شيء سبباً، وليست هذه العبارة ولا غيرها من التبريرات شماعة نعلّق عليها عقائدنا، فلاي غاية يُخلّق أهل البيت من نور، بينما يُخلّق أنبياء الله من طين، إن قلت ذاك تكريم لهم، أجيبك: وهل في خلقهم الطبيعية التي خلّق بها الأنبياء أي تنقيص؟!

ولك أن ترى إلى أي حد ذهب الغلو بالخميني حينما تقرأ قوله: (اعلم أيها الحبيب، أنّ أهل بيت العصمة عليهم السلام، يشاركون النبي صلى الله عليه وآله في مقامه الروحاني الغيبي قبل خلق العالم، وأنوارهم كانت تستبج

(١٩٤) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤

(١٩٥) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤ وشرح عقائد الصدوق ص ٢٦٠

وتقدّم منذ ذلك الحين، وهذا يفوق قدرة استيعاب الإنسان، حتى من الناحية العلمية، ورد في النص الشريف: (يا محمد، إن الله تبارك وتعالى، لم يزل منفرداً بوحدايته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم!! فهم يحلون ما يشاؤون أو يحزمون ما يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالى!!، ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد).

هذا ما ورد في حقهم عليهم السلام في الكتب المعتمدة، يبعث على تحير العقول، حيث لم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم إلا أنفسهم^(١٩٦)، صلوات الله وسلامه عليهم!!).^(١٩٧)

ويقول الخميني في مناسبة ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (أنا لا أستطيع ولا يستطيع غيري التحدث في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام). نحن لا نتمكن من إدراك الجوانب المختلفة من هذا الإنسان العظيم. إنه الإنسان الكامل ومظهر جميع أسماء الله وصفاته وبالتالي فإن أبعاده وجوانب شخصيته تكون ألفاً حسب أسماء الله تعالى ونحن لا نستطيع أن نوضح واحداً منها. هذا الإنسان الذي يجمع في نفسه الأضداد، لا يتمكن أحد من التحدث حوله. لذا أرى من الأفضل أن أصمت وأسكت... ثم يقول بعد هذا: (هذا الموجود، معجزة إلهية لا يستطيع أحد الوصول إلى حقيقته بل الجميع يتكلمون حسب

(١٩٦) وأقول للخميني: (حقيقتهم أنهم بشر مخلوقون وأن محمداً عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم، أرسله الله عز وجل بالرسالة الخاتمة وأيده بمعجزات تثبت صدقه، وهو كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثَلِّمٌ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾). أما علي وفاطمة فهم من سادة أهل البيت مكانة وشرفاً ورفعة اللهم إلا الغلو الفاحش الذي يريد به الخميني إخراجهم فيه عن طبيعتهم البشرية.

كنا نستكر في التصاري غلوهم الفاحش في المسيح عليه السلام - وهو نبي الله وروح منه - كيف جعلوه ابناً لله وصرفوا له الدعاء والاستغاثة والاستعانة وجعلوه وسيطاً بينهم وبين الله حتى رأينا من كلام علماء الشيعة ما دعانا للعجب والاستغراب، فتأمل كلام الخميني ثم أقرأ ما ألحقته بعده من كلام للخراساني والتستري وغيرهم لتترك المصيبة العظمى.

(١٩٧) الأربعون حديثاً للخميني ص ٦٥٤ وزبدة الأربعين حديثاً ص ٢٣٢ اختصار سامي خضرا.

فهمهم ومقدار إدراكهم والإمام علي عليه السلام غير ما يتصورونه ويتوهمونه أي أننا لا نستطيع أبدا أن نمدحه بما هو هو ^(١٩٨). ولهذا فالكل يأخذ بضعة من صفاته المتضادة ويخيل إليه أنه قد عرف أمير المؤمنين عليه السلام إذ ذاك فالأفضل علينا غض الطرف عن التحدث حوله بل نأمل أن نسير في مسير هدايته ونصل إلى بعض هذا الصراط ^(١٩٩).

٣- آية الله العظمى الخوئي

سئل في صراط النجاة السؤال التالي (ترشد بعض الروايات إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله والزهاء عليها السلام يحضران مآتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام، فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الورود فهل يشمل حضور بقية الأئمة عليهم السلام؟

أجاب الخوئي: هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلت عليه، والله العالم! ^(٢٠٠)

٤- آية الله العظمى جواد التبريزي

يقول في تعليقاته وفتاويه المطبوعة مع صراط النجاة للخوئي إجابة على سائل يقول: (ما رأيكم فيمن يعتقد بأن النبي وأهل بيته عليهم السلام كانوا موجودين بأرواحهم وأجسامهم المادية قبل وجود العالم، وأنهم كانوا مخلوقين قبل خلق آدم عليه السلام لا أن الله تعالى جعل صورهم حول العرش، فما هو الجواب؟

أجاب التبريزي: كانوا عليهم السلام موجودين بأشباحهم النورية قبل

(١٩٨) هذه عبارة اعتدنا أن نردها في رب العالمين، فنقول كل كمال تتصوره في رب العالمين فالله خير وأكمل من ذلك، فعقولنا لا تدرك هذا الكمال المطلق كما هو وإن أدركت معناه،

لكنها عند الخميني نقال لعلي بن أبي طالب !!

(١٩٩) جريدة رسالت رقم ٦٢٨، ١٢/١٢/٦٦

(٢٠٠) صراط النجاة ج ٣ ص ٣١٩، سؤال رقم (١٠٠٠)

خلق آدم ﷺ، وخلقته المادية متأخرة عن خلقه آدم، كما هو واضح، والله اعلم!!

وسئل أيضاً: هل يجوز الاعتقاد بأن الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعددة بنفسها ودمها ولحمها؟

أجاب التبريزي: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعددة في زمان واحد، لا مانع منه، فإن صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسماً عنصرياً ليجتاز إلى الزمان والمكان، والله العالم!!! (٢٠١)

وسئل أيضاً: هل هناك خصوصية للزهراء عليها السلام في خلقتها، وبالنسبة للمصائب التي جرت عليها بعد أبيها ﷺ من ظلم القوم لها، وكسر ضلعها وإسقاط جينها، ما رأيكم بذلك؟

أجاب التبريزي: نعم، فإن خلقها كخلق سائر الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) بلطف من الله سبحانه وتعالى، حيث ميزهم في خلقهم عن سائر الناس وكانت فاطمة (عليها السلام) في بطن أمها محدثة وكانت تنزل عليها الملائكة بعد وفاة الرسول ﷺ!!! (٢٠٢)

وسئل أيضاً: بالنظر إلى آية المباهلة، وما تضافرت به الروايات والزيارات (كزيارة الجامعة الكبيرة مثلاً) هل يمكن القول بأن الأئمة الاثني عشر والزهراء عليها السلام هم أفضل من الخلق كافة، سوى الرسول الأكرم ﷺ؟

أجاب التبريزي: نعم القول في المزبور متعين بالنظر إلى الآية، والروايات المشار إليها، ويريدها الزيارات. (٢٠٣)

وهذا تصريح من التبريزي بكون الأئمة والزهراء أفضل من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يخفى ما في هذا من

(٢٠١) صراط النجاة ج ٣ ص ٤٣٩، سؤال رقم (١٢٦٣)

(٢٠٢) صراط النجاة ج ٣ ص ٤٣٩-٤٤٠، سؤال رقم (١٢٦٤)

(٢٠٣) صراط النجاة - ج ٢ ص ٥٦٨

الغلو فيهم بل وفي الطعن في أنبياء الله الذين اختارهم لحمل رسالته في تفضيل أهل البيت عليهم.

وسئل أيضاً: ما هو المراد بمصحف فاطمة عليها السلام؟

أجاب التبريزي: المراد بمصحف فاطمة عليها السلام ما ورد في الروايات المعتبرة في الكافي (أن ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها، ويُسليها ويحدثها بما يكون من الأمور، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك الحديث فسمي ما كتب بمصحف فاطمة عليها السلام، فهو ليس قرآناً كما توهم، ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام، فإنّ هذا التوهم مخالف للنصوص. ولا غرابة في حديث الملائكة مع الزهراء عليها السلام فقد ذكر القرآن أنّ الملائكة حدثت مريم ابنة عمران ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ ومن المعلوم أفضلية الزهراء على مريم ابنة عمران، كما ورد في النصوص المعتبرة من أن مريم سيّدة عالمها، وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين. (٢٠٤)

ونحن في الحقيقة لا نجادل في منزلة ومقام سيدتنا فاطمة، فهي سيّدة نساء العالمين بالفعل، لكننا نسأل التبريزي هل يعتقد أنّ الوحي لم ينقطع بعد وفاة رسول الله ﷺ وأنّ جبريل أمين الوحي يمكن أن ينزل على أحد بعد رسول الله؟!؟

ويبدو أنّ التبريزي قد خجل من ذكر اسم الملك الذي نزل على الزهراء في حين أنّ كل الروايات الشيعية التي تذكر هذه الحادثة تنص على أنه جبريل أمين الوحي!

إنّ قياس ما حصل لمريم عليها السلام مع ما حصل لفاطمة عليها السلام قياس غريب جداً، إذ أنّ جبريل عليه السلام لم ينزل على مريم بنت عمران ويحدثها إلا ليبشرها بالمسيح عليه السلام ثم ينفخ في جيبها لتنجب المسيح عليه السلام، فما وجه قياس ما حصل لمريم عليها السلام بحال فاطمة عليها السلام؟!؟

ثم إن مريم بنت عمران كانت في زمان لم تنقطع به النبوة فلا مانع من نزول جبريل عليه السلام عليها لكن فاطمة عليها السلام بمجرد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين فإنه انقطع الوحي عن أهل الأرض، فكيف ينزل جبريل ويملي عليها وعلى علي علي هذا المصحف؟ ولماذا جبريل بالذات وكلنا يعلم أنه الملك الموكل بالوحي؟! ألا يُعَذِّبُ هذا طعنًا في ختم نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والتي من مستلزماتها انقطاع الوحي بوفاة عليه الصلاة والسلام؟! ..

ثم إن الشيعة يستنكرون القياس في العبادات فكيف يجيزونه في العقائد .. عجباً!

إن هذه العقائد نموذج حي للغلو الذي دخل على التشيع لأهل البيت باسم حبههم ومناصرتهم.

٥- آية الله العظمى محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

يقول في كتابه (من فقه الزهراء) ما نصه: (ثم إنهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) يحيطون علماً وقدرة - بإذن الله تعالى - بالكائنات جميعاً إلا ما استثنى، وقد تقدّم في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث (يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن) ^(٢٠٥) فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها) ^(٢٠٦)

ويقول أيضاً: (كما أنها (صلوات الله عليها) - يهـ بي السيدة فاطمة - تعلم الغيب كسائر المعصومين عليهم السلام حسب مشيئته سبحانه.

ولها ولهم عليهم السلام الولاية التكوينية ومعناها: أن زمام العالم بأيديهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإمامة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها

(٢٠٥) يهـ بي أن يقول الشيرازي أنهم رب العالمين.

(٢٠٦) من فقه الزهراء - المقدمة ص ٣٦-٣٧ تحت عنوان (شمولية علمهم وقدرتهم عليهم

إيجاداً وعدماء، لكن من الواضح أنّ قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم عليهم السلام القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين عليهم السلام، فإنّ كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء عليهم السلام ثابتة للمعصومين عليهم السلام أيضاً، لأنهم أفضل منهم، وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام إلا الرسول ﷺ (٢٠٧)

٦- آية الله العظمى وحيد خراساني

يخاطب الوحيد الخراساني الإمام المهدي بقوله "يا فاعل" ما به الوجود" ويا من أينما كان " ما منه الوجود" (أي الله تعالى) كنت أنت أيضاً هناك، فلا يخلو مكان - بحكم البرهان - من فاعل ما منه الوجود، ولا يخلو مكان منك أنت أيضاً، لأنّ أفعاله تعالى وإن كانت أفعاله ولكنها بواسطتك، فمنه تعالى كل شيء، لأن كل شيء منه لا إله إلا الله، ومنك كل شيء، لأن كل شيء يكون بواسطتك. إننا موحدون... لا نعرف شيئاً منك، بل نعرف أن كل شيء من الله تعالى، ولكن في عين الحال التي نرى أن كل شيء منه هو، نرى أيضاً أن أنفاس صدورنا منه ولكن بك أنت، والنظرة والرؤية التي نتمتع بها، والخطوة التي نخطوها، كلها منه سبحانه وتعالى، ولكنها بك أنت... أيتها الرحمة التي وسعت كل شيء" (٢٠٨)

ويقول الوحيد الخراساني بصراحة مثيرة:

- "إنّ إمام العصر صار عبداً، وعندما صار عبداً صار رباً، ف" العبودية

(٢٠٧) من فقه الزهراء - المقدمة ص ١٢ تحت عنوان (الولاية التكوينية والتشريعية).

(٢٠٨) صفحة ٤١ من كتاب مقتطفات ولائية، ترجمة عباس بن نخعي، المحاضرة الثالثة تحت عنوان (صبر الحجة) ألقاها في المسجد- الأعظم بقم بتاريخ ١٣ شعبان ١٤١١ الموافق

جوهرة كنهها الربوبية " فمن ملك هذه الجوهرة تحققت ربوبيته - بالله تعالى لا بالاستقلال - بالنسبة إلى الأشياء الأخرى. (٢٠٩)

وتأييدا لأقواله الباطلة، يستورد الوحيد الخراساني حديثاً من أحد أقطاب الفرقة الخطابية الملعونة والباطلة التي كانت تؤله الإمام الصادق، وهو (المفضل بن عمر) يقول فيه كذباً وزوراً وبهتاناً: " إنه سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قول الله تعالى (وأشرق الأرض بنور ربها): رب الأرض إمام الأرض. قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتثرون بنور الإمام ". (٢١٠)

واستناداً إلى أقوال الغلاة هذه يعتقد الشيخ الوحيد الخراساني: " أن إمام العصر هو صاحب مقام الإمامة المطلقة، أي العلم المطلق والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والكلمة التامة والرحمة الواسعة ". (٢١١)

ويقول: (لا شك أن إمام الزمان جوال في زيارة أولياء الله ولا حجاب أمامه، فمن هو "فاعل ما به الوجود" لا يكون محجوباً). (٢١٢)

ومع أن الله عز وجل ينهانا عن دعاء غيره ويقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ و﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَالِكُمْ﴾ فإن الشيخ الوحيد الخراساني يوجه المسلمين وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي، فيقول: " من الضروريات والمسلمات: إن كل من تنقطع به السبل وبيته في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق، سواء كان يهودياً أو نصرانياً، أو مسلماً شيعياً أو سنياً. لا فرق بتاتاً، إذا ما ندب في ذلك الحين وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فإن النتيجة قطعية الحصول...

(٢٠٩) المصدر صفحة ٣٩

(٢١٠) المصدر صفحة ٦٢

(٢١١) المصدر صفحة ٤٣

(٢١٢) المصدر صفحة ٤٢

والسر في ذلك أَنَّ الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحجب، وفي غير تلك الحالة فَإِنَّ الندبة غير متوجهة إليه! والأمر سيان بين الله وبين سبيل الله، " من منه الوجود " و من به الوجود " والحكم في الحالين واحد، فكما أن التوجه بالدعاء إلى " من منه الوجود " يجب أن يتحقق حتى تتحقق الاستجابة، كذلك الأمر بالنسبة إلى " من به الوجود " فهو السبيل الأعظم والصراط الأقوم، فَإِنَّ التوجه إليه بالدعاء يجب أن يتحقق فتتحقق الاستجابة في ذلك الحين بالضرورة). (٢١٣)

(وإذا اضطر أحد فتوجه إلى (السبيل الأعظم) أي " من به الوجود " للنجاة من صحراء تاه فيها وبلوغ المعمورة، فإنه ﷺ يرشده إلى الطريق ويدله على ما يجب أن يفعله حتى ينجو . . . لقد اضطرته تلك الحال فلجأ إليه وتوسل به، فينظر ﷺ إليه نظرة يكون فيها دواؤه وشفاءه). (٢١٤)

ويغفل الوحيد الخراساني عن حقيقة أَنَّ النبي ﷺ وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصره أوليائهم أو المستغيثين بهم، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون.

٧- آية الله العظمى ملا زين العابدين الكلبيكاني

يقول في حديثه عن الأئمة: (فليس في بول المعصومين ودمائهم وأبوالهم وغائطهم استخباث وقذارة يوجب الاجتناب في الصلاة ونحوها كما هو معنى النجاسة، ولا تنن في بولهم وغائطهم بل هما كالمسك الأذفر، بل من شرب بولهم وغائطهم ودمهم يحرم الله عليه النار واستوجب دخول الجنة)!! (٢١٥)

(٢١٣) المصدر صفحة ٥٠

(٢١٤) المصدر صفحة ٥١

(٢١٥) أنوار الولاية ص ٤٤٠ ط ١٤٠٩ هـ

وهذه دعوة من الكلبايكاني لكل موالي في أن يتمنى لو أنه حصل على شيء من ذاك البول وذاك الغائط حتى تحرم عليه النار ويكون مصيره إلى الجنة!

لن أعلق بل سأترك التعليق لك أيها القارئ.

٨- آية الله الحائري الإحقاقي الراحل

سُئِلَ آية الله الحائري عن معنى كلمة (شديد القوى) في سورة النجم فأجاب (.... كيف وقد صح، واشتهر عند الإمامية أَنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو معلم جبرائيل في العالم الأول (عالم النورانية) والرواية معروفة لا حاجة إلى ذكرها) ^(٢١٦)

فهل علم علي بن أبي طالب جبريل أمين وحي السماء؟! غلو فاحش وضلال مبين لا يحتاج إلى تعليق.

ويسأله أحد مقلديه قائلاً: (لما مرض النبي ﷺ، مرضه الذي توفي فيه، أوصى إلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (إذا فاضت نفسي المقدسة فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم قال: وإذا مت غسلني وكفني واعلم أَنَّ أول من يصلّي عليّ الجبار جل جلاله، ثم أهل بيتي ثم الملائكة ثم الأمثل والأمثل من أمتي)، فما معنى إفاضة نفسه، وتناولها بيد علي عليه السلام ومسحها بوجهه ثم ما كيفية صلاة الجبار عليه؟ أفيدونا أطل الله بقاءكم.

يأتي جواب الحائري على هذا التساؤل فيقول: (النفس هنا معناها الروح، يعني خرجت روحي من جسدي، فتبارك بها وامسح بها وجهك، ولأن روحه الزكية أفضل روح، وأشرف روح بين الأرواح، فهي مباركة طيبة. هذا إذا كانت روحه البشرية وأما إذا كانت النفس اللاهوتية ^(٢١٧)، فهي التي

(٢١٦) الدين بين السائل والمجيب ٤٩/٢ سؤال رقم (٢٤٠)

(٢١٧) (اللاهوت) مصطلح استخدمه النصارى ومعناه عندهم (جوهر الله)، والحائري يطلقه على الأئمة دون خجل، ثم يدعي هو ومن يحذو حذوه بأنهم يتبرأون من الغلو والغلاة!!

تنتقل من معصوم إلى معصوم، بعد وفاة كل منهم، وهي الملك المسدد الذي جاء في أخبارنا.

وفي بعض الروايات تتجسم كالزبدة على شفتي الإمام عند وفاته، فيتناولها الإمام من بعده بفمه ويأكلها.

وفي بعضها: تتجسم كالعصفور فيلعبها وصيه والإمام من بعده، كما جرى ذلك بين الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام. (٢١٨)

٩- العلامة جعفر التستري

يقول في كتابه الخصائص الحسينية (اعلم أن الله جل جلاله لم يزل متفرداً ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلما ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات اشتق من نوره نور علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - وجعل لهم محال متعددة وعوالم مختلفة كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة فمنها: قبل خلق العرش، ومنها: بعده خلق آدم، ومنها: بعده أنوار تارة وأشباح نور تارة، وظلال وذرات وأنوار في الجنة تارة، وعمود نور وأقذف في ظهر آدم ﷺ تارة، وفي أصابع يده الأخرى، وفي جبينه تارة، وفي جبين كل جد من الأجداد من آدم ﷺ إلى والد النبي ﷺ عبد الله بن عبد المطلب، وفي جبين كل جدة عند الحمل ممن هو في صلبه من حواء، إلى أم النبي آمنة بنت وهب. ثم إن أنوارهم محال متعددة قدام العرش، وفوق العرش، وتحت العرش، وحول العرش، وفي كل حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار الأنوار، وفي السراقات ولبقائهم في كل محل مدة مخصوصة. فمدة وجودهم قبل خلق العرش أربعمئة ألف وعشرون ألف، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف عام قبل خلق آدم عليهم السلام، وزمان كونهم تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم، وليس المقام مقام هذه التفاصيل فإنه يحتاج إلى كتاب مستقل، إنما المقصود بيان خصائص الحسين ﷺ في نوره وامتياز نوره من الأنوار في جميع هذه العوالم

والحالات في الظلال والأشباح والذرات، وحين تجسّمه بالشجرة في الجنة والقرط في أذن الزهراء عليها السلام وهي في الجنة في إحدى هذه العوالم.

نقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبي ﷺ وامتيازته كون نوره من نوره، فإنه من حسين وحسين منه، وحين افتراقهما قد كان لنور الحسين ﷺ خصوصية في أن رؤيته كان موجباً للحزن^(٢١٩)

ويقول تحت عنوان (في أنّ الله خصه - ﷺ - بخصائص الكعبة) بعد مقارنة بين مقام وزيارة الحسين وبين الكعبة ما نصه: (التاسعة: جعل طوافه ركناً من أركان الإسلام فقال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(٢٢٠) ومن لم يأت به نقص ركناً من أركان الإسلام، والحسين - ﷺ - قد جعلت زيارته ركناً من أركان الإسلام والإيمان، فقد ورد في الحديث أنّ تارك زيارته منتقص الإيمان قاطع لحرمة رسول الله ﷺ ورحمه وقد عرق رسول الله ﷺ، وفي رواية ليس بشيعة، وفي رواية إن كان من أهل الجنة فهو من ضيفانهم، وفي رواية تارك حقاً من حقوق الله ولو حج ألف حجة، وفي رواية محروم من الخير، وفي رواية بعد أن سمع أحدهم - عليهم السلام - أنّ جماعة من الشيعة تأتي عليهم السنة والستة لا يزورونه، قال: حظهم أخطأوا وعن ثواب الله زاغوا وعن جوار رسول الله ﷺ تباعدوا^(٢٢١)

ويقول تحت العنوان نفسه أيضاً (الثالثة عشرة: جعله مطافاً للناس وجعل ثواب الطواف جزيلاً بالنسبة إلى أشواطه وخطواته، وقد زادت فضيلة زيارة الحسين ﷺ على ذلك أضعافاً كثيرة كما تبين في عنوان الزيارة.

الرابعة عشرة: جعله مطافاً للملائكة كما ورد أنه لما بنى جبرائيل الكعبة بأمر الله طافت حولها الملائكة وهم سبعون ألف ملك كانوا يحرسون الخيمة التي أنزلت من الجنة وبنيت على قواعد البيت التي بناها الملائكة قبل خلق

(٢١٩) الخصائص الحسينية (محل نوره بعد خلقه) ص ٢٨-٢٩

(٢٢٠) سورة آل عمران آية ٩٧

(٢٢١) الخصائص الحسينية ص ٢٩٣

آدم، ورفعت قواعدها بازاء الضراح والبيت المعمور والعرش، ولما نحى الخيمة وبنى جبرائيل البناء الثاني وطافت الملائكة حوله نظر آدم وحواء إليهم فانطلقا وطافا سبعة أشواط، والحسين عليه السلام قد كان مطافاً للملائكة حين كان نوراً مع الأنوار المحدقة بالعرش وكان شفيعاً للملائكة (٢٢٢)

وتحت العنوان نفسه أيضاً: (التاسعة عشرة: أن الكعبة مطاف الأنبياء من آدم إلى خاتم النبيين عليهم السلام كما دلت عليه الروايات الكثيرة المتواترة. وقد ثبت مثل ذلك للحسين عليه السلام بالنسبة إلى جسده تارة وبالنسبة إلى رأسه الشريف وبالنسبة إلى قبره المنيف) (٢٢٣)

ويؤكد التستري على قضية أن مرقد الحسين حرم كسائر بيوت الله بل هو عند الشيعة أعظم حرمة من الكعبة بحسب الروايات الشيعة الكثيرة.

يقول التستري: (الثلاثون: أن الله خلق مكة واتخذها حرماً قبل دحو الأرض، ولكن قد ورد في كربلاء عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنه إلا النبيون والمرسلون، أو قال: أولو العزم من الرسل وأنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض) (٢٢٤)

ويقول أيضاً: (الواحدة والثلاثون: أن مكة قد تكلمت وتفاخرت بكرامة الله لها فقالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق. ولكربلاء فضل على ذلك أنها تفاخرت فأوحى الله إليها أن كفي وقري ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست

(٢٢٢) المصدر ص ٢٩٦

(٢٢٣) المصدر ص ٣٠٠

(٢٢٤) المصدر ص ٣٠٦

في البحر فحملت، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقري وكوني دنية متواضعة ذليلة مهينة غير مستنكفة ولا مستكبرة لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم (إلي آخر كلامه). (٢٢٥)

ويقول تحت عنوان (ما أعطي للأنبياء من الحسين عليه السلام) ما نصه:
(اعلم أنه قد أعطي جميع الأنبياء من الحسين عليه السلام شئين:

الأول: أنه أسوة لهم. فكان كل واحد منهم إذا أصابته مصيبة تأسى بالحسين عليه السلام وصبر عليها تأسياً بالحسين عليه السلام ولذا قال علي عليه السلام يوماً للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً.

الثاني: أن كل ما وقع يعني في شدة فقد حصل الفرج له عند التلطف باسم الحسين عليه السلام وفي ذلك روايات:

الأول: في قبول توبة آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء الخمسة فكانت الاستجابة عند قوله بحق الحسين.

الثاني: في سكون سفينة نوح عليه السلام حين أوحى إليه أن يتوسل بالخمسة فكان الاستواء على الجودي عند قوله وبحق الحسين.

الثالث: في استجابة دعاء زكريا عليه السلام حين قال فهب لي من لدنك ولياً فعلمه الأسماء الخمسة فحصلت البشارة بيحيى عند قوله بحق الحسين.

الرابع: في نجاة يونس من بطن الحوت فإنه دعا بحق الخمسة وحصل نذه بالعراء عند قوله بحق الحسين.

الخامس: في كشف الضر عن أيوب عليه السلام فإنه حصل عند دعائه متوسلاً بالخمسة ونودي بقوله اركض برجلك هذا مغسل بارد عند قوله بحق الحسين عليه السلام.

السادس: حصول الفداء لإسماعيل فإنه قد ورد أن المراد بذبح عظيم هو الحسين عليه السلام ولذلك معنى لا يلزم منه كون إسماعيل أعلى رتبة.

السابع: في خروج يوسف عليه السلام من غيابة الجب فإنه حصل بالتوسل بالخمسة وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه عند قوله (وبحق الحسين عليه السلام).

الثامن: في خروج يوسف من السجن فإنه لما توسل بالخمسة بعد بضع سنين فلما قال (وبحق الحسين) جاء صاحب السجن وقال يا يوسف أيها الصديق أفتنا إلى آخر القصة.

التاسع: في تفريج الغم ليعقوب عليه السلام فإنه لما ضاق عليه الأمر قال: رب أما ترحمني، ذهبت عيناى ونور عيني فأوحى الله إليه (قل اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن ترد علي عيني) فبمجرد التلفظ بالحسين جاء البشير وارتد بصيراً (٢٢٦)

وهكذا قارن التستري بين أنبياء الله الذين اصطفاهم لحمل رسالاته وبين الحسين ابن ابنه رسول الله، وفرق بين أن يكون الرجل قريباً من رسول الله وكونه سيد شباب أهل الجنة وله من الفضائل ما له وبين أن يقارن بنبي واحد فضلاً عن جميع الأنبياء كما حلا للتستري أن يقارن.

والحقيقة أن التستري لم يكتف بمقارنة الإمام الحسين بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وبأولي العزم من الرسل بل تعدى ذلك إلى مقارنة بين ما لله رب العباد من القدسية والعظمة سبحانه وبين ما لموت الحسين شهيداً من قدسية حيث يقول تحت عنوان (في خصوصية عطاياه عليه السلام) ما نصه: (الأول: إن من صفات الله ﴿وَلَا يَمُنُّ بِشَيْءٍ إِلَّا يَسِّحُ بِهِ﴾ وله خمس معان،

وقد أُعطي الحسين عليه السلام ما يناسب ذلك، فإن من شيء إلا وقد بكى لمصيبته ولكن لا نفقه بكاءهم فبكاء كل شيء بحسب حاله، ولا ينحصر في تقاطر الدمع من العين، فبكاء السماء تقاطر الدم، وبكاء الأرض أن كل حجر يُرفع يرى تحته دم، وبكاء السمك خروجها من الماء، وبكاء الهواء إظلامها، وبكاء الشمس كسوفها، وبكاء القمر خسوفه كما ورد كل ذلك في الروايات (٢٢٧)

ولا يخفى على القارئ اللبيب أن التستري فيما نقلناه عنه قد أتعب من بعده في أن يأتي بغلو مشابه أو أكبر، اللهم إلا التصريح بالوهية الأئمة أو أنهم أبناء الله أسوة بالنصارى القائلين بأن المسيح عليه السلام ابن الله الإنسي.

طلاسـم في كتب الأدعية والاستشفاءات !

سئل الخوئي عن حكم الاعتقاد بالطلاسـم الموجودة في كتب الأدعية وغيرها فأجاب كما هو مسطر في أجوبة استفتاءاته: (لا نعرف ما هذه الطلاسـم، وإن كانت من أنواع السحر فهي محرمة وإلا فمباحة!) (٢٢٨)

فقتد الخوئي حرمة الاعتقاد بالطلاسـم والتدين بها ما إذا كانت من أنواع السحر، دون أن يستنكر على السائل اعتباره هذه الطلاسـم وأمثالها من الخرافات جزء من أدعيته أو استشفاءاته وعقيدته، بل أعطاه صكاً بجواز الانتفاع بها إن لم تكن سحراً، وهذا بحد ذاته أمر خطير يندى له الجبين، وثمرته لا تخفى على كل بصير.

ومن غير المعقول أن يكون الخوئي وهو من هو في العلم عند الشيعة حتى أطلق عليه اسم (أستاذ الأساتذة) وكان زعيماً للحوزة العلمية في النجف أن لا يكون قد مر عليه في حياته كتاب مفاتيح الجنان أو الدعوات لابن طائوس أو غيرها من كتب الأدعية حتى لا يعي ما معنى الطلاسـم ومن يُخاطب بتلك الطلاسـم!

بل كان تصريح الخوئي منصباً على كتاب (ضياء الصالحين) على وجه الخصوص والذي لم يطلع الخوئي على طلاسـمه، غاية ما في الأمر أن الخوئي أفتى بجواز الانتفاع بهذه الطلاسـم وعليك أن تدرك ماذا يمكن أن يستفيد العامي من هذه الطلاسـم عقائدياً وفكرياً!

وقد كانت تمر عليّ قبل قراءتي لهذه الفتوى بعض الطلاسـم والخرافات الغريبة العجيبة، وكنت أظن أن لعلماء الشيعة موقفهم المتشدد تجاه هذه

انظر إلى العبث بكتاب الله، فأين قول الله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية من طلاس الشيطان وخرافات المخرفين !

ومنها ما هو مروى عن الإمام الصادق لتزويج العانس - ونحن نجل الإمام الصادق عن هذا الكذب- (عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية أخرى أنه قال: من بقيت لديه ابنة في المنزل فليكتب سورة الأحزاب على رق غزال وليضعها في حلقة وليغلق باب تلك الحلقة جيداً وليخفها في منزل تلك البنت فستجد زوجاً) (٢٣٢)

وكذلك (يكتب سورة (إنا فتحنا) إلى قوله تعالى ﴿عزيزاً حكيماً﴾ بزعفران على لباس الفتاة ستجد زوجاً. ولمثله يكتب ويعلق عليها (البسملة) عشر مرات وعشر واوات وثلاث ميمات وثلاث لامات وثلاث خواتيم سليمان) (٢٣٣)

وهذا سحر وليس بطلمس، والمكتبات الإسلامية الشيعية هي الناشرة لهذا الكتاب ! وعلماء الشيعة سكوت !

وفي كتاب مهج الدعوات ومنهج العبادات طلمس آخر عنوانه المؤلف بعنوان (حرز آخر لمولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، ويعتبر مؤلف الكتاب ابن طاووس من كبار علماء الشيعة الإمامية ومن المتقدمين حيث كانت وفاته سنة ٦٦٤ من الهجرة.

يقول الطلمس (يكتب ويشد على العضد الأيمن وهو: بسم الله الرحمن الرحيم أي كنوش أي كنوش ما طيطاسالوس خيطوس مسفلس ممصاصعوس الطيعوس بالاسم المكتوب على جبهة إسرافيل اطرودوا عن صاحب هذا الكتاب كل جنى وجنية وشيطان وشيطانة وتابع وتابعة وساحر وساحرة وغول

(٢٣٢) أكسير الدعوات ص ١٥٥ أدعية إكثار النسل (الدعاء لمن أراد تزويج بناته وأهله)

(٢٣٣) أكسير الدعوات ص ١٥٥ أدعية إكثار النسل (الدعاء لتزويج البنت والمرأة)

وغولة وكل متعبث وعابث يعبث بابن آدم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين) ثم رسم للطلسم وبعدها (خير خير خير خير خير ثم ثم سرجه حلدا مل ..) (٢٣٤)

فانظر إلى هذا العبث وهذه الخزعبلات واحمد الله أن جعل لك عقلاً يبرأ الإمام علياً وأهل البيت عن هذا الافك.

وهناك طلسم آخر في الكتاب ذاته بعنوان (حز الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)) ذكر فيه ما نصه: (يكتب ويشد على العضد: أعين نفسي بربي الأكبر مما يخفى ويظهر ومن شر كل أنثى وذكر ومن شر ما رأت الشمس والقمر) ثم رسم المؤلف شكلاً للطلسم ثم قال (يا حي يا قيوم يا ديان يا ديان يا إهيا أشرا إهيا آذونا أصباوث آل شدای) ثم رسم طلسماً آخر وقال (أسألك بحق هذه الأسماء الطاهرة المطهرة أن تدفع عن صاحب هذا الكتاب جميع البلايا وتقضي حوائجه إنك أنت أرحم الراحمين وصلوات الله على محمد وآله الطاهرين اللهم كهكهيح بعسط مهحما مسلح وروره مهفتام وبعونك إلا ما أخذت لسان جميع بني آدم وبنات حواء على فلان بن فلان إلا بالخير يا أرحم الراحمين فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين) (٢٣٥)

أما العدو فله طلسم آخر (ومما ينفع لهلاك العدو يقرأ يوم الأربعاء حين طلوع الشمس (بسم الله الرحمن الرحيم يا أبا الغوث أغثني ناد علياً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي) إحدى وأربعين مرة ثم ينفخ باتجاه منزل المقصود فإنه يهلك أو يذل) (٢٣٦)

(٢٣٤) مهج الدعوات ومنهج العبادات لابن طاووس ص ٢٠-٢١ (حز مولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

(٢٣٥) نفس المصدر ص ٣٠-٣١ (حز الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)).

(٢٣٦) أكسير الدعوات ص ١٧٩ أدعية الأمان من السلطان والأعداء (الدعاء على الظالم).

أقول: قال الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٢٣٧)، وقال تعالى ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (٢٣٨) وقال عز من قائل ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟﴾ (٢٣٩)، فوالله لن تستطيع هذه الطلاسم ولن يستطيع الإنس والجن على نصرة أحد منا أو إهلاكه إلا بأمر الله، ولن ينتصر المسلم بهذه الخزعبات والطلاسم بل بتصحيح عقيدته ونصرة دينه.

ولعله من المضحك المبكي في هذه الطلاسم أنها تطلب النصرة والغوث من الإمام علي بن أبي طالب، ويتصور الجاهل أنها ستنفعه وأن علياً سينصره، في حين أنك لو حدثته عن الخلافة وعن الصحابة وسألته لماذا لم ينتصر الإمام علي على مخالفيه، ولماذا قُتل الحسين شهيداً ولم يفتك بيزيد لقال لك (لم يجد الإمام علي من ينصره) وتذكر الحسين وردد لك عبارة حفظها منذ الصغر يقول فيها (ألا من ناصر ينصرني)، فمن لا يستطيع أن ينصر نفسه كيف له أن ينصرك أيها المخدوع؟!

ونرجع لنقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٤٠).

(٢٣٧) سورة فاطر آية ١٠

(٢٣٨) سورة محمد آية ٧

(٢٣٩) سورة آل عمران آية ١٦٠

(٢٤٠) سورة الأعراف آية ١٩٤

الخلافة والإمامة

(أيها الناس؛ إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه،
وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب،
فإن أبي قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد
حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل،
ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها؛ ثم ليس
للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار).

الخلافة والإمامة

إنَّ وجود نظام يكفل للمجتمع كيانه ويحفظه من الفوضى ضرورة لازمة لاستمراريته وبقائه وحفظ كيانه من الاندساس.

يوضح ابن خلدون ماهية هذا النظام فيقول: (قوانين سياسية مفروضة يُسَلِّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، فإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾) (٢٤١)

والمسلمون بشتى توجهاتهم المذهبية ومشاربهم الفكرية مجمعون على أهمية وجود النظام وكونه ضرورة لا غنى عنها، بل كل من لديه مسحة عقل لا يجادل في هذا أصلاً!!

ولذلك تجد أنَّ الخلاف السني الشيعي حول قضية الإمامة ليس منصباً على ضرورة وجود إمام يقود الأمة أو عدم وجوده، إذ كلا الفريقين يرى وجود إمام وقائد للأمة الإسلامية أمراً لا بد منه ولا محيص عنه، لكن مفترق الطريق بين الفريقين منصب على نمط هذه الإمامة . . هل لها القدسية التي أعطاها الله عز وجل للنبوّة بحيث يكون أمر الحاكم تماماً لو كان النبي عليه الصلاة والسلام موجوداً، لا يخالف، ولا يعارض، ولا يتصور فيه الخطأ ولا حتى النسيان أم أنها لا تعدو أن تكون ضرورة دينية واجتماعية لحفظ نظام المجتمع الإسلامي؟ هل تنحصر باثني عشر رجلاً منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة أم أنها غير محددة الحكام بحسب حاجة الأمة والتغيرات السياسية التي تحوطها وتتجدد معها؟ هل تنعقد بالنص الإلهي على أشخاص محددين أم بنظام الشورى الإسلامي وبضوابط شرعية تكفل أن لا يتصدر الحكم إلا من هو أهل له؟

هنا يكمن الخلاف، وهنا تشعب القضية بل وتصل إلى طريق مسدود

يوم أن تنتقل القضية المتنازع عليها من إطار الخلاف الفقهي إلى إطار الخلاف العقائدي بحيث تصير الإمامة أصلاً لقبول أعمال العباد عند خالقهم، وأصلاً في معرفة الدين، وأصلاً في تقييم صحابة الرسول وزوجاته وخلفاء المسلمين وعلماء الأمة والفتوحات الإسلامية!!

فقضية تنصيب خليفة على المسلمين يراها أهل السنة والجماعة ضرورة اجتماعية لحفظ دين المجتمع وكيانه كما قرر ذلك جمع من علمائهم. (٢٤٢)

ولكنها عند الشيعة الاثني عشرية لها شأن آخر، يصفها كاشف الغطاء بأنها (منصب إلهي كالنبوة) (٢٤٣)، وفي أحاديث الكافي الذي يُعتبر عند الشيعة الأمامية أهم كتب الحديث تعلقوا الإمامة في أحاديث هذا الكتاب على مرتبة النبوة (٢٤٤)، وهذا ما يُجاهر به علماء الشيعة الإمامية، يقول نعمة الله الجزائري (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة). (٢٤٥)

ويقول آية الله هادي الطهراني: (الإمامة أجل من النبوة) (٢٤٦) بل إن الإمامة ليست من أصول الدين فحسب ولا ركناً من أركانه بل جاءت روايات شيعية لتجعل ولاية الأئمة الاثني عشر أعظم أركان الإسلام!

روى الكليني بسند موثق عن أبي جعفر قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه - يعني الولاية) (٢٤٧)

(٢٤٢) غاية المرام للأمدى ص ٣٦٣، مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٠٨٠

(٢٤٣) أصل الشيعة وأصولها ص ٥٨

(٢٤٤) الكافي ١/ ١٧٥

(٢٤٥) زهر الربيع ص ١٢

(٢٤٦) ودائع النبوة ص ١١٤

(٢٤٧) الكافي - كتاب الإيمان والكفر - باب دعائم الإسلام ١٨/ ٢ رقم ٣، علق صاحب الشافي شرح الكافي على الحديث فقال (موثق كالصحيح) والحديث الموثق معتبر عند الشيعة كما هو الحال في درجة الحديث الحسن عند أهل السنة.

وورد الحديث بذاته بسند آخر مع زيادة (قلت (أي الراوي): وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل) (٢٤٨)

ووردت رواية ثالثة بنحو الرواية الأولى مع زيادة تقول: (فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربع ولم يُرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة) (٢٤٩) بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: (عُرج بالنبي ﷺ بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض!) (٢٥٠)

هذه الروايات الشيعية ومثيلاتها في كتب الشيعة كانت كفيلاً بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة.

يقول ابن بابويه القمي في رسالته (الاعتقادات): (واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله). (٢٥١)

ويقول يوسف البحراني في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة): (وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين). (٢٥٢)

(٢٤٨) الكافي (كتاب الإيمان والكفر) باب دعائم الإسلام ١٨/٢، وهو حديث صحيح السند كما صرح بذلك علماء الشيعة (انظر الشافي شرح الكافي ٥٩/٥)، وقد ورد الحديث في (تفسير المياشي ١٩١/١، البرهان ٣٠٣/١، بحار الأنوار ٣٩٤/١)

(٢٤٩) الكافي ٢٢/٢، قال المجلسي في مرآة العقول ٣٦٩/٤ (حديث صحيح)

(٢٥٠) بحار الأنوار ٦٩/٢٣

(٢٥١) الاعتقادات ص ١٠٣

(٢٥٢) الحدائق الناضرة ١٨/١٥٣

ويقول المجلسي في موسوعته الحديثية بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠ (اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخذلون في النار).

وبهذا الشعب الكبير يسير الفريقان في خطين متوازيين، لا يلتقيان!! وكباحث قد أخذ على نفسه العهد بأن يسعى قدر الطاقة لرتق هذه الفجوة، كنت استقرأ النصوص وأبدي تساؤلات على كل قضية يطرحها الطرفان.

وقد كنت أقول لبعض من ألتقي بهم (إنه من السهل علي أن أتعصب لطائفة دون أخرى، وأكتفي بكتاب أو كتابين قد ضللا الطائفة المقابلة كي أحكم عليها دون أن أزعج نفسي أو أكلفها مشقة القراءة والبحث لكنني لم أفعل هذا ولم أرتض لنفسني أن تسلك هذا المسلك).

لقد كنت مقتنعاً منذ البداية أن الطريق الذي أسير فيه والذي لا أعرف إلى أين نهايته، أنه لا يأتي لي إلا بخير ما دمت قد حزمت أمري متوكلاً على الله وبإذلاً السبب في البحث عن الحق، فإن للحقيقة نوراً ساطعاً، وبريقاً لامعاً لا تخفيه الغيوم.

كنت مقتنعاً بأن الحقيقة واضحة جلية، لن تحتاج إلى نقاشات مطولة تستهلك طاقات الأمة ويحار فيها الفريقان (السنة والشيعة) لإثباتها أو نفيها.

وكان الشعور يراودني بأن الخط الفاصل بين الحق والباطل والذي تُعرف به الحقيقة من غيرها موجود لا خفاء فيه، ولكننا في غمرة التعصب المذهبي وغياب الموضوعية والتربي على التراشق بالتهم غفلنا عن إدراكه.

وإذا كان الله عز وجل قد وضع بيننا كمسلمين وبين جميع الأمم الكتابية منها وغير الكتابية معايير وأسساً يتفق عليها الطرفان، وتكون حجة للمسلمين على غيرهم من أهل الملل، تبياناً للحق الذي جاء به الإسلام وكشفاً للباطل الذي عليه باقي الأديان، فكيف لا يضع لأمة يطالبها بالوحدة أسساً تتحد عليها ومعياراً يُعرف به الحق من الباطل؟!!

ومن يتصفح القرآن ويعيش مع آياته العظام ويراه وهو يناقش النصراني

واليهودي ويراها وهو يناقش عابد الصنم وعابد القبر والدواب يدرك لأول وهلة بأن الله عز وجل لا يترك الحقيقة معتمدة يتخبط الناس في طلبها وسلوك طريقها بل يرسم حداً فاصلاً بين الحق والباطل.

وإذا كان الله عز وجل عالم الغيب والشهادة بعلمه الأزلي قد علم أننا سنختلف كأمة مسلمة إلى سنة وشيعة، أئظن به أن يتركنا دون وضوح تام بين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وبين الباطل الذي أحدثته الأهواء والعصبيات؟ حاشا رب العزة ذلك.

إذا أين الطريق؟ وأين الحق في قضية كقضية الإمامة؟، إذا كنا كسنة وشيعة لا نتق بأوثق كتب الحديث عند الطرفين؟، فلا الشيعة يؤمنون بأحاديث صحيح البخاري ولا باقي كتب أهل السنة والحال كذلك مع أهل السنة، لا يؤمنون بأحاديث الكافي ولا بباقي كتب الإمامية الحديثية!!؟ أما من خيط يتمسك به الطرفان ويزيل الغموض ويُعرف به الحق من الباطل!!؟

إنَّ الأمر الذي يتفق عليه أهل السنة مثلاً مع فرقة تؤمن بأحاديثها هو القرآن والسنة، وكذلك الحال مثلاً بين الشيعة الإمامية وأي فرقة تتفق معها في الإقرار بإمامة إمام من الأئمة فالحجة في القرآن وفي قول الرسول والإمام الذي يتفقون على إمامته، وإذا جئنا لنطبق النظرية ذاتها على السنة والشيعة فإننا نلاحظ خلافاً واضحاً حول مفهوم السنة وتوثيق روايتها لا يمكن تجاهله، فالاستشهاد بالسنة في هذه الحال إن لم يفتقد الحجية على الطرفين فهو على الأقل طريق متشعب يجرنا إلى نقاشات مطولة وجدال وسجال نحن في غنى عنه، في حين أنَّ الحقيقة ليست بذاك الخفاء لكي تحتاج إلى جهود مضنية لإثباتها من مصدر يختلف في فهمه الطرفان.

إنَّ الأمر الذي يمكن أن يزيل الشك ويثبت الحقيقة للطرفين ويغلق بدوره ملف نقاش نصية الإمامة من عدمها إلى أبد الأبد هو القرآن الكريم.

فالقُرآن كما أخبر رب العزة قد بينَ أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، يقول تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢٥٣) ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفترط في قضية يقوم عليها الدين بقوله ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢٥٤).

إنَّ العقل والمنطق السليم يحضانا كسنة وشيعة إلى التحاكم إلى القرآن الكريم ليرفع عنا الخلاف، خصوصاً وأنه وحده الذي يمكن أن يفض النزاع لعدم اتفاقنا على أصول أخرى سواه.

وما أجمل قول الإمام الصادق: (إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبداً أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلا وقد أنزله الله فيه) (٢٥٥).

فإن كان الأمر كذلك فإنَّ المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم (القرآن) تُذكر فيه مرات وتؤكد كرات (الصلاة والصيام والزكاة والحج) ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثني عشر أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية أعظم أركان الدين !!

أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويصنّف أنواع المحرّمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطا بأنها (منصب إلهي كالنبوة)!!

إنَّ هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأنَّ القرآن الكريم لم يفترط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفترط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها مع كون النصر على الأئمة من الله لا منهم!!

(٢٥٣) سورة النحل آية ٨٩

(٢٥٤) سورة الأنعام آية ٣٨

(٢٥٥) الكافي ٥٩/١ وتفسير القمي ٤٥٢/٢

وكأنني بالإمام علي بن أبي طالب وهو يرد على الخوارج في استدلالاتهم العقائدية التي لم ينطق بها القرآن يرد كذلك على الذين جعلوا إمامة الاثني عشر أعظم شيء في الدين وعليها يقوم دين المسلمين، في حين أن القرآن لم ينطق بها ولم يتطرق إليها بل نص على ما يناقضها!

يقول الإمام علي بن أبي طالب (أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيه تبيان كل شيء) (٢٥٦).

لا ينال عهدي الظالمين

لا يكاد يُطرح موضوع الإمامة في كتب الشيعة الإمامية عادة إلا مقروناً بالاستدلال بقوله تعالى ﴿وَإِذْ أُنْزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ يَكَلِّمُنِي فَأَتَمَّنَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٧).

وتأتي بعد ذلك النظرية الإمامية للآية لتحاول من -لئلا إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر وبطلان إمامة من سواهم!!

قد تتساءل كيف؟ ومن حقك أن تتساءل طالما لم تر في النص ما يدل على إمامة الاثني عشر من بعد رسول الله ﷺ، لكن النظرية الإمامية صاغت استدلالها بالآية من خلال الجزئية الأخيرة منها (لا ينال عهدي الظالمين).

تقول النظرية: إنه لا ينال الإمامة الظالم، والذنب ظلم، وما دام الأمر كذلك فيتعين أن يكون خليفة المسلمين معصوماً عن اقتراف الذنوب والخطايا حتى ينال عهد الله (الإمامة) بل ينبغي لإمام المسلمين فرق هذا كله أن لا يخطئ ولا يسهو ولا ينسى، ولا يتحقق هذا إلا في الأئمة الاثني عشر.

وهنا يتضح للقارئ كيف استطاعت النظرية الإمامية اشتراط العصمة للخليفة باستخدام قياس غريب!

إذ ما الداعي لعدول النظرية عن اشتراط العدالة في -غايفة المسلمين بدل من اشتراط عصمته!!

فإن نقيض الظلم هو العدل لا العصمة!

غير أن الخطأ الجلي الذي وقعت فيه النظرية لا يتركز على هذه النقطة بحسب بل على اتخاذ هذه الآية دليلاً على قضية الخلافة!

إن الله عز وجل حينما خاطب إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ لم يجعله بهذه الآية إماماً يأتيهم به قومه بعد أن لم يكن كذلك، إذ أن كل الأنبياء هم أئمة لأقوامهم يأتونهم بهم في كل ما يأمرهم به وينهون عنه، ومن المحال أن يُراد بالإمامة هنا وجوب الاتباع لأن كل نبي لا بد أن يكون مطاعاً كما قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢٥٨).

إذن ما الجديد الذي أضفته هذه الإمامة المذكورة؟

لقد بين الله عز وجل أن الإمامة قد أعطيت لإبراهيم عليه السلام بعد أن ابتلاه الله، ومن أهم الابتلاءات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام أمر الله له بذبح ابنه اسماعيل والتي ذكرها القرآن الكريم بقوله ﴿إِن كُنْ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمَيِّتُ﴾ (٢٥٩) وقد حدث هذا الابتلاء لإبراهيم عليه السلام قبل أن يمن الله عليه بالإمامة.

ثم ابتلاه الله عز وجل بكلمات (اختلف المفسرون فيهن) فقام بهن على أكمل وجه كما قال تعالى ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٢٦٠) فجعله الله إماماً للحج كما قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٦١).

يقول الشيخ السعدي: (وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أنه الناس، رجالاً وركباناً من مشارق الأرض، ومغاربها) (٢٦٢).

فلا يُذكر إبراهيم عليه السلام إلا ويُذكر الحج فهو الرافع لقواعد بيت الله

(٢٥٨) سورة النساء آية ٦٤

(٢٥٩) سورة الصافات آية ١٠٦

(٢٦٠) سورة النجم آية ٣٧

(٢٦١) سورة الحج آية ٢٧

(٢٦٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٢٩

والمؤذن للحج ليأتهم الناس كلهم به في مناسكهم فكان أول من اتهم به هو ابنه إسماعيل عليه السلام ثم الناس جميعاً.

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٦٣).

وإبراهيم عليه السلام هو ملتقى الديانات الثلاث (اليهودية، النصرانية، الإسلام) فلذلك كان اليهود والنصارى يتنازعون إمامة إبراهيم عليه السلام لهم فقال لهم رب العالمين ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨) (٢٦٤).

فهو عليه السلام إمام الحنفاء الموحدين كلهم، وهذا هو في الحقيقة التجسيد الفعلي لمعنى الآية.

ولذا كثيراً ما ترى أنبياء الله يشيرون إلى إبراهيم عليه السلام وإلى ملته، في إشارة منهم إلى تلك الإمامة الدينية. (٢٦٥)

فقد كان إبراهيم عليه السلام إماماً للناس جميعاً في الحج وفي ما بثه في الناس من معاني التوحيد الرائعة التي ذكرتها آيات القرآن الكريم كموقفه مع النمرود وفي الاستدلالات العقلية على قومه وفي موقفه مع أبيه وفي ترسيخه معنى الولاء والبراء في الدين كما قال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا

(٢٦٣) سورة البقرة آية ١٢٧

(٢٦٤) سورة آل عمران آية ٦٧ - ٦٨

(٢٦٥) انظر مثلاً: سورة يوسف آية ٣٨ وسورة البقرة آية ١٢٣ وسورة الممتحنة آية ٤ وسورة الحج آية

قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٦٦﴾ .

وفوق ذلك خصال الفطرة التي هي سنة إبراهيم عليه السلام كما قال عليه الصلاة والسلام: (خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب) (٢٦٧).

ففي هذه القضايا العقدية والتعبدية كان إبراهيم عليه السلام إماماً للناس جميعاً أما نبوته والأحكام الشرعية المرتبطة بها فهي لقومه الذين بُعث فيهم فحسب، فإن إبراهيم عليه السلام لم يُبعث إلا لقومه كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام (أعطيت نبياً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت لي كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة) (٢٦٨).

وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: (وقال لإمامهم وشيخهم إبراهيم خليله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ فَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١١٢﴾) أي لا ينال عهدي الإمامة مشرك، ولهذا أوصى نبيه محمداً أن يتبع ملة إبراهيم وكان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، فملة إبراهيم التوحيد ودين محمد ما جاء به من عند الله قولاً

(٢٦٦) سورة الممتحنة آية ٤

(٢٦٧) رواه مسلم باب خصال الفطرة حديث رقم ٢٥٧

(٢٦٨) رواه البخاري في كتاب التيمم حديث رقم ٣٢٨ و(باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) حديث رقم ٤٢٧ ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم ٥٢١ واللفظ لمسلم.

وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله وفطرة الإسلام هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له والاستسلام له عبودية ودلاً وانقياداً وإنابة (٢٦٩).

ولنعد إلى تفسير علماء الشيعة الاثني عشرية للآية الكريمة لنعجب حينما نراهم يتغافلون عن أن الظلم لا يطلق ويُراد به مطلق الذنب فحسب بل له إطلاقات أخرى هي أظهر وأبرز من الإطلاق الذي تمسك به علماء الشيعة الاثني عشرية.

فقد يُطلق ويُراد به الكفر أو الشرك كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)، وقوله تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٧١)، والآيات في هذا كثيرة في القرآن لمن أراد التبع.

وقد يُطلق لفظ (الظلم) ويراد به التعدي على حدود الله أو حقوق العباد والجور في الحكم وفي التعامل كنحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٧٢) وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (٢٧٣) ومثلها آيات أخر، وهذا النوع هو الأكثر استخداماً في القرآن والسنة وعند عامة الناس.

فما الذي صرف معنى قول الله تعالى ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ من الظلم المتعارف عليه وهو الجور والتعدي على الحقوق (حقوق الله أو حقوق عباده)، وصرفه كذلك من أن يُراد به الشرك والكفر إلى معنى بعيد لا يتبادر للذهن ولا توجد قرائن أو أدلة صحيحة تصرفه إليه؟! فهذا في الحقيقة تحكّم في النص لا تفسيراً له.

(٢٦٩) كتاب مدارج السالكين، الجزء ٣، صفحة ٤٨١.

(٢٧٠) سورة لقمان آية ١٣

(٢٧١) سورة البقرة آية ٢٥٤

(٢٧٢) سورة الشورى آية ٤٢

(٢٧٣) سورة الطلاق آية ١

وطالب الحق لا يرتضي استخدام كتاب الله كوسيلة لإثبات مذهبه لمجرد التعصب للمذهب بل يميل إلى الحق حيثما مال به .

ولعله يكفي حجة على من يستدل بآية ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ على الإمامة، أن تذكره بقول الله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٧٤﴾

ففي هذه الآيات الكريمات إجابة واضحة على من يدعي أن المراد من آية ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ مطلق الذنب !

فإن الله عز وجل كما ذكر في الآيات الكريمات أنه قد بارك على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام فإنه قد ذكر بأن من ذريتهما من هو محسن ومن هو ظالم لنفسه مبين، فأبي عاقل يستطيع الادعاء بأن المراد هو أن من ذريتهما من هو معصوم ومن هو كباقي الصالحين يعصي ويتوب؟!

بل المراد هو أن منهم من هو صالح عادل، ومنهم من هو طالح ظالم قد بان ظلمه وشركه .

ودلائل ذلك كثيرة في بني إسرائيل الذين وُجد فيهم الصالحون المتقون، ووجد فيهم قتلة الأنبياء ومحرفو الكتب السماوية والمعاندون المكذبون لله ورسوله .

والنظرية الإمامية التي أخذت على عاتقها نفي استحقاق الصحابة للإمامة من بعد رسول الله سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه بحجة أن منهم من كان مشركاً ثم أسلم أو لأنهم كسائر البشر يذنبون ويتوبون فإنها في هذا قد تناقضت وجانب الصواب أيضاً .

فهذا هو القرآن المجيد يقيم الحجة عليها بقوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ ، هذه آية

كريمة تتحدث عن الذنب وعن ظلم الإنسان نفسه باقترافه الذنب لكنها تشير بوضوح إلى أن هذا المذنب إذا تاب واستغفر فإنه سيجد الله تواباً رحيماً، ثرى هل يستسيغ أصحاب النظرية الإمامية قبول نيل هذا المذنب التائب الذي غفر الله ذنبه عهد الله (الإمامة) ما دامت الآية تتكلم بكل وضوح عن مطلق الذنب وهم يدعون أن آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ تتكلم عن المذنب الذي ظلم نفسه باقترافه للذنب؟ بالطبع لا يقبلون!

أقول: فما أجمل أن يضع المرء الأمور في نصابها، فلا يغلو، ولا يتعصب لمذهبه بالباطل، بل يرتضي الحق ولو كان مرأً.

ولعله مما يُضاف إلى ما سبق ذكره أن الإمامة المذكورة في الآية إن أُريد بها (العلم) فقد بطل حينئذ استدلال الشيعة بالآية لأن الخلاف بين الشيعة الاثني عشرية وسائر الطوائف ليس على إمامة العالم.

وإن قالوا: هي إمامة مرتبطة بالمعصومين، قيل لهم: إمامة النهدي ليست خاصة بالمعصومين دون غيرهم، فقد جعلها الله عز وجل في بني إسرائيل إذ يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٢٦﴾ بل جعلها لكل مستضعف كما قال عز من قائل ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٢٢٧﴾.

وإن قيل المراد بالآية إمامة القدوة فقد قال الله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا

عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٧٦﴾ وأمر جميع عباده المؤمنين بأن يطلبوا ويتطلعوا إلى هذه المرتبة فقال ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٢٧٧).

نصوص شيعية تشترط العدل في الحاكم لا العصمة

إن من يستقرأ التراث الشيعي الاثني عشري وتطوره التاريخي عبر العصور يدرك لا محالة أن القول بنظرية عصمة الإمام كان نتيجة متأخرة لتطورات طرأت على الحركات الشيعية القائمة آنذاك، أوجدها تيار مغالي وجد طريقه لبث سموه بين أتباع أهل البيت.

من يتناسى الكتب التي ألفها علماء الشيعة الاثني عشرية دعماً لفكرة العصمة وبحث بتجرد في التراث الشيعي الذي نقله هؤلاء العلماء بأنفسهم سيجد روايات كثيرة لا يروق لعلماء الشيعة اليوم النظر فيها وتأملها بحيادية. وإليك الأمثلة:

عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت الحرورية عند علي عليه السلام، قال: إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإن لهم في ذلك مقالا (٢٧٨).

وأنت ترى أن الرواية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى العصمة وإنما تتكلم بكل وضوح عن العدل والجور.

فلماذا لم يقل الإمام علي: إن خرجوا على إمام معصوم فقاتلوهم وإن

(٢٧٦) سورة الممتحنة آية ٤

(٢٧٧) سورة الفرقان آية ٧٤

(٢٧٨) تهذيب الأحكام ٦/ ١٤٥ علل الشرائع ٢/ ٦٠٣

خرجوا على غيره فلا تقاتلوهم، أو قال: إن خرجوا على الأئمة الاثني عشر فقاتلوهم وإن خرجوا على غيرهم فلا تقاتلوهم؟

حُوق للمنصف أن يتفكر وأن يعي أن تراث أئمة أهل البيت يقول شيئاً وعلماء الشيعة الاثني عشرية يقولون شيئاً آخر.

فمسلسل الإضافات على الدين لا ينتهي، وقد أدركت هذا في قراءتي في مباحث كثيرة (في الإمامة والصحابة والنظرة إلى أهل البيت) بل حتى في الفقهيات لم يسلم تراث أهل البيت من عبث وغلو علماء الشيعة للأسف الشديد.

وفي هذا يذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة أن الإمام علياً لما اجتمع الناس وشكوا له ما تقوموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه دخل عليه فقال: إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَشْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَغْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ وَلَا أَذْلُكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرُكَ عَنْهُ وَلَا خَلُونَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَحَبْنَا وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَيْخَةٍ رَحِمَ مِنْهُمَا وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهرِهِ مَا لَمْ يَنَلَا (٢٧٩) فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى وَلَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلِ وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ غَادِلٌ هُدًى وَهَدًى فَأَقَامَ سُنَّةَ مَغْلُومَةٍ وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَثِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِزٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ وَأَخْيَا بِدْعَةَ مَثْرُوكَةٍ (٢٨٠).

(٢٧٩) لا أدري أين الشيعة من هذا التصريح الهام الذي يبين فيه علي بن أبي طالب فضل عثمان بن عفان ومصاهرته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه؟!

(٢٨٠) نهج البلاغة ص ٢٣٤

وكلام الإمام علي ها هنا واضح وضوح الشمس ولا يحتاج إلى بيان.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: (إنَّ لله عزَّ وجلَّ جنةً آذخها ثلاث إمام عادل ورجل يحكم أخاه المسلم في ماله ورجل يمشي لأخيه المسلم في حاجة قضيت له أو لم تقض) (٢٨١)

وعن علي عليه السلام أنه قال: (عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل فإنَّ الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة) (٢٨٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب إمام عادل و تاجر صدوق و شيخ أفنى عمره في طاعة الله) (٢٨٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ في الجنة درجة لا ينالها إلا إمام عادل أو ذو رحم ووصول أو ذو عيال صبور) (٢٨٤).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال في وصيته له (يا علي، أربعة لا ترد لهم دعوة إمام عادل ووالد لولده والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب والمظلوم يقول الله جل جلاله وعزتي وجلالي لأنتصرن لك ولو بعد حين) (٢٨٥).

وعن سلمة بن كهيل رفعه عن ابن عباس قال: قال رسول الله: سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله .. إلى آخر الحديث (٢٨٦).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أحب الناس يوم القيامة وأقربهم

(٢٨١) مستدرك الوسائل ٤٠٨/١٢ و المؤمن ص ٥٣

(٢٨٢) مستدرك الوسائل ١٦/١١ وبحار الأنوار ٥٠/٩٧ ودعائم الإسلام ٣٤٣/١

(٢٨٣) ثواب الأعمال ص ١٣٣ (ثواب الإمام العادل و التاجر الصدوق و الشيخ الذي يفني عمره في طاعة الله تعالى)

(٢٨٤) الخصال ج ١ ص ٩٣ (في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة) وأعلام الدين ص ١٥٢

(٢٨٥) الخصال ج ١ ص ١٩٧ (أربعة لا ترد لهم دعوة) روضة الواعظين ٣٢٥/٢

(٢٨٦) الخصال ٣٤٣/٢ و معدن الجواهر ص ٥٨ (باب ذكر ما جاء في سبعة)

من الله مجلساً إمام عادل، إنَّ أبغض الناس إلى الله وأشدَّهم عذاباً إمام جائر^(٢٨٧).

وفي رواية (إنَّ أقرب الناس إلى الله تعالى وأحبهم إليه وأدناهم منه مجلساً يوم القيامة إمام عادل)^(٢٨٨).

إنَّ كل هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ربما لم أقف عليها لكنها تصب في المعنى ذاته، لدليل واضح كل الوضوح على أنَّ أئمة أهل البيت كانوا يشترطون في الإمام العدل لا العصمة.

الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً

الحديث عن خليفة معصوم ليس نبياً ولا رسولاً، يعود بذاكرتي إلى ما قرأته عن المدينة الفاضلة التي لم ولن توجد إلا في مخيلة أفلاطون.

فمن السهل على المرء أن يعيش في برج عاجي، يجول بفكره هنا وهناك ويعيش جنة أرضية في مخيلته تؤنسه في وحشته وتسلي نفسه ويريح بها ضميره، خصوصاً إذا ما كان يتقلب في مجتمعات عاشت على المظالم منذ زمن بعيد^(٢٨٩)، من حقه أن يريح فكره ويعيش حلمه، ولسنا نلومه على ذلك، لكن أن يفرض هذه الأحلام على الناس جميعاً ويكفر من لا يعيش معه

(٢٨٧) روضة الواعظين ٤٦٦/٢

(٢٨٨) عوالي اللآلي ٣٧٢/١

(٢٨٩) ولذا أرجح أن سبب نشوء نظرية العصمة كان ردة فعل لمظالم وقعت على معتدلي الشيعة آنذاك من جهة السلطة الحاكمة ومن جهة غلو النواصب في الطعن في الإمام علي وأهل البيت بالإضافة إلى مقتل الأئمة والعلماء من أهل البيت فوجد المتطرفون والغلاة طريقاً لبث غلوهم، ولعل حرص بعض الحكام الأمويين والعباسيين على إبراز أنفسهم كظل الله في الأرض، وادعاءهم أنهم الأحق بالخلافة من غيرهم سبب رئيسي لتطرف شيعة مقابل جعل الخلافة حقاً لائني عشر فاضلاً من أهل البيت دون سائر الناس بل دون سائر أهل البيت وجعل العصمة شرطاً في الخلافة وادعى العصمة في الإثني عشر باستخدام نصوص لا تمت بصلة إلى موضوع العصمة كآية التطهير وحديث الكساء كما سيأتي.

هذا الخيال وذاك الوهم، جاعلاً آماله وظنونه جزءاً لا يتجزأ من الدين يوالي ويعادي الناس عليه، فهذا ما يحتاج منا إلى وقفة تأمل.

تُرى لو جاز للأئمة الاثني عشر أن يتولوا الخلافة، أترى هؤلاء الناس الذين يعتقدون فيهم العصمة ولا يجوزون على الأئمة الخطأ ويدندنون حول هذا الكلام ليل نهار، أتراهم سيصمدون على رأيهم هذا إذا ما رأوا من هؤلاء الأئمة ما لا ينبغي أن يحصل أم أنه سرعان ما تنشئ المعارضة لبعض القرارات والأحكام؟

هذا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب لما تولى الخلافة زمناً يسيراً، وصالح معاوية بن أبي سفيان على الخلافة ماذا فعل فيه شيعة الذين يزعمون عصمته؟

منهم من أساء له القول، ومنهم من طعنه في فحذه، ومنهم من اكتفى بالاعتراض، ومنهم من سخط عليه دون الاعتراض بالقول أو الفعل، ومنهم من تابعه ورضي بقراره.

هذا هو الواقع الذي يرفضه أرباب النظرية الإمامية، مع أنه واقع ملموس، سطرته كتب الفريقين السنة والشيعة.

فالنظرية في واد وواقع الأئمة الاثني عشر في واد آخر، ومن يستقرأ التاريخ الشيعي الخالص أو يستعين بكتاب جيد في هذا الباب ككتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) للأستاذ أحمد الكاتب، سيدرك بالفعل تهاوي النظرية الإمامية أمام حقائق الصوص الشيعية ذاتها.

والمتكلمون الذين اخترعوا مثل هذه النظريات قد أنهمكوا الأمة بقضايا كانت في غنى عنها، فأورثوها فرقة واختلافاً تجرعت مرارته فترات من الزمن ولا زالت تتجرعه.

فمتى دخل على الأمة الجدل في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ ومتى دخل على الأمة الجدل في صفات الله بين تعجيل وتكليف قابله تمثيل وتشبيه لله بخلقه؟ إن لم يكن علم الكلام وراء هذا كله.

ونظرية عصمة الأئمة هي إحدى تلك الإفرازات، قامت على أسس

عقلية نطق بها بعض المتكلمين ثم انصرفوا بعد رسمها إلى الاستدلال عليها من كتاب الله وسنة رسوله، وبذلوا في ذلك الجهد والطاقة.

آمنوا بالنظرية ثم راحوا يبحثون عن الدليل، في حين أنّ ديننا يدعونا إلى البحث عن الدليل ثم الإيمان بما يأتي به الدليل لا الإيمان بما يمليه علينا الهوى ثم البحث عن ما يسعف ذاك الهوى.

ولعل من أبرز التحديات الفعلية التي واجهت هؤلاء المتكلمين هو موقف أهل البيت من نظرية العصمة التي يزعمها متكلمو الشيعة فيهم.

فهذا هو الإمام علي بن أبي طالب يقف في مسجد الكوفة مخاطباً جموع الناس بقوله: (فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني) (٢٩٠)

وفي خطبة أخرى يتحدث الإمام علي عن الخارجي الخريت بن ناجية ومحاولاته السابقة لدفع الإمام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، وقول الإمام له ولعموم الناس إنّ من واجبه الوقوف أمامه ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك، والقول له: (اتق الله)!!

ولم يكن الإمام علي بن أبي طالب ليقول هذا للناس لو كان هناك اعتقاد سائد لدى شيعته بعصمته، وذلك لأنّ حالة العصمة تحتم أن يضع الإمام نفسه فوق النقد وأن يحزّم على المعارضة نقده أو التجرؤ عليه بتوجيه النصيح والمشورة له، وهذا ما لم يكن يفعله الإمام علي الذي ضرب أروع الأمثلة في حسن القيادة وطلب مشورة المحكومين وإعطائهم دورهم السياسي في تقويم حاكمهم.

ويستعرض الإمام في مكان آخر صفات الحاكم وشروطه فلا يذكر من بينها (العصمة) إذ يقول: (إنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل،

فيضاهم بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة). (٢٩١)

ويقول في خطبة أخرى: (أيها الناس: إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه). (٢٩٢)

وينقل الصدوق في (أماله) قصة عن فاطمة الزهراء تنافي نظرية العصمة التي كان يقول بها المتكلمون، فروى أن الإمام علي بن أبي طالب أنفق ذات مرة أموال مزرعة باعها حتى لم يبق لديه درهم واحد، فاحتجت فاطمة الزهراء على ذلك وأمسكت بثوبه، فنزل جبريل وأخبر النبي بذلك، فذهب إليها وقال: ليس لك أن تمسكي بثيابه ولا تضربي على يديه فقالت: إني أستغفر الله ولا أعود أبداً. (٢٩٣)

كما يذكر الشريف الرضي في (خصائص الأئمة): أن الإمام الحسن استعار قطيفة من بيت المال فغضب عليه الإمام أمير المؤمنين وقال له: يا أبا محمد النار يا أبا محمد النار حتى خرج بها. (٢٩٤)

وكذلك لم يشر الإمام الحسين إلى موضوع العصمة في رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة مع سفيره مسلم بن عقيل، وإنما طرح ضرورة اتصاف الحاكم بشروط التقوى والالتزام بالعمل بالكتاب والدين، فقال: (فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب الحابس نفسه على الله القائم بالقسط والدائن بدين الله). (٢٩٥)

وينقل الإمام الباقر حديثاً عن رسول الله حول شروط الحاكم فلا يذكر منها العصمة، يقول: قال رسول الله ﷺ: (لا تصلح أمتي إلا لرجل فيه

(٢٩١) نهج البلاغة ص ١٨٩ خطبة رقم ١٣١

(٢٩٢) نهج البلاغة خطبة رقم ١٧٣ ص ٢٤٧

(٢٩٣) أمالي الصدوق ص ٤٧٠

(٢٩٤) خصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٢٨

(٢٩٥) الإرشاد للمفيد ص ٢٠٤

ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله وحلم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم - وفي رواية أخرى - : حتى يكون للرعية كالأب الرحيم). (٢٩٦) مما يشير إلى أن الإمامة تصلح لعامة الناس بهذه الشروط.

وعن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام أن قال: يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عني ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق ولا تخرجن من فيك كذبة أبداً، والثانية: الورع ولا تجترى على خيانة أبداً، والثالثة: الخوف من الله عز ذكره كأنك تراه، والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله يبيي لك بكل دمة ألف بيت في الجنة، والخامسة: بذلك مالك ودمك دون دينك، والسادسة: الأخذ بستتي في صلاتي وصدقتي أما الصلاة فالخمسون ركعة وأما الصيام فثلاثة أيام في الشهر: الخميس في أوله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره ..) (٢٩٧)، قال المجلسي في مرآة العقول: حديث صحيح. (٢٩٨)

فمن الملاحظ أنّ هذه الوصية النبوية موجهة لعلي بن أبي طالب بذاته لقول النبي (يا علي أوصيك في نفسك بخصال)، وما كانت تلك الوصايا أن توجه لمعصوم وبالذات الأولى منها.

لماذا لم يُذكر الأئمة في القرآن؟

ليكن صدر القارئ رجباً ليتقبل مني قولي: إنه من السهل أن يجمع أحدنا كل آية في القرآن تضمنت كلمة (إمام) أو (أئمة) ويجعلها دليلاً على الإمامة بعد رسول الله وإن كانت الآية تتحدث عن أنبياء سابقين أو رجالاً لا علاقة لهم بالأئمة الاثني عشر لا من قريب ولا من بعيد.

(٢٩٦) الكافي ج ١ ص ٤٠٧

(٢٩٧) الكافي (الروضة) حديث رقم ٣٣ (وصية النبي ﷺ لأمر المؤمنين)

(٢٩٨) مرآة العقول ٢٥ / ١٨٠

والزام المرء نفسه بسلوكه منهجاً في الاستدلال والاحتجاج ينبغي أن يسري على كل ما يجري عليه منهجه، لا أن يختار ما يريد ويلفظ من فمه ما لا يريد!!

فالله عز وجل الذي ذكر لفظ (إمام) و (أئمة) في القرآن الكريم استخدم اللفظ ذاته في المؤمن والكافر، ويدو هذا جلياً في قوله تعالى عن صنف من المؤمنين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٩٩) وقوله تعالى عن صنف آخر من الكفار الملعونين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفُكْارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٣٠٠).

فلو كان لفظ (أئمة) لا يراد به إلا الأوصياء، لما جاز استخدام اللفظ في صنف ممن يدعون إلى النار، فإن قال قائل بأن ذلك قد يكون من المشكلة اللفظية، فيقال له: نحن بصدد البحث عن دليل يرفع الخلاف لا أن يثبت خلافاً آخر، بل بالله عليك لو أراد الله من هذا اللفظ معنى الإمامة أو ليس من اللازم عليه أن يُجَلِّي المفهوم الذي تدعيه، ثم أمن الصعب أن يصرح القرآن بأن علياً هو وصي محمد عليه الصلاة والسلام كي لا يترك المجال لأحد لئن يفتح فمه وينكر الإمامة النصية بعد رسول الله!! بل لماذا يجعل القرآن - على فرض كونه كذلك - من آية ك ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٩٩) التي تتحدث عن بني إسرائيل دليلاً على الإمامة بعد محمد عليه الصلاة والسلام!! أيعجز رب العزة على أن ينزل آية واضحة وصريحة في الإمامة بعد رسول الله، تكون حجة على منكر الإمامة!!

ولنقف هنا على النصوص التي يستدل بها القائلون بالإمامة النصية ونستعرضها واحدة تلو الأخرى مع شيء من الدراسة والمناقشة والترجيح.

(٢٩٩) سورة السجدة آية ٢٤

(٣٠٠) سورة القصص آية ٤١

(٣٠١) سورة السجدة آية ٢٤

فضائل لا تنصيص على إمامة

فضائل أهل البيت كثيرة ونصيب علي بن أبي طالب منها كبير ولا يجحد فضائل علي بن أبي طالب إلا النواصب، لكن كون هذه الفضائل دلائل على الإمامة الإلهية بعد رسول الله أو إثبات عصمة غير رسول الله فهذا ما نقف عنده لنقول كما قال رب العالمين لأهل الكتاب ﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٣٠٢)، فلمحبة أهل البيت ولفضائلهم ضوابط تحكمها وإلا لقال كل قائل ما يحلو له باسم حب الإمام واتباع أهل البيت ! والحديث عن الإمامة وعصمة الأئمة ومعجزاتهم ومناقشة هذه المواضيع بات اليوم كالحديث عن المسيح عليه السلام وطبيعته البشرية.

قد لفت نظري منذ زمن من خلال تتبعي لكتيبات الداعية الإسلامي المتميز أحمد ديدات ومناظراته أنه كان يستنكر من بعض القساوسة فكرة نعيشها اليوم مع كثير من الكتاب والمتشددين.

فقد كان طرح هؤلاء القساوسة لقضية المسيح وبنوته لله بأسلوب (إما أن يكون المسيح ابناً لله كما نؤمن نحن وإما أنك تنسب إليه الجنون لادعائه ما لا يحق له أو تنسب إليه السحر) هكذا يقولون!

فيضعك هؤلاء في الزاوية، ويمارسون عليك الإرهاب الفكري (إما أن تقول بقولهم وإما اعتبرك هؤلاء ممن تطعن في المسيح عليه السلام وتنسب إليه إما الجنون وإما السحر!).

فيعتبر ديدات عن استنكاره لهذا الطرح قائلاً (ولماذا هذه الافتراضات الثلاث؟! لماذا لا يكون عبداً رسولاً، لماذا لا يكون نبياً عظيماً من أنبياء بني

اسرائيل فحسب؟!)، لماذا تريد أن تجعلني في الزاوية (إما أن أكون مغالياً في الشخصية التي أتكلم عنها أو أكون عدواً لها؟! لا وسط بينهما).

وبالأسلوب ذاته يمكن لك أن تتصور محاوراً يريد نقاش موضوع عصمة الأئمة والإمامة النصية بعد رسول الله ستجد بلا شك عند استعراضك للأدلة ونقاشك العميق معه في هذه القضية أنّ الحوار سيقف عند قضية عاطفية بحثة في النهاية! هل أنت ناصبي تعادي الأئمة؟ هل تشكك في مصداقية أهل البيت؟ وما يشابه هذه الاتهامات... وربما تساقطت عليك الحجارة من كل حذب وصوب وأنت لا تدري، مع أنّ النقاش لا يحتمل كل هذا.

وقد مرت بي هذه التجربة بالفعل، أناقش من خلال القرآن والسنة والعقل وأفاجأ بأنّ الرد الفوري عليّ هو قولهم لي (أنت ناصبي) أو (أنت عدو أهل البيت)!

وهل كلمة ناصبي هينة حتى تُطلق على كل أحد؟ وهل نقاشي لإطروحة عصمة الأئمة أو الرجعة وما شابهها يعني أنني لا أحب أهل البيت؟!

لو كان حب أهل البيت يعني الغلو فيهم لرضي أهل البيت بأن يُقال عنهم آلهة من دون الله ولأثنى أهل البيت على من غلوا فيهم بدلاً من التحذير منهم...

لطالما قال أهل البيت للناس (أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً)^(٣٠٣) وحب الإسلام لا يتأتى إلا من خلال فهم القرآن والسنة ومعرفة منزلة أهل البيت من خلالهما.

من يتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويتجرد من الخوف من هذه الاتهامات ويعيش بقلبه ووجدانه مع القرآن والسنة سيدرك ما أدركته بعد قراءة متأنية في العقائد التي قسّمت أهل الإسلام وفزّقت جماعتهم.

القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية

من يتأمل كتاب الله الكريم الذي جعله الله نوراً تهتدي به العقول والقلوب، سيجد أن الإيمان بكون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين يحصل به مقصود الإمامة في حياته وبعد مماته.

(فالتذي يؤمن بأن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وأن طاعته واجبة، إن قيل بأنه يدخل الجنة استغنى عن مسألة الإمامة ولم يلزمه طاعة سوى الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن قيل لا يدخل الجنة إلا باتباعه الإمام كان هذا خلاف نصوص القرآن الكريم، فإنه سبحانه وتعالى أوجب الجنة لمن أطاع الله ورسوله في غير موضع من القرآن ولم يعلق دخول الجنة بطاعة إمام أو إيمان به أصلاً كمثل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٣٠٤) ﴿٦٩﴾

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٠٥) ﴿١٣﴾ (٣٠٦)

ولو كانت الإمامة أصلاً للإيمان أو الكفر أو هي أعظم أركان الدين التي لا يقبل الله عمل العبد إلا بها كما تقول الروايات الشيعية، لذكر الله عز وجل الإمامة في تلك الآيات وأكد عليها لعلمه بحصول الخلاف فيها بعد ذلك، ولا أظن أحداً سيأتي ليقول لنا بأن الإمامة في الآيات المذكورة ضمناً تحت طاعة الله وطاعة الرسول لأن في هذا تعسفاً في التفسير بل يكفي بياناً لبطلان ذلك أن نقول بأن طاعة الرسول في حد ذاتها هي طاعة للرب الذي أرسله، غير أن

(٣٠٤) سورة النساء آية ٦٩

(٣٠٥) سورة النساء آية ١٣

(٣٠٦) منهاج السنة النبوية ١/ ٨٧ بتصرف

الله عز وجل لم يذكر طاعته وحده سبحانه ويجعل طاعة الرسول مندرجة تحت طاعته بل أفردا لكي يؤكد على ركنين مهمين في عقيدة الإسلام (طاعة الله، وطاعة الرسول)، وإنما وجب ذكر طاعة الرسول بعد طاعة الله كشرط لدخول الجنة لأن الرسول مبلّغ عن الله وأن طاعته طاعة لمن أرسله أيضاً، ولما لم يثبت لأحد بعد رسول الله ﷺ جانب التبليغ عن الله فإن الله عز وجل علّق الفلاح والفوز بالجنان بطاعة رسوله والتزام أمره دون أمر الآخرين.

وثمة دليل قاطع يقطع على الشاك دربه ونزيل عنه الشك وهو قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٣٠٧).

فإن الله عز وجل أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، لكن عند التنازع فالرد لا يكون إلا إلى الله والرسول دون أولي الأمر، لأن الله عز وجل هو الرب، والرسول هو المبلغ عن الله وهو معصوم لا يخطأ في بيان الحق عند التنازع، أما أولي الأمر فليسوا بمعصومين وإلا لجعل الله الرد إليهم، لكن الله عز وجل أظهر بهذه الآية أنهم كسائر الناس يرجعون في التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقد يكونون خصوماً لأحد ويكون الحق معه حين الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه.

فأين يذهب القائلون بنظرية الإمامة وهم يزعمون أن كل حديث أو قول يخالف كتاب الله يُضرب به عرض الحائط؟!!

القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته

تأملت كثيراً الروايات الشيعية التي تتحدث عن الأئمة وفضائلهم وتفكرت في الحكمة التي من أجلها جعل الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين ثم تساءلت ما (إذا كان الأئمة الاثنا عشر هم أبواب الله والسبل إليه) (٣٠٨) و(حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق) (٣٠٩) ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم) (٣١٠) وأنهم (حفظوا الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي) (٣١١) وأنه (لا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم راد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى) (٣١٢) وأن (الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من نبيهم ولا يصح أخذها إلا منهم) (٣١٣) وأنهم (يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل) (٣١٤) وأن (الأئمة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه) (٣١٥) وأن (الملائكة تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار) (٣١٦) وأنهم (يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكف والأبرص وجميع معجزات الأنبياء) (٣١٧) وأن (الجن خدامهم ويظهرون لهم ويسألونهم

(٣٠٨) عقائد الإمامية للمظفر ص ٩٨-٩٩

(٣٠٩) بحار الأنوار ٩٧/٢٣

(٣١٠) بحار الأنوار ٩٧/٢٣

(٣١١) عقائد الإمامية للمظفر ص ٥٠

(٣١٢) عقائد الإمامية للمظفر ص ٥٣

(٣١٣) نفس المصدر

(٣١٤) الكافي ١/٢٥٥ فيه ٤ أحاديث

(٣١٥) الكافي ١/٢٧٩ فيه ٤ أحاديث

(٣١٦) الكافي ١/٣٩٣ فيه ٤ أحاديث

(٣١٧) بحار الأنوار ٢٦/٣٣٤-٣٣٥

عن معالم دينهم^(٣١٨) وأن (عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها)^(٣١٩) و (أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة)^(٣٢٠) فما معنى أن يكون محمد عليه الصلاة خاتم الأنبياء والمرسلين إذا كانت صلاحيات النبي كلها مستمرة بعده؟! ما معنى أن يكون رسول الله خاتم الأنبياء وهناك رجال بعده لهم من التقديس والمزايا ما يتمتع به الأنبياء من عصمة ومعجزات وغيرها؟! ولماذا نص القرآن على عقيدة ختم النبوة ما دام الأمر كذلك؟! هل القضية مجرد توقف مصطلح (نبي) واستبداله بمصطلح (إمام) وإعطاء الإمام صلاحيات النبي كلها للإمام والفرق بينهما الاسم فقط؟!!

إن علماء الشيعة أنفسهم يدركون بأن إضفاء قدسية كهذه على الأئمة وإعطاءهم هذه المزايا التي لم تُعرف إلا في الأنبياء يجعل التفريق بينهم صعباً للغاية!!

يقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية (نعتقد أنها (أي الإمامة) كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه من الصلاح والسعادة في الشأنتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم عنهم والعدوان من بينهم)^(٣٢١)

ويقول محمد كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها): (إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه).^(٣٢٢)

(٣١٨) بحار الأنوار ٢٦/١٣-٢٤ ومثله في الكافي ١/٣٩٤ فيه ٧ أحاديث

(٣١٩) الكافي ١/٢٢٧

(٣٢٠) الكافي ١/٣٩٩

(٣٢١) عقائد الإمامية ص ٤٩-٥٠

(٣٢٢) أصل الشيعة وأصولها ص ٩٨-٩٩

وقد وردت رواية في الكافي تحصر الفرق بين النبوة والإمامة في طريقة الوحي فقط!!، فعن الإمام الرضا قال: (الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام) والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص) (٣٢٣) وقال صاحب الشافي شرح أصول الكافي (الحديث صحيح إسناده). (٣٢٤)

وروى الكليني عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (الأئمة بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ) (٣٢٥)

إزاء هذه الأحاديث الصريحة التي تعد الفرق بين النبي والإمام شيئاً لا يُذكر ولا يؤثر سلباً أو إيجاباً على الناس الذين أرسل إليهم النبي أو الإمام، لا يسع عالماً من كبار علماء الشيعة وهو المجلسي إلا أن يصرح بقوله (ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والإمامة) (٣٢٦)

فاتصاف الأئمة بالإمامة بدلاً من النبوة كما يراه عالم من كبار علماء الشيعة بلغت مرتبته عندهم حد إطلاقهم عليه (شيخ الإسلام) ليس إلا رعاية لمقام محمد عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم فحسب!!

إذاً ما أهمية عقيدة ختم النبوة طالما أن الوظائف والخصائص التي اختص بها الأنبياء دون الناس من عصمة وتبليغ عن الله ومعجزات وغيرها لم تتوقف بوفاة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام بل امتدت من بعده متمثلة باثني عشر رجلاً!! ناقشت في هذه القضية كثيراً من الشيعة ولم أجد إجابة مقنعة أرضي بها فضولي على الأقل، إلا أن أحد طلبة الحوزة أجابني بقوله بأن الفرق هو أن الأئمة لا يُوحى إليهم.

(٣٢٣) الكافي ١/١٧٦

(٣٢٤) الشافي شرح أصول الكافي ٣/٢٩

(٣٢٥) الكافي ١/١٥٤

(٣٢٦) بحار الأنوار ٢٨/٢٦

فقلت : إذا كان الأمر كذلك فماذا يعني في رأيك ما ترويه كتب الحديث الشيعية من أن الأئمة لا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله وأمر لا يتجاوزونه، أليس هذا وحياً؟!

وماذا عن الروايات الكثيرة التي تحكي مناجاة الله تعالى للإمام علي والروايات التي تحكي نزول جبريل عليه السلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على السيدة فاطمة لتبليغها ما يحدث من أمور إلى قيام الساعة (وهو ما يعرف بمصحف فاطمة) والذي تذكر الروايات أنه كان بإملاء علي؟! أليست كل هذه الروايات تتحدث عن وحي صريح بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام؟! بل روى الكليني في الكافي ٣٠٣/١ عن الإمام جعفر الصادق في تفسيره لقوله تعالى ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قوله: (.... إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا وكذا....)، أليس هذا وحياً؟!

ولماذا نختلف في توجيه النصوص وبين يدينا روايات واضحة من الأئمة أنفسهم تبين الفرق بين الإمام والنبي.

روى الكليني عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث، قال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلًا ^(٣٢٧) فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلمه بها قبلًا، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويُحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظة، وأما المحدث فهو الذي يُحدث فيسمع، ولا يعاين ولا يرى في منامه ^(٣٢٨)، صححه المجلسي في مرآة العقول ^(٣٢٩).

(٣٢٧) أي عياناً ومقابلة

(٣٢٨) الكافي ١٧٦/١ (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث).

(٣٢٩) مرآة العقول ٢/٢٨٩

وروى الكليني كذلك حديثاً مشابهاً له عن إسماعيل بن مزار قال: كتب الحسن بن العباس المعروف في إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام، فإن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص ^(٣٣٠)، والروايات في هذا كثيرة. ^(٣٣١)

وقد روى الكليني عن محمد بن مسلم أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي صلى الله عليه وآله، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله). ^(٣٣٢)

وقال المجلسي تعليقاً على هذه الرواية: (يدل ظاهراً على اشتراكهم مع النبي صلى الله عليه وآله في سائر الخصائص سوى ما ذكر) ^(٣٣٣).

من هذا كله يتبين الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة في الوحي، فكلهم يُوحى إليهم ولكن الاختلاف إنما يكون في نمط وطريقة الإيحاء، وسواء كان الوحي عن طريق جبريل عليه السلام أو بسماع صوت فكل هذا وحي، والناس حينما تتبع نبياً أو رسولاً أو حتى إماماً لا تهتم بالطريقة التي جاء بها الوحي بل بكونه وحياً من الله والناس ملزمة باتباعه وإلا كانوا بذلك عاصين للموحي إليه وبالتالي عاصين لله عز وجل، فأني فائدة جنيانها من عقيدة ختم النبوة إذا كانت المسألة كذلك!!

وليت المسألة تقتصر على ذلك، بل إنك تجد أن مقام الأئمة عند الشيعة أعلى وأسمى من مقام الأنبياء باستثناء محمد عليه الصلاة والسلام كما دلت

(٣٣٠) الكافي ١/١٧٦ (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث).

(٣٣١) انظر: الكافي ١/١٧٦ وبحار الأنوار وغيرها

(٣٣٢) الكافي ١/١٥٤

(٣٣٣) بحار الأنوار ٢٧/٥٠

على ذلك الروايات المستفيضة عن الأئمة المعصومين وأقوال كبار علماء الإمامية السابقين واللاحقين.

يقول المجلسي أيضاً (اعلم أنَّ ما ذكره رحمه الله^(٣٣٤) من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى وعليه عمدة الإمامية ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار).^(٣٣٥) وقد صنف علماء الإمامية في هذا مصنفات كثيرة.^(٣٣٦)

وهي المقالة التي يُجاهر بها الخميني وسائر علماء الشيعة كما قرر ذلك في كتابه الحكومة الإسلامية بقوله (إنَّ من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)^(٣٣٧)

وإذا كانت المساواة بين الإمام والنبى بحد ذاتها كفيلة بنسف عقيدة النبوة، فكيف إذا كانت أعظم من مقام النبوة!!؟

إنَّ تعارضاً صارخاً كهذا بين عقيدة الإمامة وعقيدة ختم النبوة يجلي بكل وضوح بطلان عقيدة الإمامة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣٣٨).

(٣٣٤) يعني (ابن بابويه القمي)

(٣٣٥) بحار الأنوار ٢٦/٢٩٧-٢٩٨

(٣٣٦) مثل كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل (كلاهما لهاشم البحراني، المتوفي سنة ١١٠٧)، وتفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء لمحمد كاظم الهزار، وتفضيل أمير المؤمنين علي عليه السلام على من عدا خاتم النبيين لمحمد باقر المجلسي، وللمزيد: انظر الزريعة ٤/٣٥٨-٣٦٠

(٣٣٧) كتاب الحكومة الإسلامية للخميني ص ٥٢

(٣٣٨) سورة النساء آية ٨٢

نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدها الشيعة الاثنا عشرية

حتى كتاب نهج البلاغة الذي يستشهد به الشيعة الاثنا عشرية على الإمامة في بعض مقتطفاته هو نفسه أول من يقدح في عقيدة الإمامة التي يتبناها ذلك الفكر بل ويقول بضدها.

عن علي بن أبي طالب قال: (دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً!) (٣٣٩)

فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس (دعوني والتمسوا غيري) ويقول (أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)، كيف والناس تريده وجاءت لتبايعه؟!

حاول أيها القارئ أن تسترجع معي قول كاشف الغطاء: (إن الإمامة من نصيب إلهي كالنبوة) لتتخيل نبياً من أنبياء الله يقول للناس (دعوني والتمسوا لكم نبياً غيري، أنا لكم مرشداً أو وزيراً خير لكم من أن أكون نبياً) !
أيعقل هذا؟ أيجوز هذا؟ ألا يُعتبر هذا رداً لأمر الله - إن جاز لنا أن نقول إن الإمامة من الله لا بالشورى والبيعة - ؟!

ولذلك لا تعجب أيها القارئ من ظهور فرقة متطرفة اسمها (الكاملية) كانت في البداية تتولى علماً وتحميه ثم ما لبثت أن انقلبت على عقبيها وكفّرت مدعية أنه بذل وأحدث في الدين!

يقول المؤرخ الشيعي (النوبختي) في كتابه (فرق الشيعة): (وشدّت فرقة من بينهم يُقال لها الكاملية، فأكفرت علياً عليه السلام، وجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، أكفروا علياً بتركه الوصية، وتخلّيته الولاية، وتركه القتال على ما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله) (٣٤٠) !

فالكاملية رغم أنها أكثر تطرفاً وضلالاً من الفرق الشيعية التي كفّرت الصحابة على العموم واستثنت علياً ونفراً يسيراً لا يتجاوزون السبعة إلا أنها أكثر واقعية، لأنها طبقت المذهب بحذافيره، فالمذهب يرفع من شأن الإمامة إلى حد الإيمان والكفر، ومقولة الإمام علي في نهج البلاغة فيها تساهل كبير في قضية الخلافة وتخلي عنها، والمنصف سيجد نفسه أمام أمرين: إما أن يرى بعينه الغلو الفاحش في الإمامة عند الاثني عشرية ويدرك أنّ الإمام علياً كان بعيداً كل البعد عن هذه المغالاة، وإما أن يكون مع الكاملية فيكفر الكل، يكفر من غصب الخلافة ومن تساهل فيها ورفضها وهي من أعظم أركان الدين!

وقد ناقشت أحد علماء الشيعة في هذه القضية بالذات في مجلس خاص جمعتني وإياه مع زميلين أحدهما سني والآخر شيعي، وكان هذا العالم يحاول قدر المستطاع أن يجد العذر للإمام علي في تلفظه بهذه الكلمات - وهو في الحقيقة لا يعتذر للإمام وإنما يعتذر لنظرية الإمامة التي وضعت بهذا النص على المحك الفعلي - فيقول بأنّ الإمام علياً لم يرفضها وإنما أراد أن يذكرهم بغصب الخلفاء ومظلوميته (على حد قوله)، فقلنا له: كان بإمكانه أن يُعتبر عن فكرته هذه بطريقة أخرى، لكن كلامه كان واضحاً في بيان أنه لا ينظر للإمامة على أنها من الله وإنما يتكلم عنها على أساس بشري، ثم قلنا له: لا يجوز للنبي أن يرفض اعتراف الناس بنبوته مطالباً إياهم باختيار آخر بحجة أنه يريد تذكيرهم بحادثة معينة أو بظلم وقع عليه!!

والشيعة يقولون بأن الإمامة منصب إلهي من الله كالنبوة، فكيف يجوز للإمام علي أن يعلن التنازل عنه أو رفضه، أليس هذا هو الكفر بعد الإيمان؟!

فلم يجبنا بشيء وانتقل بنا إلى موضوع آخر!

يُضاف إلى ذلك قول الإمام علي في النهج كذلك (أيها الناس ؛ إنَّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لا تتعقد حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها؛ ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار)^(٣٤١).

فليست الإمامة حكراً على اثني عشر من دون سائر الخلق بل في كلام الإمام علي رد واضح وصريح على الذين طعنوا في خلافة أبي بكر بحجة أن البعض تخلف عنها في البداية (ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار).

ويقول في النهج أيضاً كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرّد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى)^(٣٤٢).

وقد أثار الإمام علي بهذه العبارة حقائق جدية بالاهتمام حيث يجعل :

(٣٤١) نهج البلاغة ص ٢٤٧ (الجدير بالخلافة).

(٣٤٢) نهج البلاغة ص ٣٦٦ (ومن كتابه له (عليه السلام) إلى معاوية).

- أولاً: الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.
 - ثانياً: اتفقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقة سبحانه وتعالى إياهم.
 - ثالثاً: لا تتعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.
 - رابعاً: لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين.
- فأين هم الشيعة الاثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة؟!

نهج البلاغة ينفي أن تكون الإمامة في أهل البيت !!

هذا نص آثرت أن أفرده بعنوان خاص حتى يتأمله المنصف بكل تمعن .

فقد قال الإمام علي في نهج البلاغة لما بلغه ادعاء الأنصار أن الإمامة فيهم (فهلأ احتججتهم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يُحسن إلى مُحسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال ﷺ: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم) (٣٤٣).

فإذا كان الأمر كما قال الإمام علي فإن رسول الله ﷺ قد وصى بأهل بيته في حديث الثقلين قائلاً (أذكركم الله في أهل بيتي .. أذكركم الله في أهل بيتي) ولو كانت الإمامة حقاً خاصاً لهم دون غيرهم لم تكن الوصية بهم، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بهم ووصى بالأنصار تحقيقاً لهذا المعنى الجليل الذي أشار إليه الإمام علي بنفسه .

عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية!

من يتصفح الكتب المصنفة في الولاية والإمامة بكل تجرد وعقلانية يجد العجب العجائب.

حكايات وبراهين تمجها العقول ولا ترتضيها الفطر، حكايات أشبه ما تكون بقصص (ألف ليلة وليلة) فكيف تكون عقائد يوالي ويعادي الإنسان عليها الناس، ويظن أنها من الإسلام!
خذ عندك هذه الروايات واحكم بنفسك:

عن علي عليه السلام أنه قال: (إنَّ الله عرض أمانتي وولايتي على الطيور، فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقاء، فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطيور لها وأما العنقاء فغابت في البحار لا ترى، وإنَّ الله عرض أمانتي على الأرضين فكل بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية، وجعل نباتها وثمرتها حلواً عذباً، وجعل ماءها زلالاً، وكل بقعة جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخاً، وجعل نباتها مرّاً علقماً، وجعل ثمرها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحاً أجاجاً) (٣٤٤).

فأمثال هؤلاء الرواة كذبوا على علي عليه السلام وكذبوا على الطيور ونسبوا إليها مثل هذا الهراء، فكيف لا يسهل عليهم الكذب على أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة وتكبير قضية الخلاف يوم السقيفة إلى قضية إيمان وكفر! ومما روته هذه الكتب أنَّ حمار كعب بن الأشرف شهد أنَّ علياً ولي الله ووصي رسوله (٣٤٥).

وأنَّ كلب ذمي عض اثنين من الصحابة فشكيا أمره إلى رسول الله ﷺ، فأمر بقتله.

(٣٤٤) المناقب ١/١٤١ وبحار الأنوار ٢٣/٢٨١، ٤١/٢٤٥، ٦١/٤٧

(٣٤٥) تفسير العسكري ٣٦، البحار ١٧/٣٠٦، إثبات الهداة ٢/١٥٠

يقول الراوي: (ثم قام ﷺ وقمنا معه حتى أتى منزل الرجل، فبادر أنس فدق الباب فقال: من بالباب؟ فقال أنس: النبي ﷺ بيابكم، قال: فأقبل الرجل مبادراً ففتح بابه وخرج إلى النبي ﷺ، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله^(٣٤٦)، ما الذي جاء بك إلي ولست على دينك؟ ألا كنت وجهت إلي كنت أجيبك، قال النبي ﷺ: لحاجة إلينا أخرج كلبك فإنه عقور وقد وجب قتله، فقد خرق ثياب فلان وخدش ساقه وكذا فعل اليوم بفلان، فبادر الرجل إلى كلبه وطرح في عنقه حبلاً وجره إليه وأوقفه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما نظر الكلب إلى رسول الله ﷺ، قال بلسان فصيح ياذن الله تعالى: السلام عليك يا رسول الله، ما الذي جاء بك ولم تريد قتلي؟ قال: خرقت ثياب فلان وفلان وخدشت ساقيهما، قال: يا رسول الله، إن القوم الذين ذكرتهم منافقون نواصب ييغضون ابن عمك علي بن أبي طالب^(٣٤٧) ولولا أنهم كذلك ما تعرضت لهم ولكنهم جازوا يرفضون علياً ويسبونونه فأخذتني الحمية الأبية والنخوة العربية^(٣٤٨) ففعلت بهم^(٣٤٩)).

ومن ذلك ما روي عن قنبر مولى أمير المؤمنين ﷺ قال: كنت عند أمير المؤمنين ﷺ إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني أشتهي بطيخاً، قال: فأمرني أمير المؤمنين ﷺ بشراء بطيخة فوجهت بدرهم فجاءونا بثلاث بطيخات فقطعت واحداً فإذا هو مَرٌّ، فقلت: مَرٌّ يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثاني فإذا هو حامض، فقلت: حامض يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثالث فإذا هو مَدُودَةٌ، فقلت: مَدُودَةٌ يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار.

قال: ثم وُجهت بدرهم آخر فجاءونا بثلاث بطيخات فوثبت على قدمي فقلت: اعفني يا أمير المؤمنين عن قطعه، كأنه تأثم بقطعه.

(٣٤٦) يهودي ويقول (بأبي أنت وأمي يا رسول الله)!!

(٣٤٧) سبحان الله، جعلوا الكلاب أيضاً تؤمن بالولاية!

(٣٤٨) تعجبني هذه النخوة العربية، كلب وعنده نخوة عربية!

(٣٤٩) بحار الأنوار ٢٤٧/٤١

فقال له أمير المؤمنين: اجلس يا قنبر فإنها مأمورة، فجلست فقطعت فإذا هو حلو.

فقلت: حلوا يا أمير المؤمنين فقال: كل وأطعمنا.
فأكلت ضلعاً وأطعمته ضلعاً وأطعمت الجليس ضلعاً.
فالتفت إلي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا قنبر، إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات وأهل الأرض من الجن والإنس والشر وغير ذلك فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، ومالم يقبل منه خيث وردي وتن (٣٥٠).
وروى الإمام الرضا فيما يزعمون عن أبيه عن جده أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بطيخة ليأكلها فوجدها مرة فرمى بها، وقال: بعداً وسحقاً، فقبل يا أمير المؤمنين: وما هذه البطيخة؟

فقال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبات، فما قبل الميثاق كان عذباً طيباً وما لم يقبل الميثاق كان مالحاً زعاقاً (٣٥١)

ومن ذلك ما رواه المجلسي في بحار الأنوار أن علي بن عاصم الأعمى الكوفي قال: دخلت على أبي محمد العسكري عليه السلام، فقال لي: يا علي بن عاصم، انظر إلى ما تحت قدميك، فإنك على بساط قد جلس فيه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين، قال: فقلت: يا سيدي، لا أنتحل ما دمت في الدنيا إكراماً لهذا البساط، فقال: يا علي، إن هذا النعل الذي في رجلك نعل نجس ملعون لا يقر بولايتنا (٣٥٢)

فحتى الحيوانات والجمادات لم تسلم من الكذب عليها ومن اتهامها ببغض أهل البيت أو برفض ولايتهم!
فلا تعجب حينئذ إن جاء هؤلاء بآلاف الروايات المكذوبة في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة بشكل عام، ما دام غير البشر ليسوا بمؤمن من الكذب عليهم ومن اتهامهم بما هو باطل!

(٣٥٠) مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٤١٣ والاختصاص ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ٢٧/٢٨٢

(٣٥١) وسائل الشيعة ج ٢٥ ص ١٠٣ وعلل الشرائع ٢/٤٦٤

(٣٥٢) بحار الأنوار ٣٠٤/٥٠

مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من القرآن الكريم

آية ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ﴾

لعل من أبرز ما يستدل به علماء الشيعة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والنص عليه من الله هو قوله تعالى ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٣٥٣) حتى اشتهر تسميتها عند الشيعة الاثني عشرية باسم (آية الولاية).

ووجه استدلال الشيعة الاثني عشرية بالآية كما يقول الحلبي (يتوقف على مقدمات:

أحدها أن لفظ (إنما) للحصر، وذلك معلوم عند أهل اللغة.

الثانية: أن المراد بالولي هنا المتصرف، والمستحق لوصف الأولى، وهو معلوم من أهل اللغة حيث يُقال: فلان ولي المرأة لمن هو أولى بالعقد، ويصفون العصبة بأنهم أولياء الدم، لأنهم أولى بالمطالبة.

الثالث: أن المراد بذلك هو علي عليه السلام ويدل عليه وجوه:

أحدها: اتفاق المفسرين على أنها نزلت فيه عليه السلام.

الثاني: إنها تدل على ثبوت الإمامة لمن اجتمعت فيه صفة إتيان الزكاة حين الركوع ولم يتصف بذلك غير علي عليه السلام لما تصدق بخاتمته في صلاته حال الركوع بالإجماع.

الثالث: قد بينا أنها ليست عامة في حق المؤمنين كافة، وإلا لكان كل

واحد ولي نفسه وهو محال وكل من خَصَّها ببعض المؤمنين قال: المراد بها علي (عليه السلام) (٣٥٤).

فما مدى صحة ما ذهب إليه النظرية الإمامية الاثني عشرية؟

المناقشة:

قول الحلبي بأن المفسرين متفقون على أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب (٣٥٥) يفتقد إلى الدقة على أقل أحواله، إن لم يكن إلى الافتراء أقرب، حيث لا اتفاق بين المفسرين على أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب، ولو أن الحلبي قال: (قال بعضهم أنها نزلت فيه) لكان ذلك أدق وأصوب.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره للآية أكثر من سبب نزول ولم يجزم بأن الآية نزلت في علي دون الآخرين ممن ذكرهم، بل ذكر القرطبي ما يوجب نفي أن تكون الآية قد نزلت في علي دون غيره بنقله رواية عن الإمام الباقر (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) وقد سُئِلَ عن معنى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هل هو علي بن أبي طالب؟ فقال: علي من المؤمنين، يذهب إلى أن هذا لجميع المؤمنين. (٣٥٦)

وأما الرازي فقد ذكر عدة أقوال في سبب نزول الآية ثم تعرض إلى رواية التصديق بالخاتم فنفي صحتها لقرائن ودلائل كثيرة (٣٥٧)، والحال كذلك في تفسير ابن كثير (٣٥٨)، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره ما قيل بأنها نزلت في علي بصيغة التثنية (٣٥٩).

(٣٥٤) أنوار الملكوت في شرح الياقوت ٢٢٥-٢٢٦ وكشف المراد ص ٢٨٩ له، وإعلام الوري للطبرسي ص ١٦٨

(٣٥٥) وقال عبد الحسين شرف الدين الموسوي في المراجعات (على أن نزولها في علي مما أجمع عليه المفسرون) المراجعات ص ٢٥٨

(٣٥٦) تفسير القرطبي ٦/٢٠٧-٢٠٩

(٣٥٧) تفسير الرازي ١٢/٢٦-٢٧

(٣٥٨) تفسير القرآن العظيم ٢/٩٨-١٠٠

(٣٥٩) تفسير البيضاوي ٢/٢٤٠

أما الطبري فذكر في تفسيره روايات تؤكد نزولها في عبادة بن الصامت كما سيأتي، وذكر كذلك ما روي أنها نزلت في الإمام علي، وقد عير عن اختلاف العلماء في سبب نزول الآية بقوله (وأما قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به (٣٦٠)، وكذلك هو الحال في تفسير البغوي (٣٦١).

وأما الواحدي فعلى ما عُرف عنه من عدم العناية بالحديث كحال الثعالبي وأبي السعود إلا أنه نقل سبباً وحيداً لنزول الآية (٣٦٢) فقال: ﴿إِنَّهَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ نزلت لما هجر اليهود من أسلم منهم فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا ألا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقال رضيña بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء وقوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يعني صلاة التطوع (٣٦٣).

وأما ابن الجوزي فقال في تفسيره زاد المسير: (اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال . . .) ثم ذكر الأقوال الأربعة (٣٦٤).

وذكر الشوكاني في تفسير الآية قولين: الأول: أنها نزلت في عبادة بن الصامت، والثاني: أنها نزلت في علي بن أبي طالب دون ترجيح (٣٦٥).

وفي هذا دلالة قاطعة على أن ادعاء إجماع أو اتفاق المفسرين على أنها نزلت في علي بن أبي طالب كذب على هؤلاء المفسرين.

وغاية ما ينقله علماء الشيعة الاثني عشرية عن المفسرين الذين تبوا

(٣٦٠) تفسير الطبري ٢٨٨/٦

(٣٦١) تفسير البغوي ٤٧/٢

(٣٦٢) وذكر في موضع آخر رواية ابن عباس عن علي أنه تصدق بخاتم من ذهب وهي رواية مردودة كما سيأتي.

(٣٦٣) تفسير الواحدي ٣٢٥/١

(٣٦٤) زاد المسير ٣٨٢/٢

(٣٦٥) فتح القدير ٥٣/٢

الرأي في نزولها في علي بن أبي طالب دون غيره، فهو مذكور في تفسير الثعالبي^(٣٦٦) وأبي السعود وغيرهما^(٣٦٧).

والثعالبي وأبو السعود على فضلها إلا أنهما لا خبرة لديهما بالصحيح والسقيم من الأحاديث، ولذا كثر في تفسيرتهما الروايات الضعيفة والموضوعة، ولذلك قال العلماء عن الثعالبي على وجه الخصوص بأنه حاطب ليل، لا يميز بين الرطب واليابس.

والمتكلم والمفسر والمؤرخ ونحوهم، لو ادعى أحدهم نقلاً مجرداً بلا إسناد ثابت لم يُعتمد عليه حتى يأتي بإسناد الحديث فيحكم عليه صحة وضعفاً.

ورواية تصدق الإمام علي بن أبي طالب بالخاتم المذكورة قد ناقشها كثير من العلماء، وحسبي أن أشير إلى ما ذكره في ذلك محقق تفسير القرطبي.

قال الشيخ عبد الرزاق المهدي عن الرواية (باطلة). أخرجها الطبراني كما في المجمع ١٧/٧ من حديث عمار بن ياسر، وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم. وأخرجها الواحدي ٣٩٧ بسنده عن ابن عباس، وفيها الكلبي متهم بالكذب، وكذا محمد بن مروان السدي الصغير، وأخرجها الطبراني ١٢٢١٥ عن السدي من قوله، وهذا معضل^(٣٦٨).

وقال أيضاً: (وكذلك أنّ الواحدي في روايته عن ابن عباس أنّ علياً تصدق بخاتمه الذي هو من ذهب. نعم هكذا ذكره في الأسباب ص ١٤٩ وهذا لا يكون. لأنّ الذهب حرام، والآية غير منسوخة حتى نقول كان في أول الإسلام، بل هي محكمة تتكلم عن توجيهات قرآنية لا عن أحكام فقهية... وأيضاً في الآثار هذه أنّ الرجل صار يسأل الناس في المسجد والناس ما بين

(٣٦٦) ويُقال له الثعلبي على اختلاف العلماء في إطلاق التسميتين عليه.

(٣٦٧) تفسير أبي السعود ٥٢/٣

(٣٦٨) قاله في هامش ص ٢٠٨ من تفسير القرطبي ٢٠٨/٦

راكع وساجد، وهذا أيضاً يؤدي إلى رفع الصوت في المسجد، أو هو من باب إنشاد الضالة وغيره في المسجد، وهو منهي عنه^(٣٦٩).

ويقول ابن كثير: (وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها)^(٣٧٠).

على أن في رواية تصدق الإمام علي بخاتمه ما يدعو للعجب والاستغراب.

وذلك أن (اللائق بعلي عليه السلام) أن يكون مستغرق القلب يذكر الله حال ما يكون في الصلاة، والظاهر أن من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير وفهمه، ومن كان قلبه مستغرقاً في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير)^(٣٧١)، وقد أثنى الله عز وجل على الخاشعين في صلاتهم فقال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾^(٣٧٢) ولا ريب أن علي بن أبي طالب من أحق الناس بهذه الآية فكيف يُزعم أنه كان يستمع للرجل وأنه انشغل بإخراج المال من جيبه، كل هذا وهو يصلي!

فإن قيل: خاف أن يذهب الرجل، نقول: إن المدينة لا تخلو من فقراء محتاجين إلى الزكاة فلن يُحرم علي ولا غيره من الصحابة من الأجر هذا من جانب، ثم أو ليست كتب الشيعة تروي أن الإمام إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله؟ فحينئذ يمكن للإمام علي الانتظار إلى حين الانتهاء من الصلاة ثم يستطيع إعطاء الرجل ما يريد إعطاءه متى شاء بعد ذلك.

على أن هناك حقيقة يجهلها أو يتجاهلها بالأحرى الكثيرون . . فالإمام علي كان فقيراً في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه، بالكاد يملك قوت يومه وكسوة أهله حتى اشتكت من ذلك السيدة فاطمة كما هو معروف في كتب

(٣٦٩) هامش ص ٤٨٤ من الجزء الثاني لتفسير نظم الدرر للبقاعي بتحقيق عبد الرزاق المهدي.

(٣٧٠) تفسير القرآن العظيم ٩٩/٢

(٣٧١) تفسير الرازي ٢٧/١٢ بتصرف.

(٣٧٢) سورة المؤمنون آية ١-٢

الشيعية الاثني عشرية قبل كتب أهل السنة، فمن أين إذاً بلغ ماله الحول حتى يخرج منه الزكاة؟!

ثم إن الأصل في الزكاة أن يبدأ بها المُزَكِّي لا أن ينتظر الفقراء حتى يأتونه ويسألونه حقهم في ماله، وليس الإمام علي بالذي يحتفظ بالزكاة عنده ويحجزها عن فقراء المدينة أو عن أهل الصفة الذين سكنوا المسجد النبوي والذين يراهم ليلاً ونهاراً حين دخوله بيته وحين خروجه منه.

وقد سأل الإمام جعفر الصادق إسحاق بن عمار يوماً: يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟ قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم. فقال له: ما أراك يا إسحاق إلا قد أذلت المؤمنين، فإياك إياك، إن الله تعالى يقول (من أذل لي ولياً فقد أصد لي بالمحاربة) (٣٧٣).

أما أنا فأبرئ علياً أن يكون ممن يذل المؤمنين بحبسه الزكاة عنهم حتى يطلبوها هم... وأبرئه من الانشغال عن الصلاة وهو الخاشع الطائع... وأبرئه من رواية كهذه لا تصح لا سنداً ولا تُعقل معنى، وعليك أن تكون منصفاً وتتصف للإمام علي من هذه الروايات التي تسيء له أكثر ما تمتدحه. وفضائل علي بن أبي طالب كثيرة ومثله غني عن هذه الروايات السقيمة التي تضع صاحبها ولا ترفعه.

وبالمقابل وجدنا أنّ رواية عبادة بن الصامت التي أخرجها الطبري في تفسيره وغيره من المفسرين صحيحة السند، فهي سبب نزول الآية الكريمة.

وذلك أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ﴾ (٣٧٤) أي والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات ﴿يَا أَيُّهَا

(٣٧٣) الأمالي للشيخ الطائفة الطوسي ص ١٩٨ الجزء السابع

(٣٧٤) تفسير الطبري ١٧٨/٦

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ^(٣٧٥) يعني عبد الله بن أبي بن سلول لأنه كان موالياً لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم وذهب إلى النبي ﷺ يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٥١)﴾ ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين وهو عبادة بن الصامت ومن سار على دربه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

ومما يؤكد كونها نازلة في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي المنافق عبد الله بن أبي بن سلول وبني قينقاع سياق الآيات لمن تدبرها، فإنه تعالى قد قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٥١)﴾^(٣٧٦) فهذا نهى عن موالاة اليهود والنصارى.

ثم قال ﴿فَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشِقُ أَنْ نَصِيبَنَا دَآئِرَةً فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحُوا حَنِيرِينَ^(٥٢)﴾^(٣٧٧) فهذا وصف الذين في قلوبهم مرض، الذين يوالون الكفار كالمنافقين، ثم قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(٥٣)﴾^(٣٧٨) فذكر فعل المرتدين وأنهم لن يضرروا الله شيئاً، وذكر

(٣٧٥) سورة المائدة آية ٥١

(٣٧٦) سورة المائدة آية ٥١

(٣٧٧) سورة المائدة آية ٥٢-٥٣

(٣٧٨) سورة المائدة آية ٥٤

من يأتي به بدلهم، ثم قال ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦) (٣٧٩) فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل في الإسلام من المنافقين، وممن يتردد عنه، وحال المؤمنين الثابتين عليه ظاهراً وباطناً (٣٨٠).

وتجدر الإشارة إلى أَنَّ الآية على فرض كونها قد نزلت في الإمام علي فإنه لا دلالة فيها على معنى الإمامة أو الإمارة.

فالولاية (بافتح) المذكورة في الآية هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، وولي) بينما الولاية (بالكسر) تعني الإمارة، والاسم منها (والي، ومتولي)، والآية إنما ذكرت لفظ (ولي)، وفي هذا إثبات النصر والمجبة لا الإمارة، فكيف تُتجاهل هذه الحقيقة اللغوية هكذا بكل بساطة؟!

فلفظ (الولي) تشترك فيه معان كثيرة... ولا يمكن أن يُراد من اللفظ المشترك معنى معين إلا بقرينة خارجة والقرينة ها هنا من السياق يعني ما سبق هذه الآية فهو مؤيد لمعنى الناصر لأنَّ الكلام في نقوية قلوب المؤمنين وتسليتها، وإزالة الخوف عنها من المرتدين (٣٨١).

ولو كان المراد من الآية الإمارة لقال الله (إنما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ولم يقل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فإنه لا يقال لمن ولي عليهم وال أنهم (تولوه) بل يقال: (تولى عليهم)، وهذا ظاهر لمن يعرف العربية.

وتفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ بالإمارة لا يتفق مع وصف الله تعالى نفسه بأنه ولي المؤمنين، فإنَّ الله عز وجل لا يُوصف بأنه أمير المؤمنين على عباده أو خليفتهم أو أنه إمامهم !!

لأنه سبحانه وتعالى خالقهم ورازقهم وربهم ومليكمهم، له الخلق

(٣٧٩) سورة المائدة آية ٥٥-٥٦

(٣٨٠) مختصر المنهاج ٦١٦/٢

(٣٨١) مختصر التحفة ص ١٤٢

والأمر، فالولاية هنا تعني النصرة والمحبة، فإن الله عز وجل يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، وكذلك الحال في رسول الله ﷺ وفي المؤمنين الذين عثر الله عز وجل عنهم بـ (الذين آمنوا) سواء كان علي بن أبي طالب أو غيره.

فهذه هي الولاية المقصودة في الآية، ومن يأبى إلا الإصرار على أنها في الإمامة فنحن نطالبه بأن يستبدل لفظ (وليكم) بـ (إمامكم) أو (خليفتمكم) ويرينا هل يستقيم له المعنى.

ولفظ الركوع المذكور في الآية يُراد به الخضوع كنحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَزَكُّوْنَ﴾ (١٥٨) والمراد أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى.

يقول الطبري (وأما تأويل - أي تفسير - الركوع فهو الخضوع لله بالطاعة، يُقال منه ركع فلان لكذا وكذا إذا خضع له، ومنه قول الشاعر:
بيعت بكسر لتيتم واستغاث بها من الهزال أبوها بعدما ركعا
يعني: بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة). (٣٨٢)

وقال الراغب الأصفهاني (الركوع: الانحناء فتارة يُستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها). (٣٨٣)

(وكانت العرب تُسمي من آمن بالله تعالى ولم يعبد الأوثان راکعاً، ويقولون: ركع إلى الله أي اطمأن إليه خالصاً...) (٣٨٤)

ولذلك ذكر الله عز وجل في الآية الركوع في حال الزكاة بعد ذكره

(٣٨٢) جامع البيان للطبري ٢٥٧/١

(٣٨٣) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٢

(٣٨٤) أساس البلاغة للزمخشري المعتزلي ٣٦٨/١

لإقامة الصلاة مع أن الركوع إنما يكون في الصلاة لا الزكاة، ومن هنا ظهر أن المراد بأنهم يؤتون الزكاة وهم خاضعون مستسلمون لله، إذ المرء قد يشح عن أداء الزكاة ويستكثر أن يخرج من ماله للفقراء، والذي يخضع لله ويستسلم لأحكامه ويقبل بقلبه وبجوارحه على أدائها يكون حينئذ خاضعاً مستسماً لله وهو المراد من الآية.

ويُضاف إلى هذا كله أن قول الحلبي بأن (إنما) في الآية تفيد الحصر لن يخدم النظرية الإمامية أبداً.

فالحصر كما يلزم أهل السنة من جهة إخراجه أبي بكر وعمر وعثمان من استحقاق الخلافة ويحصر الاستحقاق في علي وحده، فهو كذلك يلزم الشيعة أيضاً.

فالأداة (إنما) إن أفادت الحصر فذلك يعني أحد أمرين: إما حصر الخلافة في علي فقط ونفي إمامة غيره حتى الأحد عشر الذين تنص عقيدة الشيعة على إمامتهم لأن الحصر لن يخرج أبا بكر وعمر وعثمان فقط ويدخل غيرهم وإنما يُخرج الجميع، وفي هذا بطلان إمامة كل من هم سوى الإمام علي بن أبي طالب، وهذا ما لا يطيقه أرباب النظرية الإمامية.

أو أنها تحصر الخلافة فيمن يؤدي الزكاة وهو راعٍ وهذا أعظم من الأول لأمرين اثنين وهما:

أ - يستطيع كل أحد أن يؤدي الزكاة وهو راعٍ فهل أهلية إمامة المسلمين مقيدة بهذا؟! هل كل من يؤدي الزكاة وهو راعٍ يستحق بمقتضى فعله هذا أن يكون خليفة للمسلمين؟!!

ب - لم يثبت عن الأئمة الأحناف العشر الباقيين أنهم تصدقوا أو أدوا الزكاة وهم راعون، وفي ذلك نفي لإمامتهم، بل على فرض صحة الرواية في تصدق علي وهو راعٍ، فإننا نعلم أن التوافق بين كون علياً يؤدي الصلاة

وبين دخول الفقير إلى المسجد وطلبه الزكاة أمر لا يتكرر إلا بمحض الصدقة لا أن يتكرر لاثنين عشر رجلاً إلا إذا قصد تعمد تكرار هذا المشهد !!

فالنص قد حُمل بالفعل أكثر مما يحتمل، معناه واضح جلي والسياق الذي أتى به أوضح، وسبب النزول المعروف في عبادة بن الصامت يزيده وضوحاً فلماذا لا نستسلم للحقيقة؟

آية التطهير وحديث الكساء

آية التطهير هي قول عز وجل ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِنَّهُ أَغْلَقَهُ عَلَى الْمَوْتِمِ وَطَمَسَهُ لِيَُخَذَ مِنْهُمُ الْمُحْسِنُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٨٥) ﴿٣٣﴾

وقد تعمد علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي عليه الصلاة والسلام إغفالاً لنساء النبي من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداً وعليه مرط (٣٨٦) مرخل (٣٨٧) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء

(٣٨٥) سورة الأحزاب آية ٣٢ - ٣٣

(٣٨٦) يعني كساء

(٣٨٧) وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل

الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. (٣٨٨)

وحديث أم المؤمنين أم سلمة (لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير) (٣٨٩) لثبيت المعنى الذي يزيلونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة.

ويرى علماء الشيعة الاثني عشرية أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء (علي وفاطمة والحسن والحسين) من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشري.

المناقشة:

أولاً: حديث أم سلمة المذكور آنفاً قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي ﷺ عندي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً).

وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة

بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأوماً بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم.

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية (لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير) (٣٩٠)

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أنّ أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه.

فمن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غزوه وذلّوه لعنهم الله، فإنني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه واثيني بابنيه، قال: فجاءت تفود ابنها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول

الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتذ كساء خيرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلقه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله، ألسنت من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة (٣٩١).

فشهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لأم سلمة أنها من أهل بيته بل وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم.

ثانياً: آية التطهير تتناول نساء النبي صلوات الله وسلامه عليه بكل وضوح، والأحاديث النبوية تشير إلى دخول أصحاب الكساء معهم لدعاء النبي عليه الصلاة والسلام لأصحاب الكساء بذلك.

(فإن قيل: إن الضمير في قوله ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، وفي قوله ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، ضمير مذكر، فلو كان المراد نساء النبي ﷺ لقيل: (ليذهب عنكن ويطهركن).

فالجواب من وجهين:

الأول: هو ما ذكرنا من أن الآية الكريمة شاملة لهن ولعلي والحسن والحسين وفاطمة، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها، كما هو معلوم في محله.

الوجه الثاني: هو أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قوله تعالى في موسى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾،

وقوله ﴿سَاتِيكُمْ﴾، وقوله ﴿أَعْلَى آتِيكُمْ﴾، والمخاطب امرأته؛ كما قاله غير واحد، ونظيره من كلام العرب قول الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاحًا ولا برداً

وبما ذكرنا تعلم أن قول من قال: إِنَّ نساء النبي ﷺ لسن داخلات في الآية، يردّ عليه صريح سياق القرآن، وأنّ من قال: إِنَّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين ليسوا داخلين فيها، تردّ عليه الأحاديث المشار إليها. (٣٩٢)

ولهذا لما كانت الآية نازلة في نساء النبي (أمهات المؤمنين) وفي إرادة تطهيرهن، جمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب الكساء وهم من خواص أهل البيت، ليدعو لهم بأن ينالهم التطهير الذي نال أمهات المؤمنين قائلاً (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) طالباً من الله عز وجل أن ينالهم هذا الفضل وهم بلا شك أهل له، فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام وقبل أن يقرأ الآية موضعاً سبب طلبه لهم، فقالت أم سلمة: (وأنا معهم يا رسول الله)، قال: (إنك على خير) إذ لا حاجة لأم سلمة في أن يدعو لها رسول الله ﷺ بأن يذهب الله عنها الرجس طالما أنّ الآية نزلت فيها وفي باقي نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة فيهن لا في أصحاب الكساء الذين حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء لهم ولو كانت الآية نازلة فيهم لما جمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال ما قال.

يقول القرطبي: (فالآيات كلها من قوله ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾ منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام منفصل لغيرهن؟! وإنما هذا شيء جرى في الأخبار أنّ النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد

النبي ﷺ إلى كساء فلفه عليهم ثم ألقى بيده إلى السماء فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خطب بها الأزواج ومن وافقه فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل (٣٩٣).

ثالثاً: آية التطهير لا يمكن الاستدلال بها على العصمة لأمر هي:

١ - إذهاب (الرجس) لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى (العصمة).

يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات ألفاظ القرآن) مادة (رجس):
(الرجس: الشيء القذر، قال: رجل رجس، ورجال أرجاس، قال تعالى ﴿يَجْعَلُ مِنَ الْعَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ .. والرجس من جهة الشرع والخمر والميسر .. وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قيل: الرجس: التن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وقال ﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾.

وبالجملة لفظ (الرجس) أصله (القذر)، يُطلق ويُراد به الشرك كما في قوله تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (٣٩٤)، ويُطلق ويُراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات نحو قوله ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ (٣٩٥) وقوله ﴿إِنَّمَا الْفَنَرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٣٩٦) ولم يثبت أن استخدم القرآن

(٣٩٣) تفسير القرطبي ١٤/١٨٣

(٣٩٤) سورة الحج آية ٣٠

(٣٩٥) سورة الأنعام آية ١٤٥

(٣٩٦) سورة المائدة آية ٩٠

لفظ (الرجس) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته .

٢ - التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد!

فكما أنّ كلمة (الرجس) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطائه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القدر والتن والنجاسات المعنوية والحسية فإنّ كلمة (التطهير) لا تعني العصمة .

فإنّ الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط ، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير .

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ (٣٩٧) وقال عز من قائل ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (٣٩٨) وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (٣٩٩) ، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين ، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم .

وقد قال الله تعالى أيضاً عن لوط عليه السلام ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ أَلْ لَّوْطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْطَهَرُونَ﴾ (٥٦) ولم تكن ابتلا لوط عليه السلام معصومتين مع أنهما من آل الذين وُصفوا بالتطهير .

وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ ، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق .

(٣٩٧) سورة المائدة آية ٦

(٣٩٨) سورة التوبة آية ١٠٣

(٣٩٩) سورة البقرة آية ٢٢٢

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبين قوله عن أهل بدر ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾، فالرجز والرجس متقاربان، و(يطهركم) في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى!

والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية، مفارقات عجيبة يُحار فيها العقل ولا تجد لها إلا إجابة واحدة، إنه التعصب وما يفعله في أصحابه.

٣ - دعاء النبي عليه الصلاة والسلام يحسم القضية.

هل يصح لطالب خاض اختبارات الجامعة أن يدعو الله عز وجل أن ينجحه في اختباراتهِ بعد ظهور النتيجة وحصوله على الشهادة؟! بلا شك لا. فآية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس!) بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي عليه الصلاة والسلام وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءهم لأنهم أهل لذلك بلا ريب.

٤ - إرادة التطهير لا تعني بالضرورة وقوع التطهير.

ما ذكرته آنفاً يستند إلى أن المعنى من إرادة الله للتطهير وقوع التطهير، وقد يكون المراد من الآية الأمر بلزوم طاعة الله حتى يقع التطهير.

وسياق الكلام الموجه لنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يتضمن توجيهاً إلهياً لهن بفعل أمور واجتنب أخرى^(٤٠٠)، وبين الله عز وجل أنه يريد منهن التزام هذه التوجيهات ليذهب عنهم الرجس بمقتضى أمره لهم، وبإمثالهم لأمر الله وحفظهم لوصاياه يحصل التطهير، وهذا النمط من الخطاب استخدمه الله عز وجل في آخرين كما في قوله تعالى للمؤمنين ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٤٠١) وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(٤٠٢) وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٤٠٣) فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا لا أنها حصلت فعلاً، ولو كان الأمر كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته، وأبسط مثال يوضح ذلك هو أن الله عز وجل يريد على سبيل المثال للبشر كلهم أن يدخلوا الجنة وهذه الإرادة هي إرادة محبة، وهناك إرادة له سبحانه كونية قدرية في هذا الشأن وهي أنه سيكون من البشر مؤمن وكافر وأنه ليس كل البشر سيدخلون الجنة، لأن الله سبحانه وتعالى أعطى البشر الحرية في عمل الخير أو الشر لكي يحصل العدل بمجازاته، ولو كان الإنسان مجبوراً على الخير فقط لما كان من العدل مجازاته أصلاً لأنه لو أراد الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فإرادة الله إدخال البشر كلهم الجنة إرادة محبة ولكن لا يلزم تحققها لأن الله نفسه لم يوجب حدوثها.

(٤٠٠) ومما يؤكد أن الآية لا تنص على وقوع التطهير بل على إرادة التطهير أن رسول الله ﷺ حرص على أن يلحق أصحاب الكساء ما لحق زوجاته أمهات المؤمنين اللاتي نزلت فيهن الآية وفي إرادة تطهيرهن ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنه كان إذا خرج إلى الصلاة يمر بباب علي وفاطمة ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ مذكراً إياهم بالآية وحاضاً علياً على الخروج للصلاة الجماعة، إذ بالمحافظة على الفرائض وبطاعة الله يحصل التطهير.

(٤٠١) سورة المائدة آية ٦

(٤٠٢) سورة النساء آية ٢٦

(٤٠٣) سورة النساء آية ٢٨

رابعاً: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهي يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كطرف من الأطراف الذين نزلت فيهم الآية، والشيعه الاثنا عشرية يقولون بأن الله عز وجل أضفى على الأئمة صفة العصمة لاحتياج المهمة المناطة بهم لذلك وهي إمامة الناس وتحكيم شرع الله، والسؤال: إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيه أو من الأئمة لكي تُضفى عليها صفة العصمة؟! وما الغاية التي لأجلها أضفيت لها العصمة؟! هل كل من يحبه الله وله مقام عند الله يكون معصوماً؟

إن الله عز وجل لنا أضفى صفة العصمة على الأنبياء أضفاها عليهم لأنهم مبلغو الوحي وأمناء الرسالة السماوية، ولو أننا قبلنا عصمة الأئمة دون أن نناقشها، فإن ما لا يمكن تقبله لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف بالعصمة من ليس بنبي ولا حتى إمام!!

وإذهاب (الرجس) حتى لو دل على العصمة فإنه لا يدل على استحقاق الإمامة بحال من الأحوال، ونحن بصدد البحث عن دليل على الإمامة، فإن قيل بأن من مستلزمات الإمامة العصمة وأن من كان معصوماً وجبت إمامته، قيل: وماذا تقول في السيدة فاطمة الزهراء التي هي أحد أصحاب الكساء؟ أتستطيع تطبيق نفس المبدأ عليها والقول بأنها من الأئمة؟! فإن قال: (لا) وهي الإجابة الوحيدة التي سيستطيع أن يجيب بها، قيل له: قال الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فإما أن تطبق ما تدعيه مائة بالمائة أو تقر ببطلانه، لكن التثبت بالدليل بما يوافق الهوى وطرح ما يخالفه ما هو في الحقيقة إلا تلاعب بالقرآن الكريم وبسنة رسوله الكريم، وما أرى من يسلك هذا الطريق يطلب الحق وهو يدعي ما يدعيه، ويجره التعصب إلى الإصرار على الخطأ في فهم دين الله.

آية المباهلة

وآية المباهلة التي نزلت في وفد نجران دليل آخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة، وهي قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٠٤)

ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة لتمييز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ لأنه أراد بقوله ﴿أبنائنا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام ويقول ﴿نساءنا﴾ فاطمة ويقول ﴿أنفسنا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام ... وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد (٤٠٥)

وقبل المناقشة:

لي مع هذه الآية الكريمة حادثة لا تُنسى ..

فقد اتصل بي أحد الأصدقاء يدعوني لحضور حوار سيتم بين شابين أحدهما سني والآخر شيعي في إحدى الديوانيات حول الخلاف بين السنة والشيعة الاثني عشرية، فرحبت بذلك وذهبت على أمل أن يكون النقاش علمياً وأن لا تعكره أجواء التعصب.

وقد كان المحاور السني قريباً من الديوانية فحضر قبل المحاور الشيعي، فعرفني على أحد الجالسين وأخبرني بأنه مؤذن في أحد المساجد وذكر لي اسم

(٤٠٤) سورة آل عمران آية ٦١

(٤٠٥) تفسير التبيان للطوسي ٣/ ٤٨٥

عائلة شيعية عريقة في التشيع هي عائلة هذا الشاب، وأخبرني بأنه كان في السابق قبل أن يتحول إلى أهل السنة ممن يقوم بتمثيل دور الشبيه في الحسينية.

فانتقلت مباشرة إلى الأخ ورخبت به وسألته عن سبب انتقاله إلى أهل السنة ودار بيننا حديث عن الصعوبات التي واجهها بسبب تسننه.

لكن الشاهد من هذا كله، حوار دار بينه وبين أحد علماء الشيعة حول هذه الآية بالذات.

قال الأخ: ذكرت لابن عمي يوماً أن من عقائد الشيعة الاثني عشرية تفضيل الإمام علي على الأنبياء، فاستنكر هذا وقال لي: أنا شيعي ولا أعرف هذا الكلام، فقلت له: لأنك عامي ولا تعرف كل العقائد أما أنا فمطلع على هذه الأمور.

يقول: فاتفقنا على أن يحسم الأمر بيننا أحد علماء الشيعة الاثني عشرية على أن أخاطبه بصفتي شيعي اثني عشري كما كنت في السابق حتى لا يتوجس من قصدي من السؤال.

يقول: فسألت الشيخ (من أفضل الإمام علي عليه السلام أم الأنبياء عليهم السلام؟).

فأجاب الشيخ: الإمام علي عليه السلام أفضل من الأنبياء جميعاً سوى محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فنظرت إلى ابن عمي وهو بجانيبي وقلت: أرايت؟ كلامي كان صحيحاً.

ثم قلت للشيخ: ما الذي جعل الإمام علياً أفضل من الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام؟

فقال: آية المباهلة، لأن الله عز وجل قد جعله نفس محمد صلوات الله وسلامه عليه بقوله ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾.

يقول: فوقع في قلبي أن أقول للشيخ: لكن الله عز وجل قد قال في

كتابه المجيد مخاطباً الكفار ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿٤٠٦﴾
 فهل يُقال بأن كفار مكة هم نفس رسول الله، لأن الله قد قال ﴿رسول من أنفسكم﴾.

يقول: فصمت الشيخ ولم يستطع الإجابة.

ثم ذكر لي بعد ذلك ما دار بينه وبين الشيخ حول النظرة إلى أبي بكر وعمر وحوادث آخر.

ثم قدم المحاور الذي كنا نتظره فأنهينا حديثنا الجانبي ورحبنا بالضيف وابتدأ النقاش.

المناقشة:

سُميت هذه الآية الكريمة بهذا الاسم كما يقول ابن كثير في تفسيره ١٨٠ / ١ (لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت).

وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

أولاً: إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفس) التي تستدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به على أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين.

قال الزبيدي: (قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن بزي: وشاهده قوله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤٠٧) وفسر ابن عرفة قوله تعالى ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(٤٠٨) أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم)^(٤٠٩)

قال الدهلوي: (معنى (ندع أنفسنا) نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قرنا الأمير - أي الإمام علي - من قبل النبي ﷺ لمصداق (أنفسنا)، فمن نقره من قبل الكفار لمصداق (أنفسكم) في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة (ندع) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبنائهم بعد قوله (تعالوا)).^(٤١٠)

وقوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ مثل قوله تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(٤١١) نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين من أنفس المؤمنين والمؤمنات. وكذلك قوله تعالى ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَرِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤١٢) أي يقتل بعضهم بعضاً.

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾^(٤١٣) أي لا يخرج بعضهم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين.^(٤١٤)

قلت: وقد قال الله عز وجل عن رسوله الكريم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

(٤٠٧) سورة النور آية ٦١

(٤٠٨) سورة النور آية ١٢

(٤٠٩) تاج العروس ١٦/ ٥٧٠

(٤١٠) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٥٦

(٤١١) سورة النور آية ١٢

(٤١٢) سورة البقرة آية ٥٤

(٤١٣) سورة البقرة آية ٨٤

(٤١٤) مختصر منهاج السنة ١/ ١٦٧-١٦٨

بِالْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَجِيمٌ ﴿١٥﴾ وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى ﴿أنفسنا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول ﴿من أنفسكم﴾ فمن ذا الذي يقول بأن نفس رسول الله ونفس كفار مكة - عياداً بالله -!!؟

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة!

ولعلي أشير هنا إلى رواية شيعية تبين أن إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. (٤١٦)

فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي؟

ثانياً: اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أن قوله تعالى ﴿أنفسنا﴾ لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة.

يقول الشريف الرضي في كتابه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ص ١١٣ في تفسير الآية الكريمة: (قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب المقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا

(٤١٥) سورة التوبة آية ١٢٨

(٤١٦) الكافي ٤٤١/٦

نُنَابِرُوا بِأَلْقَابٍ ۖ أَرَادَ تَعَالَى: وَلَا تَعْيِيُوا إِخْوَانَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَجْرَى الْأَخُوَّةَ بِالْإِيَانَةِ مَجْرَى الْأَخُوَّةِ فِي الْقَرَابَةِ، وَإِذَا وَقَعَتِ النَّفْسُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْبَعِيدِ النَّسَبِ كَانَتْ أَخْلَقَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْقَرِيبِ السَّبَبِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَانَا.

أَرَادَ: كَأَنَّمَا نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا بِقَتْلِنَا إِخْوَانَنَا، فَأَجْرَى نَفُوسَ أَقَارِبِهِ مَجْرَى نَفْسِهِ، لَشَوَابِكِ الْعَصَمِ وَنَوَاطِلِ اللَّحْمِ وَأَطْيَطِ الرَّحِمِ، وَلَمَّا يَخْلُجُ مِنَ الْقَرِيبِ الْقَرِيبَةِ، وَيَتَحَرَّكُ مِنَ الْأَعْرَاقِ الْوَشِيجَةِ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّوْرِ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ فَيُمْكِنُ أَنْ يَجْرَى هَذَا الْمَجْرَى، لِأَنَّهُ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ فَلْيَسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِاسْتِحَالَةِ أَنْ يَسَلِّمَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا سَاغَ هَذَا الْقَوْلُ، لِأَنَّ نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ تَجْرِي مَجْرَى النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، لِلْإِجْتِمَاعِ فِي عَقْدِ الدِّيَانَةِ، وَالْخُطَابِ بِلِسَانِ الشَّرِيعَةِ، فَإِذَا سَلَّمَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَى أَخِيهِ كَانَ كَالْمُسْلِمِ عَلَى نَفْسِهِ، لِارْتِفَاعِ الْفُرُوقِ وَاجْتِلَاطِ النَّفُوسِ) انْتَهَى كَلَامُهُ.

وَبِهَذَا يَتَضَحُّ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَدَى الشَّيْعَةِ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَنْصُ عَلَى مَسَاوَاةٍ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، فَلَفِظَ (النَّفْسُ) يُطْلَقُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ عَلَى الْبَعِيدِ النَّسَبِ فإِطْلَاقُهُ عَلَى الْقَرِيبِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِمَامَةِ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ!

ثَالِثًا: إِنَّ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنِ لَيْسَ فِي ظَاهِرِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِإِظْهَارِ الْإِمَامَةِ لِعَلِيِّ وَإِنَّمَا هِيَ الْقَرَابَةُ، إِذْ أَنَّ الْمُبَاهَلَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالشُّعُورُ بِصَدْقِ الدَّاعِي بِجَمْعِهِ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ الَّذِينَ تَحَنُّ إِلَيْهِمُ النَّفُوسُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مَا لَا تَحَنُّ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَبْعَدِينَ فِي الْهَلَاكِ. (٤١٧)

فَفِيهَا مِنْ مَجَالِ التَّضْحِيَةِ أَكْثَرُ وَضُوحًا مِنْ مَجَالِ إِضْفَاءِ الْفَضَائِلِ أَوْ

الإمامة، ففي التضحية تُقدّم الأنفس والأبناء والنساء ولكن لا يُقدّمون للخلافة! (٤١٨)

رابعاً: قول الشيعة الإمامية إنّ الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ أنّ النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟ إنّ الإمام علياً نفسه لا يرتضي ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح.

روى الكليني في الكافي أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام سئل (يا أمير المؤمنين، أفنبي أنت؟)، فقال: ويلك، إنما عبد من عبيد محمد ﷺ). (٤١٩)
يريد بذلك عبد الطاعة والخدمة لا عبد العبادة.

فإذا كان هذا هو مقام الإمام علي من صريح كلامه، وهو ما ينص العقل عليه وعلى كل أحد أنه تابع لرسول الله إن أطاع سنته وهديه دخل الجنة وإن عصاه دخل النار، فكيف يجزؤ أهل الغلو على مقولتهم الأئمة أنّ علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة فقط!

وهل كمال علي بن أبي طالب البشري ككمال رسول الله البشري في نبوته صلوات الله وسلامه عليه أو حتى قبل نبوته؟!

هل يدّعي هؤلاء أنه لا فرق بين رسول الله قبل النبوة وبين علي بن أبي طالب، وأنّ النبوة حينما جاءت لم تجد فرقاً بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين علي بن أبي طالب، لكن الاختيار وقع على محمد عليه الصلاة والسلام

(٤١٨) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص ٤٩

(٤١٩) الكافي ١/ ٨٩

هكذا لحكمة ربانية لا نعلمها لا لكونه أكمل وأفضل وأشرف مقاماً وأعظم خُلُقاً واستحقاقاً من علي بن أبي طالب؟!!

إن الشيعة الاثني عشرية اليوم يغضبون من متعصبة أهل السنة الذين ينسبون إليهم القول بأن جبريل أخطأ في إنزال النبوة على محمد وأنها كانت ستزل على علي!، وهذا باطل والشيعة الاثنا عشرية بريئون من هذا القول^(٤٢٠)، لكنهم في الوقت ذاته يساوون بين نفس رسول الله ونفس علي بن أبي طالب، ويستنون النبوة، وكأنهم يقولون من حيث لا يشعرون أن الله عز وجل لم يصطف محمداً عليه الصلاة والسلام لتميزه عن سائر الخلق إذ أن علياً نفسه بالضبط لكن جاءت المشيئة الإلهية بأن يكون هو النبي وأن يكون علي وصياً له!

رحماك ربي ... إلى أي ضلالة يقودنا الغلو من حيث لا نشعر ...

(٤٢٠) يجدر بي الإشارة إلى الفرقة التي ادعت ذلك في علي بن أبي طالب وهي فرقة (الغرابية) الشيعية التي غلت في الإمام علي إلى حد الادعاء بأن جبريل ﷺ أخطأ في تبليغ الرسالة.

مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية

أ- حديث غدير خم

روى ابن ماجة في السنن بسنده عن البراء بن عازب قال: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأستأوى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه) (٤٢١)

المناقشة:

١ - سُمي هذا الحديث باسم حديث الغدير لوقوع مكانه عند غدير خم، و خم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق وهذا الغدير فيه عين وحوله شجر كثير ملتف وهي الغيضة التي تسمى خم) (٤٢٢).
وبعد غدير خم عن الجحفة (٤٢٣) ميلان (٤٢٤) أو (ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق). (٤٢٥)

والمسافة بين مكة وبين الجحفة كما يقول آية الله الكلبيكاني في رسالته العملية (مناسك الحج): «مائتين وعشرين كيلو متراً تقريباً».
ويعتبر حديث الغدير أهم أدلة الشيعة على خلافة الإمام علي على

(٤٢١) سنن ابن ماجة (باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ).

(٤٢٢) معجم ما استعجم ٣٦٨/١

(٤٢٣) قرية كبيرة تبعد عن المدينة ١٥٠ كم وعن مكة ٢٥٠ كم تقريباً

(٤٢٤) معجم البلدان ١١١/٢

(٤٢٥) معجم ما استعجم ٣٦٨/١

الإطلاق، ولا يرتاب أحد في أن هذا الحديث من أبرز مناقب الإمام علي، فيكفيه فضلاً وشرفاً رضوان الله عليه أن تُقال في مثله هذه الكلمات العظيمة، ولسنا نناقش هل الحديث من مناقب وفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أم لا، لأن هذا أمر مفروغ منه، ومحسوم من الطرفين (السنة والشيعة)، لكن نقاشنا يدور حول دلالة الحديث على الإمامة بالمعنى الذي تذهب إليه عقيدة الشيعة الاثني عشرية.

والمأمل لحديث الغدير ولملابساته يعلم علم اليقين أنه ليس في الحديث دلالة على معنى الخلافة بل المعنى المراد هو النصرة والمحبة وإليك بيان ذلك:

أولاً: غدير خم يبعد عن مكة ما يقارب المائتين وعشرين كيلو متراً أو أكثر أو أقل بقليل، فإن كان مراد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تنصيب علي بن أبي طالب إماماً من بعده، فلم لم يعلن ذلك في حجة الوداع أو يوم عرفة إذ فيهما من اجتماع المسلمين والفضيلة ما لا يتأتى في غيرهما؟ والقول بأن الجحفة أو غدير خم مفترق طرق الحجيج جهل أو بالأحرى محض كذب على الشرع، لأن مجتمع الحجيج هو مكة ومفترقهم مكة أيضاً، وكيف يجوز لعاقل أن يقبل أن يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وعشرين كيلو متراً؟

ولذلك لم يكن مع النبي ﷺ في طريق عودته إلى المدينة إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، ولو أراد رسول الله ﷺ أن يوصي بالإمامة من بعده فإنه لا يعقل أن ينتظر تفرق الناس من بعد الحج بين ماكن في مكة وعائد إلى اليمن أو الطائف، ثم يعلن بعد ذلك عن هذه القضية الهامة في منطقة تبعد عن مكة المكرمة كل هذا البعد، فلا ينصت إلى خطبته إلا أهل المدينة ومن كان على دربهم فقط؟!!!

ثانياً: حديث الغدير لم يأت من فراغ بل لسبب وعلة لا ينبغي إغفالها.

فقد أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب خلف خالد بن الوليد إلى اليمن ليخمس الغنائم و يقبض الخمس.

لكن قسمة الخمس كانت سبباً في إثارة الجيش على علي بن أبي طالب.

روى الإمام أحمد في مسنده عن بريدة الأسلمي قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصبح به إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ ابعث إلينا من يخمس، قال: فبعث إلينا علياً، وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي فخمس، وقسم فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسمت وخمست، فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ثم صارت في آل علي ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ، فقلت: ابعثني فبعثني مصداقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض علياً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي). (٤٢٦)

وعن بريدة أيضاً أنه قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ

يتغير فقال: يا بريدة، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٤٢٧).

ولم يكن هذا الأمر هو الأمر الوحيد الذي أثار الناس على علي بن أبي طالب آنذاك.

فلما كانت حجة الوداع، رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ، وساق معه الهدى^(٤٢٨)، واستخلف على الجند رجلاً من أصحابه، فكسا ذلك الرجل كل رجل حلة البرّ دون أذن علي بن أبي طالب، فلما قدم عليهم علي انتزعها منهم فسخط الناس عليه.

قال ابن إسحاق في السيرة: (لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف علي جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البرّ الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البرّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم)^(٤٢٩).

قال الواقدي: قال أبو سعيد الخدري - وكان معه في تلك الغزوة - : وكان علي عليه السلام ينهانا أن نركب إبل الصدقة، فسأل أصحاب علي عليه السلام أبا رافع أن يكسوهم ثياباً فكساهم ثوبين ثوبين، فلما كانوا بالسدرة داخلين مكة، خرج علي عليه السلام ليلقاهم ليقدم بهم فيتزلهم، فرأى علي أصحابنا ثوبين ثوبين على كل رجل، فعرف الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ قال: كلموني ففرقت

(٤٢٧) المصدر نفسه حديث رقم ٢١٨٦٧

(٤٢٨) ذكر ذلك مسلم في صحيحه برقم (١٢٨١)

(٤٢٩) السيرة لابن هشام ٦٠٣/٤

من شكائهم، وظننت أن هذا سهل عليك، وقد كان من كان قبلك يفعل هذا بهم، فقال: رأيت إياي عليهم ذلك! وقد أعطيتهم، وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلّفت، فتعطيهم!، قال: فأبى علي ﷺ أن يفعل ذلك حتى جرد بعضهم من ثوبيه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوا، فدعا علياً فقال: ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: ما اشتكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً، فينفّلون من أرادوا من الخمس، فرأيت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك، فسكت النبي ﷺ. (٤٣٠)

ومما أثار الجيش أيضاً ما ذكره الواقدي في المغازي عن عمر بن علي أنه قال: (وجمع علي ﷺ ما أصاب من تلك الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فأقرع عليها، فكتب في سهم منها (لله)، فخرج أول السهام سهم الخمس ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، فكان من قبله يعطون أصحابهم - الحاضر دون غيرهم - من الخمس، ثم يخبر بذلك رسول الله ﷺ فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من علي ﷺ فأبى، وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ فيرى فيه رأيه، وهذا رسول الله ﷺ يوافي الموسم ونلقاه ويصنع فيها ما أراه الله، فانصرف راجعاً، وحمل الخمس وساق معه ما كان ساق فلما كان بالفتق تعجل). (٤٣١)

وقد تجلّى سخط الجيش على علي بن أبي طالب فيما رواه الترمذي في جامعه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدءوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا،

(٤٣٠) مغازي الواقدي ٣/ ١٠٨٠ مؤسسة الأعلمي - الطبعة الثالثة ١٩٨٩ م.

(٤٣١) المصدر السابق

فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ما تريدون من علي) إلى آخر الحديث (٤٣٢).

قال المؤرخ ابن كثير (إنّ علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه، وفي طريقه إلى المدينة مرّ بغدير خم فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي، ورفع قدره وتبّه على فضله ليزيل ما وفر في قلوب كثير من الناس). (٤٣٣)

ولذلك أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام إلى أنّ رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة أو في يوم عرفة حيث اجتمع المسلمون وإنما أرجأ الأمر إلى طويق العودة لأنّ الأمر متعلق بأهل المدينة الذين تكلموا في علي والذين كانوا مع علي في الغزو.

ثالثاً (وهو الأهم): لفظ (مولى) لا يخدم النظرية الإمامية، والاستشهاد بلفظ (مولى) على معنى الوصاية والوزارة جهل باللغة العربية، فإنّ الولاية بالفتح هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، وولي)، والولاية بكسر الواو هي الإمارة، والاسم منها (والي ومتولي)، والموالاة ضد المعاداة، كقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١) (٤٣٤) وقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٤٣٥) والآيات في هذا المعنى كثيرة. (٤٣٦)

(٤٣٢) جامع الترمذي ٦٣٢/٥

(٤٣٣) البداية والنهاية ٩٥/٥

(٤٣٤) سورة محمد آية ١١

(٤٣٥) سورة التوبة آية ٧١

(٤٣٦) الفيروز أبادي في القاموس - مادة (ولي)

ورسول الله ﷺ فصيح بليغ، لو أراد من الحديث معنى الإمامة كما يفهمها الشيعة الاثني عشرية لصرح بذلك بأنسب عبارة وأوضح تعبير دون استخدام لفظ بعيد عن معنى الإمامة والولاية ويحتمل أكثر من معنى، كل معنى من تلك المعاني أبعد ما يكون عن مدلول الإمامة.

ولما كان مقصود رسول الله ﷺ هو الشهادة لعلي بن أبي طالب بأنه يستحق الموالاتة والنصرة ظاهراً وباطناً استخدم رسول الله ﷺ لفظ (مولي) في مكانه للدلالة على ذلك.

فلو كان ما ذكره ﷺ في غدير خم بلاغاً للناس كافة لذكره في حجة الوداع التي اجتمع فيها المسلمون كافة تقريباً، ولو أنه ذكره في حجة الوداع لكان من اللازم أن يصرح بأن علياً هو الإمام من بعده بكل وضوح، فليست تلك الكلمات صعبة على رسول الله ﷺ كي يتفوه بها بدلاً من عبارة (من كنت مولاه فعلي مولاه).

رابعاً: فهم صحابة رسول الله للنص:

فالصحابة لم يفهموا من حديث الغدير المعنى الذي يذهب إليه الشيعة الاثنا عشرية بل إن أقرب الناس إلى الإمام علي كأبي أيوب الأنصاري ومن معه من الأنصار قد فهموا أن المراد بالمولى أو الولي هو (الحب والولاء والطاعة) ولذلك عبروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته (يا مولانا).

فمن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم (من كنت مولاه فهذا مولاه)، قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري (٤٣٧).

إنَّ أهم ما يُستفاد من هذا الحديث هو أنَّ علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة!

فمن الملاحظ أنَّ الإمام علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولو كان الإمام علي (العربي الفصيح) يراها مرادفة لـ (يا أميرنا) أو (يا إمامنا) لما استنكر على القائلين تلك المناداة.

وقد استرعت انتباهي قضية هامة في الحديث تتلخص في هذا التساؤل: (لماذا وقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرب من الجحفة بالذات ليقول هذه الكلمات في الإمام علي)؟

الناظر في مناسك الحج عند السنة والشيعة يعلم علم اليقين أنَّ (الجحفة) هي ميقات أهل الشام، وأهل الشام في زمن خلافة علي بن أبي طالب هم الذين شتموه ونصبوا له العداة! هل هذه مصادفة فقط أم معنى مقصود؟

كأنَّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لا يكفي بالحض على موالة علي الدينية وعلى حبه فقط بل وقف عند ميقات أهل الشام وكأنه يشير إليهم بأن لا ييغضوا هذا الرجل ولا يجرحهم الشيطان إلى شتمه ومعاداته بغير حق. ولقد رأينا الأنصار الذين عملوا بحديث الغدير ونادوا الإمام (يا مولانا) تطبيقاً لمعنى الحديث الشريف، هم الذين وقفوا جنباً إلى جنب مع الإمام علي في حربه ضد أهل الشام، إذ على هذا يدور معنى الحديث. في حين أنهم لم يجدوا أدنى حرج في تنصيب أبي بكر خليفة على المسلمين.

ولو كانوا قد فهموا من الحديث معنى الإمامة لكانوا هم أول من سلّم الإمامة لعلي، فالإمامة ستخرج من يدهم لا محالة إما لأبي بكر وإما لعلي، ولا مصلحة لهم تقتضي أن ينكروا حق علي وهم يعلمونه من رسول الله.

خامساً: روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

فقد قيل للإمام الحسن بن الحسن بن علي الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ فقال: بلى ولكن - والله - لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به. (٤٣٨)

وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: (ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله) وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله. (٤٣٩)

فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرين له، فما ترى غيرهم يقولون؟

سادساً: قرأت كلاماً نفسياً للباقلاني رحمه الله في شأن هذا الحديث يقول فيه: (فإن قال من الشيعة المنكرين: صريح النص على علي عليه السلام: ما أنكرتم أن يكون النبي ﷺ قد نصّ علي علي رضي الله عنه بقوله (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ لأن النبي ﷺ قرّهم على وجوب طاعته وأنه أولى بهم من أنفسهم ثم قال بعد قوله لهم: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)، (فمن كنت مولاه فعلي مولاه)، فأوجب لعلي من وجوب الطاعة والانقياد له وأنه أولى بهم ما أوجبه لنفسه: لا يجب ما قلتم، لأن ما أثبتته لنفسه من كونه أولى بهم ليس هو من معنى ما أوجبه لعلي بسبيل، لأنه قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فأوجب الموالاة لنفسه ولعلي وأوجب لنفسه كونه أولى بهم من أنفسهم وليس معنى أولى من معنى (مولى) في شيء، لأن قوله (مولى) يحتمل في اللغة وجوهاً ليس فيها معنى (أولى) فلا يجب إذا عُقِبَ كلام بكلام ليس من معناه أن يكون معناه واحداً.

ألا ترون أنه لو قال: ألسنت نبيكم والمخير لكم بالوحي عن ربكم وناسخ شرائع من كان قبلكم؟ ثم قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، لم

(٤٣٨) التهذيب لابن عساكر ج ٤ ص ١٦٢

(٤٣٩) بصائر الدرجات للصفار ص ١٥٣ و ١٥٦

يوجب ذلك أن يكون قد أثبت لعلني من النبوة وتلقي الوحي ونسخ الشرائع على لسانه ما أوجبه في أول الكلام لنفسه ولا أمر باعتقاد ذلك فيه من حيث ثبت أنه ليس معنى نبي معنى مولى فكذلك إذا ثبت أنه ليس معنى أولى معنى مولى لم يجب أن يكون قد أثبت لعلني ما أثبته لنفسه وإنما دخلت عليهم الشبهة من حيث ظنوا أن معنى مولى معنى أولى وأحق، وليس الأمر كذلك.

وعلى أنه لو ثبت أن معنى (مولاه) معنى (أولى) وإن كان محتملاً لوجوه أخر، لم يجب أن يكون المراد بقوله (فمن كنت مولاه فعلي مولاه): من كنت أولى به، وإن نسق بعض الكلام على بعض وكان ظاهره يقتضي ذلك لدليل صرفه عما يقتضيه وهو أن الأمة مجمعة على أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أوجب ما أوجبه بقوله (ما كنت مولاه فعلي مولاه) في وقت وقوع هذا القول في طول أيام حياة النبي ﷺ فلو كان إنما أثبت له الولاية عليهم وجعله أولى بهم وألزهم طاعته والانقياد لأوامره لوجب أن يكون قد أثبته إماماً وأوجب الطاعة له آمراً وناهياً فيهم مع وجوده سائر مدته ﷺ، فلما أجمعت الأمة على فساد ذلك وإخراج قائله من الدين، ثبت أنه لم يرد به (فمن كنت مولاه): من كنت أولى به، ولم يرد بقوله (فعلي مولاه) أنه أولى به.

ويدل على ذلك أيضاً ويؤكد ما يروونه من قول عمر: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن) فأخبر أنه قد ثبت كونه مولى له ولكل مؤمن فلم ينكر ذلك النبي ﷺ فدل على أنه قد أثبت له في ذلك الوقت ما أثبته لنفسه وليس هو الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له فهذه دلالة تصرف الكلام عن مقتضاه لو كان معنى مولى معنى أولى، وكان نسق الكلام يقتضي ذلك، فسقط ما تعلقوا به.

فإن قالوا: فما معنى مولى عندكم؟ وما الذي أثبته النبي ﷺ بهذا الكلام لعلني وقصد به؟ قيل لهم: أما معنى (مولى) فإنه يتصرف على وجوه: فمنها المولى بمعنى الناصر، ومنها المولى بمعنى ابن العم، ومنها المولى بمعنى الموالي المحب، ومنها المولى بمعنى المكان والقرار، ومنها المولى بمعنى المعتق المالك للولاء، ومنها المولى بمعنى المعتق، ومنها المولى بمعنى

الجار، ومنها المولى بمعنى الصهر، ومنها المولى بمعنى الحليف، فهذا جميع ما يحتمله قوله (مولى)، وليس من معنى هذه اللفظة أَنَّ المولى إمام واجب الطاعة، قال تعالى في المولى بمعنى الناصر ﴿وَإِنْ تَطَلَّهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤٤٠) يعني ناصره.

وقال الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قريش أن تُهاب وتُحمدا
أي فأصبحت ناصرها وحامي ذمارها.

وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور، قال الله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ
الْمَوْلَى مِنْ وَرَائِي﴾^(٤٤١) يعني بني العم، قال الفضيل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب يخاطب بني أمية:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تُنبتوا بيننا ما كان مدفونا
لا تحسبوا أن تُهينونا وتُكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أننا لا نُحبكم ولا نلوكم ألا تحبونا

وأما المولى بمعنى المُعتق والمُعتق، فأظهر من أن يُكشف، يُقال: فلان
مولى فلان يعني مُعتقه ومالك ولائه، وفلان مولى فلان يراد به مُعتق له، وأما
المولى بمعنى الموالى المُحب فظاهر في اللغة، يُقال فلان مولى فلان أي
محب له وولي له، وقد روي في قول النبي صلوات الله وسلامه عليه (مُزينة
وجُهيته وأسلم وغفار موالى الله ورسوله)^(٤٤٢) أي مُحبون موالون لهما.

وأما المولى بمعنى الجار فمعروف في اللغة، قال مربع بن دعدة،
وكان جاور كُليب بن يربوع فأحسنوا جواره:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه كُليب بن يربوع وزادهم حمداً

(٤٤٠) سورة التحريم آية ٤

(٤٤١) سورة مريم آية ٥

(٤٤٢) أخرجه البخاري

هم خلطونا بالنفوس وألجموا إلى نصر مولاهم مسومة جرداً
أي إلى نصر جارهم.

وأما المولى بمعنى الصهر فمعروف أيضاً، قال أبو المختار يزيد بن
قيس الكلابي في ظلامته إلى عمر في أمراه:

فلا تنسين النافعين كليهما وهذا الذي في السوق مولى بني بدر
وكان الرجل صهراً لبني بدر.

وأما المولى بمعنى الحليف فمذكور أيضاً، قال بعض الشعراء:

موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطيناً يعصرون الصنوبرا

فأما ما قصد به النبي ﷺ بقوله: (من كنت مولا، فعلي مولا)، فإنه
يحتمل أمرين: أحدهما: من كنت ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهري
وباطني وسري وعلايتي فعلي ناصره في نصره الدين والمؤمنين سواء والقطع
على سريره وعلو رتبته، وليس يُعتقد ذلك في كل ناصر للمؤمنين بظاهره،
لأنه قد ينصر الناصر بظاهره طلب النفاق والسمعة وابتغاء الرغد ومتاع الدنيا،
فإذا أخبر النبي ﷺ أن نصرة بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنصرته هو
فقط على طهارة سريره وسلامة باطنه وهذه فضيلة عظيمة.

ويُحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله: (من كنت مولا فعلي مولا) أي
من كنت محبوباً عنده وولياً له على ظاهري وباطني فعلي مولا أي إن ولاءه
ومحبته من ظاهره وباطنه واجب كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل
واجب، فيكون قد أوجب مولاته على ظاهره وباطنه ولسنا نوالي كل من ظهر
منه الإيمان على هذه السبيل بل إنما نواليهم في الظاهر دون الباطن.

فإن قيل: فما وجه تخصيصه بهذا القول وقد كان عندكم في الصحابة
خلق عظيم ظاهراً كباطنهم؟ قيل له: يُحتمل أن يكون بلغه ﷺ قدح قادح
فيه أو ثلب ثالب فيه أو أخبر أن قوماً من أهل النفاق والشراسة سيطعون عليه
ويزعمون أنه فارق الدين وحكم في أمر الله تعالى الآدميين ويسقطون بذلك
ولايته ويزيلون ولاءه، فقال ذلك فيه لينفي ذلك عنه في وقته وبعده، لأن الله
تعالى لو علم أن علياً سيفارق الدين بالتحكيم أو غيره على ما قرأ به لم يأمر نبيه

أن يأمر الناس باعتقاد ولايته ومحبته على ظاهره وباطنه والقطع على طهارته وهو يعلم أنه يُختم عمله بمفارقة الدين، لأن من هذه سبيله في معلوم الله تعالى فإنه لم يكن قط ولياً لله ولا ممن يستحق الولاية والمحبة، وفي أمر رسول الله ﷺ بموالاته علي على ظاهره وباطنه دليل على سقوط ما قرفه أهل النفاق والضلال به. (٤٤٣) انتهى كلامه.

ويقول الألوسي رحمه الله: (ووجه استدلال الشيعة بخبر (من كنت مولاه فعلى مولاه) أن المولى بمعنى الأولى بالتصرف وأولوية التصرف عين الإمامة ولا يخفى أن أول اللفظ في هذا الاستدلال جعلهم المولى بمعنى الأولى، وقد أنكر ذلك أهل العربية قاطبة بل قالوا: لم يجرى مفعول بمعنى أفعل أصلاً ولم يجوز ذلك إلا أبو زيد اللغوي متمسكاً بقول أبي عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي أولى بكم، ورد بأنه يلزم عليه صحة (فلان مولى من فلان) كما يصح (فلان أولى من فلان) واللازم باطل إجماعاً، فالملزوم مثله، وتفسير أبي عبيدة بيان لحاصل المعنى يعنى النار مقرم ومصيركم والموضع اللائق بكم وليس نصاً في أن لفظ المولى ثمة بمعنى الأولى.

والثاني: لو سلمنا أن المولى بمعنى الأولى ليلزم أن يكون صلته بالتصرف بل يحتمل أن يكون المراد أولى بالمحبة وأولى بالتعظيم ونحو ذلك، وكم جاء الأولى في كلام لا يصح معه تقدير التصرف كقوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ على أن لنا قرينتين على أن المراد من الولاية من لفظ المولى أو الأولى بالمحبة إحداهما ما روينا عن محمد بن إسحاق في شكوى الذين كانوا مع الأمير كرم الله تعالى وجهه في اليمن كبريد الأسلمي وخالد بن الوليد وغيرهما ولم يمنع ﷺ الشاكين بخصوصهم مبالغة في طلب موالاته وتلطفاً في الدعوة إليها كما هو الغالب في شأنه ﷺ في مثل ذلك، وللتلطف المذكور افتتح الخطبة ﷺ بقوله (ألست

أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، وثانيهما قوله عليه الصلاة والسلام على ما في بعض الروايات (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فإنه لو كان المراد من (المولى) المتصرف في الأمور أو الأولى بالتصرف لقال عليه الصلاة والسلام (اللهم وال من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك)، فحيث ذكر ﷺ المحبة والعداوة فقد نبه على أن المقصود إيجاب محبته كرم الله تعالى وجهه والتحذير من عداوته وبغضه لا التصرف وعدمه، ولو كان المراد الخلافة لصرح ﷺ بها، ويدل لذلك ما رواه أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله تعالى عنهما أنهما سأله عن هذا الخبر هل هو نص على خلافة الأمير كرم الله تعالى وجهه فقال: لو كان النبي ﷺ أراد خلافته لقال: (أيها الناس، هذا ولي أمرى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا وأطيعوا) ثم قال الحسن: (أقسم بالله سبحانه أن الله تعالى ورسوله ﷺ لو أثرا علياً لأجل هذا الأمر، ولم يقدّم علي كرم الله تعالى وجهه عليه، لكان أعظم الناس خطأ. وأيضاً ربما يستدل على أن المراد بالولاية المحبة بأنه لم يقع التقييد بلفظ (بعدي) والظاهر حيثئذ اجتماع الولايتين في زمان واحد ولا يتصور الاجتماع على تقدير أن يكون المراد أولوية التصرف بخلاف ما إذا كان المراد المحبة، وتمسك الشيعة في إثبات أن المراد بالمولى الأولى بالتصرف باللفظ الواقع في صدر الخبر على إحدى الروايات وهو قوله ﷺ (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، ونحن نقول المراد من هذا أيضاً (الأولى بالمحبة) يعنى (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم بالمحبة) بل قد يقال (الأولى) ههنا مشتق من الولاية بمعنى المحبة والمعنى (ألست أحب إلى المؤمنين من أنفسهم) ليحصل تلاؤم أجزاء الكلام ويحسن الانتظام ويكون حاصل المعنى هكذا (يا معشر المؤمنين إنكم تحبونى أكثر من أنفسكم فمن يحبني يحب علياً، اللهم أحب من أحبه وعاد من عاداه).

ثم يقول: (ولو فرضنا كون الأولى في صدر الخبر بمعنى الأولى بالتصرف، فيحتمل أن يكون ذلك لتنبية المخاطبين بذلك الخطاب ليتوجهوا إلى سماع كلامه ﷺ كمال التوجه، ويلتفتوا إليه غاية الالتفات فيقرر ما فيه من الإرشاد أتم تقرر، وذلك كما يقول الرجل لأبنائه في مقام الوعظ والنصيحة

(ألست أباكم) وإذا اعترفوا بذلك يأمرهم بما قصده منهم ليقبلوا بحكم الأبوة والبنوة ويعملوا على طبقهما فقله عليه الصلاة والسلام في هذا المقام (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) مثل (ألست رسول الله تعالى إليكم) أو (ألست نبيكم) ولا يمكن إجراء مثل ذلك فيما بعده تحصيلاً للمناسبة، ومن الشيعة من أورد دليلاً على نفي المحبة، وهو أن محبة الأمير كرم الله تعالى وجهه أمر ثابت في ضمن آية والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فلو أفاد هذا الحديث ذلك المعنى كان لغواً، ولا يخفى فسادُه ومنشؤه أن المستدل لم يفهم أن إيجاب محبة أحد في ضمن العموم شيء وإيجاب محبته بالخصوص شيء آخر، والفرق بينهما مثل الشمس ظاهر، ومما يزيد ذلك ظهوراً أنه لو آمن شخص بجميع أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ولم يتعرض لنينا محمد ﷺ بخصوصه بالذكر لم يكن إيمانه معتبراً.

وأيضاً لو فرضنا اتحاد مضمون الآية والخبر لا يلزم للغو بل غاية ما يلزم التقرير والتأكيد وذلك وظيفة النبي ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يؤكد مضامين القرآن ويقررها بل القرآن نفسه قد تكررت فيه المضامين لذلك ولم يقل أحد إن ذلك من اللغو والعياذ بالله تعالى، وأيضا التنصيص على إمامة الأمير كرم الله تعالى وجهه تكرر مراراً عند الشيعة فيلزم على تقدير صحة ذلك القول اللغوي ويجل كلام الشارع عنه (٤٤٤).

سابعاً: (وهو وليكم من بعدي) وردت في روايتين بزيادة (بعدي) عن سائر الروايات، وفي إسناد الروايتين كلاً من (جعفر بن سليمان) و(أجلح الكندي)، فأما (أجلح الكندي) فقد قال فيه الإمام أحمد: أجلح ومجاله متقاربان في الحديث وقد روى الأجلح غير حديث منكر، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يُحتج به، وقال النسائي: ضعيف ليس بذلك وكان له رأي سوء، وقال أبو داود: ضعيف، وقال ابن سعد: كان ضعيفاً جداً، وقال العقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يتابع عليها، وقال ابن حبان: كان لا يدري ما يقول جعل أبا سفيان أبا الزبير.

فيما يرى يعقوب بن سفيان أنه ثقة لكن حديثه لين^(٤٤٥)

وأما (جعفر بن سليمان) فقد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل إلا أن للحافظ الذهبي عبارة أراها والله أعلم أوسط الآراء في جعفر حيث يقول (فإن جعفرًا قد روى أحاديث من مناقب الشيخين رضي الله عنهما، وهو صدوق في نفسه، ويتفرد بأحاديث عُذت مما يُنكر، واختلف في الاحتجاج بها، منها:

حديث أنس: إن رجلاً أراد سفرًا فقال: زدوني.

ومنها حديث: ليتتهين أقوام عن رفع أبصارهم عند الدعاء في الصلاة .. الخ^(٤٤٦).

فجعفر بن سليمان قد أخذ عليه انفراده بأحاديث مُنكرة، فلا عجب أن تكون زيادة (من بعدي) من مناكيره.

ولهذا قرر العلماء المحققون أن زيادة (من بعدي) لا تصح نسبتها إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بل أمانة الوضع واضحة عليها.

يقول المباركفوري في كتابه تحفة الأحوزي: (والظاهر أن زيادة (بعدي) في هذا الحديث من وهم هذين الشيعة - جعفر بن سليمان والأجلح -، ويؤيده أن الإمام أحمد روى في مسنده هذا الحديث من عدة طرق ليست في واحدة منها هذه الزيادة).

فمنها ما رواه من طريق الفضل بن دكين حدثنا ابن أبي عيينة عن الحسن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة الحديث وفي آخره فقال: "يا بريدة أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟" قلت بلى يا رسول الله قال "من كنت مولاه فعلي مولاه". ومنها ما رواه من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية الحديث. وفي آخره: "من كنت وليه فعلي وليه". ومنها ما رواه من طريق، وكيع حدثنا الأعمش عن سعد بن

(٤٤٥) تهذيب التهذيب ١/١٨٣

(٤٤٦) ميزان الاعتدال للذهبي ١/٤١٠

عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه أنه مر على مجلس وهم يتناولون من علي الحديث وفي آخره: من كنت وليه فعلي وليه. فظهر بهذا كله أنّ زيادة لفظ بعدي في هذا الحديث ليست بمحفوظة بل هي مردودة، فاستدلال الشيعة بها على أنّ علياً رضي الله عنه كان خليفة بعد رسول الله ﷺ من غير فصل باطل جداً. هذا ما عندي والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ ابن تيمية في منهاج السنة: (وكذلك قوله: " هو ولي كل مؤمن بعدي " كذب على رسول الله ﷺ بل هو في حياته وبعد مماته ولي كل مؤمن وكل مؤمن وليه في المحيا والممات، فالولاية التي هي ضد العداوة لا تختص بزمان، وأما الولاية التي هي الإمارة فيقال فيها والي كل مؤمن بعدي كما يقال في صلاة الجنازة إذا اجتمع الولي والوالي قدم الوالي في قول الأكثر وقيل يقدم الولي وقول القائل (علي ولي كل مؤمن بعدي) كلام يمتنع نسبته إلى النبي ﷺ فإنه إن أراد الموالاتة لم يحتج أن يقول بعدي وإن أراد الإمارة كان ينبغي أن يقول زال على كل مؤمن) انتهى.

فإن قلت: لم يتفرد جعفر بن سليمان بقوله: " هو ولي كل مؤمن بعدي " بل وقع هذا اللفظ في حديث بريدة عند أحمد في مسنده ففي آخره (لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي). قلت: تفرد بهذا اللفظ في حديث بريدة أجلب الكندي وهو أيضاً شيعي(٤٤٧).

ولو فرضنا صحتها فهي تخالف التفسير الشيعي لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝﴾ لأن الآية أثبتت ولاية الإمام علي .. كما يقول الشيعة - في حياة رسول الله ﷺ فكيف تصح حينئذ زيادة (من بعدي) ؟!

ب- حديث الاستخلاف على المدينة

أخرج النسائي في خصائص علي عن سعد بن أبي وقاص قال (لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلف علياً كرم الله وجهه في المدينة، قالوا فيه: مله وكره صحبته، فتبع علي رضي الله عنه النبي ﷺ حتى لحقه في الطريق، قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء، حتى قالوا: مله وكره صحبته؟ فقال النبي ﷺ: يا علي إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) (٤٤٨)

المناقشة:

إن جاز أن يُستدل بهذا الحديث على الخلافة فلتعلم أيها القارئ أن في هذا الحديث عجباً . . فالحديث إن أريد أن يُستدل به على الإمامة والخلافة فسيكون من أبرز الأدلة على أحقية أبي بكر بالخلافة !!

سقول لي: كيف . . . وستعجب من قلبي، ومن حقك ذلك، فالحديث في الظاهر لا دخل له في أبي بكر من قريب ولا بعيد، لكن التأمل فيه بدقة سيأتيك بما لم يخطر على بالك من قبل.

إن سألتك مجرد سؤال: من كان الخليفة بعد موسى ﷺ؟ فستجيبني قائلاً: يوشع ﷺ.

لكن من هو يوشع ﷺ؟

هو صاحب موسى ﷺ ورفيق هجرته (٤٤٩) الذي ذهب معه للقاء الخضر ﷺ كما بينت ذلك سورة الكهف وحكى ذلك المفسرون من أهل السنة ومن الشيعة الاثني عشرية.

(٤٤٨) خصائص أمير المؤمنين للنسائي برقم (٤٣) وقال المحقق: إسناده صحيح حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم والنسائي واللفظ له

(٤٤٩) الحديث نص على استثناء النبوة ولذلك لن نشير للنبوة في المقارنة بلا شك، فيوشع ﷺ نبي وأبو بكر ليس نبي، وهارون ﷺ نبي وعلي ليس نبي.

وأبو بكر الصديق كان كذلك (صاحب رسول الله ورفيق هجرته)، والخلافة لم تحصل لهارون عليه السلام الذي تربطه بموسى عليه السلام رابطة النسب وإنما حصلت ليوشع عليه السلام صاحب موسى عليه السلام ورفيق دربه.

فاستخلاف هارون عليه السلام كان مؤقتاً لفترة ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه في الطور، بينما كانت الخلافة من بعد موسى عليه السلام تامة ليوشع عليه السلام. وكذلك الحال في أبي بكر وعلي.

وللمفيد - وهو من كبار علماء الشيعة ومنظريهم - عبارة جميلة رد فيها على فرقة (الفتحية) الشيعية - التي ترى النص في إسماعيل بن جعفر الصادق - يقول فيها: (أما الفطحية فالحجة عليها أوضح من أن تخفى لأن إسماعيل مات قبل أبي عبد الله عليه السلام والميت لا يكون خليفة الحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، ولكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها، وهذا أمر لا يحتاج فيه إكثار لأنه ظاهر الفساد، بين الانتقاد) (٤٥٠).

أقول: والكلام ذاته يُقال للشيعة الاثني عشرية، فهارون عليه السلام قد مات قبل موسى عليه السلام، والميت لا يكون خليفة للحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، فكيف جاز للشيعة أن يستدلوا بهذا الحديث على كون علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله؟!، لكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها.

ثانياً: الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يُغفل وأن يُفهم الحديث دونه، وقد ورد السبب الذي من أجله قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هذا الحديث النبوي الشريف عند الفريقين السنة والشيعة.

وحسي ها هنا أن أكتفي بروايات شيعية ذكرت السبب لئلا يظن ظان أن روايات أهل السنة قد جاءت بما لم تأت به روايات الشيعة.

يقول المفيد في كتابه الإرشاد: (فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف

المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم فلحق بالنبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقلاً ومقتاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٤٥١).

وقد روى شيخ الطائفة الطوسي روايات كثيرة في هذا المعنى منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في غزوة تبوك اخلفني في أهلي. فقال علي يا رسول الله، إني أكره أن يقول العرب (خذل ابن عمه، وتخلف عنه)، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى، قال: فاخلفني^(٤٥٢).

ورويت كذلك الحادثة بهذا النص (وغزونا تبوك مع رسول الله ﷺ فودع علي النبي ﷺ على ثنية الوداع وبكى، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك، فقال: كيف لا أبكي ولم أتخلف عنك في غزاة منذ بعثك الله (تعالى)، فما بالك تخلفني في هذه الغزاة فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فقال علي (عليه السلام) بل رضيت^(٤٥٣).

وفي الأمالي كذلك من حديث عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي (عليه السلام) ثلاثاً، فلأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي، وخلفه في بعض مغازيه، فقال يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان، فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٤٥٤).

(٤٥١) الإرشاد ١٥٦/١

(٤٥٢) الأمالي للطوسي ص ٢٦١ وبحار الأنوار ٢٣٢/٢١

(٤٥٣) الأمالي للطوسي ص ١٧١

(٤٥٤) الأمالي للطوسي ص ٣٠٦ وبحار الأنوار ١٠/٢١

وروى المجلسي في بحار الأنوار عن سعد أن علياً عليه السلام خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وهو يكي ويقول: تخلفني مع الخوالف، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؟ (٤٥٥).

وعن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك (إني أريد أن أسألك عن حديث وأنا أهالك أن أسألك عنه، قال: فقال لا تفعل يا ابن أخي، إذا علمت أن عندي علماً بشيء فأسألك عنه ولا تهمني، قلت: قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام حين خلفه في المدينة، فقال: إن رسول الله استخلفه حين خرج في غزاة تبوك فقال علي؛ يا رسول الله، تخلفني في الخوالف في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال بلى فرجع مسرعاً كأنني أنظر إلى غبار قدميه يسطع) (٤٥٦).

وقد أشار الطبرسي في كتابه الاحتجاج لذلك في باب عنوانه في كتابه باسم (ذكر ما جرى لرسول الله من الاحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله على العقبة بالليل) ذكر فيه هذه الرواية: (قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله ﷺ على العقبة ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام فما قدروا على مغالبة ربهم حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله ﷺ في علي عليه السلام لما فخم من أمره وعظم من شأنه من ذلك أنه لما خرج النبي من المدينة وقد كان خلفه عليها وقال له جبرئيل أتاني وقال لي: يا محمد، إنَّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد، إما أن تخرج أنت وتقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي، لا بد من ذلك فإنَّ علياً قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري، فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا مله وسئمه وكره صحبته فنبعه علي حتى لحقه وقد وجد غماً شديداً عما قالوا فيه، فقال رسول الله ﷺ: ما أشخصك يا علي عن

مركزك، فقال بلغني عن الناس كذا وكذا فقال له ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (٤٥٧).

وأشار لذلك الفضل بن الحسن الطبرسي بقوله: (فلما انتهى إلى الجرف لحقه علي وأخذ بغرز رحله وقال: يا رسول الله، زعمت قريش أنك خلفتني استقلاً مني فقال: طالما آذت الأمم أنبياءها، أما أن ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، فقال: قد رضيت فرجع إلى المدينة و قدم رسول الله تبوك في شعبان يوم الثلاثاء) (٤٥٨).

فكل هذه الروايات والمصادر الشيعية تؤكد وتقرر حقيقة أن قول النبي عليه الصلاة والسلام (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) إنما هو ترضية للإمام علي لما طعن واستخف به المنافقون.

ثالثاً: من الثابت أن هارون ﷺ كانت وفاته قبل موسى ﷺ والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على علي بن أبي طالب لقال له مثلاً (أنت مني بمنزلة يوشع من موسى) لأن نبي الله يوشع أستخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى ﷺ، لكن ذكر رسول الله ﷺ لهارون ﷺ الذي كان خليفة موسى ﷺ في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحداً وهو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول ﷺ له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبين له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى ﷺ أخاه هارون ﷺ على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلفني لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له وإنما ائتمناً له وثقة به وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب.

(٤٥٧) الاحتجاج ١/ ٥٠

(٤٥٨) إعلام الوري ص ١٢٢

رابعاً: هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام بل نبياً ووزيراً وقياس حال الإمام علي عليه السلام الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياس مع الفارق.

خامساً: الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام على وزارة الإمام علي لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِى﴾ (٢٩) هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِى ﴿٣٢﴾ فهل يرى من يدعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله ﷺ في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام.

سادساً: لقد استخلف النبي ﷺ على المدينة غير علي بن أبي طالب (٤٥٩)، فليس مجرد الاستخلاف على المدينة يجعل المستخلف خليفة على المسلمين من بعد رسول الله ﷺ، إضافة إلى أن استخلاف علي عليه السلام على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي ﷺ على المدينة في حجة الوداع غير علي، بينما نجد في المقابل أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أبا بكر علي الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده، ولم يكن اختصاصه بسبب قرابة أو لأجل استرضائه كما كان مع علي، بل اختصاص مطلق من أجل الفضيلة والاستحقاق.

سابعاً: ورد عند السنة والشيعة تشبيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أبي بكر وعمر بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فإن كان في تشبيه النبي عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب بهارون عليه السلام ما يفيد المعنى الذي

(٤٥٩) لا بد من الإشارة إلى أن رسول الله ﷺ لم يستخلف علياً في المدينة يوم تبوك وإنما استخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري واستخلف علياً على أمهات المؤمنين وأهل علي، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام له (فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك) انظر السيرة لابن هشام.

يريد الشيعية فماذا يقولون في تشبيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أبا بكر وعمر بأولي العزم من الرسل وهم بلا شك أفضل من هارون عليه السلام؟

روى شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (الأمالي) عن ابن مسعود قوله: لما كان يوم بدر وأسرت الأسرى، قال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء القوم؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله هم الذين كذبوك وأخرجوك فاقتلهم، ثم قال أبو بكر: يا رسول الله هم قومك وعشيرتك ولعل الله يستنقذهم بك من النار، ثم قال عبد الله بن رواحة: أنت بواد كثير الحطب، فاجمع حطباً فالهب فيه ناراً وألقهم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب: قطعك رحمك، قال: ثم إن رسول الله ﷺ قام فدخل وأكثر الناس في قول أبي بكر وعمر، فقال بعضهم: القول ما قال أبو بكر، وقال بعضهم: القول ما قال عمر، فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما اختلافكم يا أيها الناس في قول هذين الرجلين: إنما مثلهما مثل إخوة لهما ممن كان قبلهما: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، قال نوح ﷺ: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٦٦﴾ وقال إبراهيم ﷺ: ﴿فَمَنْ يَبْعَثْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٧﴾ وقال موسى ﷺ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وقال عيسى ﷺ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٦٨﴾ (٤٦٠).

ج - حديث الطائر

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي.

روى الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: (اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير)، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً

من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ (افتح، فدخل، فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك يا علي؟) فقال: إن هذه آخر ثلاث كثرات يرذني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: (ما حملك على ما صنعت؟)، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ (إن الرجل قد يحب قومه). (٤٦١)

روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة!

فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط كأمثال الحسن البصري وثابت البناني وحמיד الطويل وحبيب بن أبي ثابت وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يُعرف عن أحد هؤلاء الثقات طريق ثابت لهذا الحديث!

وهذا ما دعا كثيراً من الحفاظ إلى الحكم بضعف أو كذب هذا الحديث منهم:

١ - القاضي أبو بكر الباقلاني

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٤/٧ ما نصه (ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه - أي حديث الطير - سنداً ومتمناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم).

٢ - أبو يعلى الخليلي صاحب الإرشاد:

نقل عنه ابن حجر في التهذيب (٣٠٣/١-٣٠٤) قوله: (ما روى حديث

الطير ثقة، رواه الضعفاء مثل إسماعيل بن سلمان الأزرق وأشباهه)، زاد محقق الخصائص النسائي (ص ٣٥) نقلاً عن الخليلي في الإرشاد قوله: (ويرده جميع أئمة الحديث).

٣- محمد بن طاهر المقدسي
قال عن حديث الطير: (كل طرقه باطلة معلولة) (٤٦٢)

٤- محمد بن ناصر السلمي:
نقل عنه ابن الجوزي في المنتظم (٢٧٥/٧) قوله عن حديث الطير:
(حديث موضوع إنما جاء من سقاط أهل الكوفة، عن المشاهير والمجاهيل،
عن أنس وغيره).

٥- ابن الجوزي
ذكر الحديث في العلل المتناهية (٢٢٥/١-٢٣٤) وقال: (قد ذكره ابن
مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة
بذلك).

٦- أبو العباس ابن تيمية
قال في منهاج السنة ٩٩/٤ (حديث الطائر من المكذوبات
والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل).

٧- جمال الدين الزيلعي
ذكر المباركفوري في تحفة الأحوزي ٢٢٤/١٠ أن الزيلعي قال في
نصب الراية (كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف
كحديث الطير).

٨- الفيروز آبادي صاحب القاموس

نقل الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٣٨٢) عنه قوله عن هذا الحديث: (له طرق كثيرة كلها ضعيفة) (٤٦٣).

ولعل من الأمور المستنكرة في الحديث والتي تؤكد عدم صحة نسبته إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو ما يطرحه الحديث ذاته من معنى، إذ إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه، فإن إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فأمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله؟!

وكذلك يقال إما أن يكون النبي ﷺ يعرف أن علياً أحب الخلق إلى الله أو ما كان يعرف، فإن كان يعرف ذلك، كان يمكنه أن يرسل يطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول: اللهم اثني بعلي فإنه أحب الخلق إليك.

فأي حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك والشخص معروف؟! ولو سئى علياً لاستراح أنس من الرجاء الباطل، ولم يغلق الباب في وجه علي (٤٦٤).

يضاف إلى ذلك معارضة حديث الطائر لأحاديث صحيحة ثابتة أجمع المحدثون والحفاظ على صحتها.

كنحو ما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)، وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث، فإنه قد أخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير، وهو صريح في أنه لم يكن من أهل الأرض أحد أحب إليه من أبي بكر، فإن الخلّة هي كمال الحب، وهذا لا

(٤٦٣) مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم لابن الملقن ٣/ ١٤٧٢
(٤٦٤) هنا حق لنا أن نتساءل (ما الحكمة في أن يعرف أنس فقط أن علياً هو أحب الخلق إلى الله دون أن يعلن ذلك رسول الله أمام جميع المؤمنين؟).

يصلح إلا لله، فإذا كانت ممكنة ولم يصلح لها إلا أبو بكر، عُلِمَ أنه أحب الناس إليه. (٤٦٥)

وهناك أحاديث أخرى صحيحة في المعنى ذاته فكيف يُحتج بحديث ضعيف السند، مضطرب المتن على قضية يخالف فيها أحاديث صحيحة بل بعضها يصل حد التواتر!؟

لكن على فرض صحة الحديث فكيف يتعامل معه وهل فيه دلالة على معنى الإمامة التي يعتقدونها وينادي بها الشيعة؟

الجواب: كون علي محبوباً عند النبي عليه الصلاة والسلام لا يعني أنه الإمام من بعده، ولا يعني كذلك أن إمامته من الله، فالمحبة شيء والخلافة شيء آخر، وعند هذه النقطة سنقف وقفة جدية بالاهتمام.

فهذا الإمام جعفر الصادق عُرف عنه أنه كان أحب أبنائه إليه هو إسماعيل وأكثرهم قرباً إلى نفسه.

يقول عباس القمي في كتابه منتهى الآمال ص ٢٠٧ (وكان إسماعيل أكبر إخوته - أي أكبر إخوة موسى -، وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم من بعد أبيه والخليفة من بعده، إذ كان أكبر إخوته سناً، ولميل أبيه إليه وإكرامه له).

وقد احتار الشيعة آنذاك في هذه المسألة... كيف يكون الإمام هو موسى في حين أن إسماعيل هو أحب الأبناء إلى أبيه.

فجاء نص صريح وجميل جداً ليضع النقاط على الحروف في هذه المسألة وهو:

عن يزيد بن سليط قال: لقيت أبا إبراهيم - ونحن نريد العمرة - في بعض الطريق فقلت: جعلت فداك، هل تثبت هذا الموضع الذي نحن فيه - إلى أن قال - ... فقال رسول الله ﷺ (ما رأيت من الأئمة أحداً أجزع على

فراق هذا الأمر منك ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أهلك منك ولكن ذلك من الله عز وجل . (٤٦٦)

ولذلك من يستدل على الإمامة بالمحبة يغالط نفسه، فهو يرتضي مبدأ المحبة ليجعل علياً إماماً من دون الناس، ثم يقف عند إمامة إسماعيل ومحبة أبيه جعفر الصادق له فيدير لها ظهره، ويقول بإمامة موسى متناسياً أنَّ المحبة دليل على الإمامة !

ودين الله عز وجل لا يحكمه المزاج، يكون بالمحبة تارة وبالتنصيب الإلهي تارة أخرى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

د- حديث الدار

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أنَّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته بإهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة !

وفيما يلي نص الحديث :

(لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال : يا علي إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل، فقال : يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحزمة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا

إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقتها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفسي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى روا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي.

قال ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة، ثم قال: استهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصى وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطشاً وأحمشهم ساقاً^(٤٦٧) أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخى ووصى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)، وفي سياق آخر (... فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله. قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس أنت أخى (...)^(٤٦٨)

(٤٦٧) مع أن عمره آنذاك ما يقارب ثمان سنوات !!

(٤٦٨) المراجعات المراجعة (٢٠) ص (١٢٣).

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم (أي عند علماء الجرح والتعديل)، وقال عنه ابن حبان: (يَقْلَبُ الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين). (٤٦٩) وقال النسائي: متروك الحديث. (٤٧٠)

وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف (٤٧١).

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

١ - في الحديث أَنَّ بني عبد المطلب (هم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه) والتاريخ يشهد أنهم لم يبلغوا العشرين رجلاً فضلاً عن الأربعين!

(فإن بني عبد المطلب لم يُعقب منهم كما هو معلوم إلا أربعة: العباس، وأبو طالب، والحارث، وأبو لهب. وجميع ولد عبد المطلب من هؤلاء الأربعة وهم بنو هاشم ولم يدرك النبوة من عمومته إلا أربعة: العباس وحمزة وأبو طالب وأبو لهب، وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين: طالب وعقيل وجعفر وعلي. وأما العباس فبنوه كلهم صغار، إذ لم يكن فيهم بمكة رجل، وهَبَ أنهم كانوا رجالاً فهم: عبد الله (٤٧٢) وعبيد الله والفضل، وأما قثم فولد بعدهم، وأكبرهم الفضل، وبه كان يكتئى، وأما الحارث بن عبد

(٤٦٩) كتاب المجروحين لابن حبان ص ١٤٣

(٤٧٠) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢١٠

(٤٧١) انظر ميزان الاعتدال ٤٥٧/٢

(٤٧٢) ولد عبد الله بن عباس بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين فقط أي بعد حادثة الدار بسنوات.

المطلب وأبو لهب فبنوهما أقل، والحارث كان له ابنان: أبو سفيان وربيعة، وبنو أبي لهب ثلاثة ذكور، فأسلم منهم اثنان: عتبة ومغيث. (٤٧٣)

٢ - هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ١٢٦). صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطن قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: رأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢﴾. (٤٧٤)

٣ - الشيعة الاثنا عشرية طالماً ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متظافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته وأن من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصراً غير علي قال له ما قال، وهذا يدل على أن علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداءً، وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في علي، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن علياً منصوص عليه من قبل السماء؟!

٤ - لقد جعل النبي ﷺ هذا المنصب من نصيب من يؤازره على هذا الأمر وهو الإسلام والنطق بالشهادتين، وأنا أتساءل هل مجرد إسلام الشخص

(٤٧٣) المنهاج ج ٧ ص (٣٠٤. ٣٠٥) بتصرف

(٤٧٤) صحيح البخاري كتاب التفسير - باب. (وأنذر عشيرتك الأقربين) برقم (٤٤٩٢).

ونطقه بالشهادتين يستحق به أن يصبح وزيراً ووصياً وخليفة لرسول ﷺ؟ ومعنى ذلك أيضاً أن جميع من أسلم وأزر النبي ﷺ على هذا الأمر يستحق أن يصبح خليفة له، فأى ميزة لعليّ عن جميع من أسلم حتى يصبح وصي وخليفة الرسول ﷺ بعد ذلك؟ ثم لو فرضنا أن اثنين أو أكثر من قومه أجابوه إلى ذلك، فهل سيكون للنبي ﷺ ثلاثة خلفاء في وقت واحد؟؟ أم سيجري انتخابات لترشيح واحد منهم!!؟ أليس من ينسب هذا الهذيان إلى النبي ﷺ هو من أغبى الناس؟

٥ - هذه الرواية تزعم أن النبي ﷺ قال لعليّ بعدما أحجم القوم عن مؤازرته (إنّ هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم) وليس من بعدي!!! فأى وجه للدلالة على إمامة علي بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه يصح أن يستخلف الرجل أحداً على قومه أو أهله وهو حي كما استخلف النبي أحد صحابته على المدينة عند ذهابه إلى مكة لأداء مناسك الحج، فالحديث يذكر (خليفتي فيكم) وليس (خليفتي من بعدي) والفرق واضح.

تذكر الرواية ما نصه (فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)!! وأنا أتساءل مبهوراً، كيف يقول النبي ﷺ لقوم رفضوا مؤازرته ونصرتة بل وحاربوه، هذا خليفتي فاسمعوا له وأطيعوا؟! يا الله، هم أنفسهم لم يطيعوا النبي المرسل فهل سيطيعون صبيّاً صغيراً!!

ولو فرضنا أن الرواية وردت بهذا النص (إنّ هذا أخي وخليفتي من (بعدي)) وليس (فيكم)، فهل هم أطاعوا النبي في الحاضر حتى يطيعوا خليفته من بعده؟! كأنّ الخطاب لجمع من المسلمين وليس لجمع من رؤوس الكفر! سبحانه الله حتى المشركين أكثر فهماً من هؤلاء الذي يستدلون بالحديث على معنى الإمامة، لذلك خرجوا يضحكون على مثل هذا الكلام العجيب، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!!! وأنا أعجب حقيقة

ممن يقرأ أحاديث كهذه ثم يطير فرحاً بحصوله على حديث يؤيد عقيدته أما يقرأ ويعي قبل أن يستدل؟! (٤٧٥)

هـ - حديث (علي مني وأنا من علي)

وهو حديث صحيح، ولا ريب أن علياً من النبي والنبي من علي نصرته ومحبة، فما من أحد ينكر هذا، لكن أين الدلالة على معنى إمامة علي بعد رسول الله ﷺ؟!

ما وجه دلالة حديث كهذا على أن علياً إمام منصوب من الله تعالى؟! كيف وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عن الأشعرين (هم مني وأنا منهم) (٤٧٦) ويقول لبني ناجية (أنا منهم وهم مني) (٤٧٧) بل ويخص بهذه المقولة أيضاً أحد صحابته الكرام وهو جلييب رضي الله عنه.

فعن أبي برزة أنه (كان في مغزى له (أي الرسول ﷺ)، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا، قال: لكنني أفقد جلييباً فاطلبوه، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه) (٤٧٨)

فإن كان في قول النبي ﷺ في أمير المؤمنين علي بأنه من الرسول والرسول منه ما يفيد معنى الإمامة لثبت المعنى نفسه لجلييب أو للأشعرين أو لبني ناجية فكانت الخلافة في أعقابهم، لكنها المزاجية في تفسير النصوص والله المستعان.

(٤٧٥) بل ضللت ص ٤٣٨-٤٤٠ بتصرف

(٤٧٦) متفق عليه (رواه البخاري ومسلم)

(٤٧٧) مسند أحمد - (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) حديث رقم ١٣٧٠

(٤٧٨) رواه مسلم

و - أحاديث الإثني عشر إماماً

يحتج الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في تحديد عدد الأئمة (بإثني عشر رجلاً) بما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة قال: (يكون اثنا عشر أميراً - فقال: كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش) (٤٧٩)

وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: (كلهم من قريش) (٤٨٠) وفي لفظ آخر (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً) (٤٨١)

وعند أبي داود ونصه كالتالي: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة) (٤٨٢)

وبالتأمل في النصوص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وُصفوا بأنهم (خلفاء) أو (أمراء) ومن المعلوم أن الأئمة الاثني عشر عند الشيعة هم أئمة وليسوا خلفاء ولا أمراء إذ لا خليفة بلا خلافة ولا أمير بلا إمارة.

فحينما تناقش عالماً من علماء الشيعة عن إمامة الإمام الصادق مثلاً وتقول له: كيف يكون إماماً ولم يكن خليفة؟ فسيجيبك على الفور بأن الإمامة منصب إلهي لا يُشترط فيه أن يتولى الخلافة، لكن المرء لا يكون خليفة إلا بخلافة وهذا ما لا ينطبق على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت باستثناء إمامين فقط هما: (علي بن أبي طالب والحسن بن علي) فهما اللذان توليا الخلافة أما البقية فلم يتول أحد منهم الخلافة.

ولذا أقول: لو أراد النبي عليه الصلاة والسلام النص على إمامة الأئمة

(٤٧٩) صحيح البخاري (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف ٨/١٢٧)

(٤٨٠) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، باب - الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ٢/١٤٥٣)

(٤٨١) صحيح مسلم

(٤٨٢) سنن أبي داود (كتاب المهدي ٤/٤٧١)

الاثني عشر عند الشيعة لقال في حديثه الشريف (اثنا عشر إماماً) بدلاً من (اثنا عشر أميراً) أو (اثنا عشر خليفة)!

لكن نبي الله صلوات الله وسلامه عليه لم يقل ذلك .

ولو أراد كذلك أن ينص على اثني عشر إماماً هم الإمام علي وأبناؤه لقال (علي وأبناؤه) أو لقال (كلهم من بني أبي طالب)، أما أن يقول (كلهم من قريش) فإنه من السهل على بني العباس مثلاً أن يدّعوا أنهم المرادون بالحديث لأنهم من قريش بل من قرابة النبي عليه الصلاة والسلام، هذا إذا تناسينا كم من الرجال خلفت قريش كبني تيم وبني عدي وبني زهرة وبني أسد وغيرهم كثير!

فصيغة الحديث التي نطق بها محمد ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم تعني بكل وضوح أنّ الاثني عشر في الحديث لا يختصون بالإمام علي وأولاده دون غيرهم، ولو كانوا كذلك لذكر ما يُميّزون به، ألا ترى أنه لم يقل (كلهم من ولد إسماعيل عليه السلام) ولم يقل (كلهم من العرب) وإن كانوا في الحقيقة كذلك، ولكنه ذكر ما يميزهم عن غيرهم وهو القبيلة، فلو امتازوا بأنهم كلهم من أهل البيت أو من أبناء الإمام علي بالذات لذكروا بذلك، فلما جعلهم رسول الله ﷺ من قريش مطلقاً، عُلِمَ أنهم من قريش ولا يختصون ببطن دون آخر .

ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد (اثني عشر) بل نبوءة منه صلوات الله وسلامه عليه بأنّ الإسلام لا يزال عزيزاً حتى يحكم هؤلاء أو في ظل حكمهم على خلاف بين العلماء، وهم الذين توفرت فيهم الشروط كالخلفاء الأربعة الراشدين والإمام الحسن وممن كان من بني أمية وبني العباس من أهل العدل والتقوى .

ويذكر الحديث الذي يرويه أبو داود أنّ الأمة تجتمع على هؤلاء الاثني

عشر بينما لا يرى الشيعة في اجتماع الأمة على أئمتها أو تفرقها عنهم قدحاً في شرعية خلافتهم أو عدم كونها من الله بخلاف الأحاديث التي تختص الاثني عشر خليفة بهذه المزية، بل إن التاريخ يشهد بأن أئمة الشيعة لم يتولوا حكماً - باستثناء الإمام علي والإمام الحسن - بل وأيضاً الشيعة بفرقهم المتعددة أنفسهم مختلفون في معرفة الأئمة وفي أعدادهم اختلافاً لا يكاد يحصى إلا بكلفة، كما حفلت بتصوير ذلك كتب الفرق والنحل والتي ذكرت اختلاف الشيعة بعد موت كل إمام في من يكون الإمام من بعده.

وزيادة على هذا كله يُقال بأن تلك الأحاديث لا تذكر أسماء الأئمة أو الخلفاء الاثني عشر بل تفيد عزة الدين في ظل خلافتهم، ولو أخذنا بنظرية الشيعة الفطحية الذين يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر، بعد الإقرار بإمامة عبد الله بن الأفتح بن جعفر الصادق أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي الذي اعترف بإمامته قسم من الشيعة الإمامية الأولى.

ولذا فاستدلال الشيعة الاثني عشرية بروايات كهذه لا تنطبق بحال من الأحوال على الأئمة الاثني عشر لديهم، ودون وجود دليل علمي على ولادة محمد بن الحسن العسكري (الإمام الثاني عشر الغائب) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين وليس استدلالاً علمياً قاطعاً.

فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على الأئمة الاثني عشر عند الشيعة إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء ألا ترى أن هذا الرقم وُصف به هؤلاء الخلفاء الصالحاء كما وُصف به أضدادهم، فقد جاء في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي عن أبي خديجة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام (لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم، كلهم يدعو إلى نفسه) (٤٨٣).

فلفظ (اثني عشر رجلاً من قريش) بل حتى لفظ (اثني عشر رجلاً من بني هاشم) (٤٨٤) كلاهما سيجعلان هؤلاء الاثني عشر الذين سيخرجون مع قائم الشيعة الاثني عشرية مستحقون للاتباع؟
 فهل يصلح لمنصف عاقل أن يبيّن دينه وعقيدته على قاعدة هشة لا تصمد أمام النقد العلمي بهذه الصورة؟!

الخوئي: لا أحاديث صحيحة في النص على الأئمة الاثني عشر باسمائهم

سئل الخوئي هذا السؤال:

(الحديث المعروف المروي عن هشام بن سالم، والذي يروي به ما جرى عليه وعلى بعض أصحابه، بل وعموم الشيعة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، وكيف أنه كان مع ثلة من أصحاب الصادق ثم كانوا يبحثون عن الخلف من بعده عليه السلام، فدخلوا على عبد الله بن جعفر وقد اجتمع عليه الناس فانكشف لهم بطلان دعوى إمامته، فخرجوا منه ضلّالاً لا يعرفون من الإمام .. إلى آخر الرواية ... كيف نجتمع بين هذه الرواية التي تدل على جهل كبار

(٤٨٤) هذه العبارة لم أجدها مسئلة في حديث صحيح ولا حتى ضعيف، إنما ذكرها القندوزي في كتابه (يتابع المودة) ومن يتأمل الكتاب يعلم أنّ مؤلفه شيعي إثني عشري وإن لم يصرح علماء الشيعة بذلك لكن أغا بزرك طهراني عدّ كتابه هذا من مصنفات الشيعة في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٥/ ٢٩٠) ولعل من مظاهر كونه من الشيعة الإثني عشرية ما ذكره في كتابه يتابع المودة ١/ ٢٣٩ عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: لولا أنني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لم تكن نبياً فأنت وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء.

فإن من يروي مثل هذه الروايات لا يمكن أن يكون سنياً بحال من الأحوال ولو ادعى ذلك. بل على فرض سنيته فهو متأخر جداً عن زمن الرواية والتدوين فكيف له أن يتفرد برواية لم يروها السابقين الأقرب إلى عصر الرواية والتدوين!

الأصحاب بالإمام بعد الصادق عليه السلام، وبين الروايات التي تحدد أسماء الأئمة عليهم السلام جميعاً منذ زمن رسول الله ﷺ؟ وهل يمكن إجماع الأصحاب على جهل هذه الروايات حتى يتحيروا بمعرفة الإمام بعد الإمام؟

أجاب الخوئي: الروايات المتواترة الواصلة إلينا من طريق العامة والخاصة قد حددت الأئمة عليهم السلام باثني عشر من ناحية العدد، ولم تحددهم بأسمائهم عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى لا يمكن فرض الشك في الإمام اللاحق بعد رحلة الإمام السابق بل قد تقتضي المصلحة في ذلك الزمان اختفائه والتستر عليه لدى الناس بل لدى أصحابهم عليهم السلام إلا أصحاب السر لهم، وقد اتفقت هذه القضية في غير هذا المورد، والله العالم ^(٤٨٥).

فهذه شهادة من عالم شيعي اثني عشري كبير، كان زعيماً للحوزة العلمية بالنجف التي تعتبر أعرق حوزات الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق، وهو رجل له دراية كبيرة بعلمي الحديث والرجال عند طائفته، كيف لا وهو مؤلف كتاب (معجم رجال الحديث)، فإن صرح عالم كهذا بحقيقة هامة مثل هذه، فكيف جاز للشيعة الاثني عشرية الاستمرار في المكابرة؟!

مع صحابة رسول الله ..

﴿وَالْمَسِيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾

سورة التوبة آية ١٠٠

مع صحابة رسول الله ...

كنت أتفكر كثيراً في اختلاف نظرتي أهل السنة والشيعة الاثني عشرية لصحابة رسول الله ... وكانت التساؤلات تحيط بي من كل جانب والأفكار تأخذني شرقاً وغرباً ... أقرأ لهذا وذاك ويرد التساؤل تلو التساؤل ... لم أترك باباً أستطيع طرقة إلا طرقت ... وشعرت أنني خُضت بحراً كلما اقتربت من شاطئه زاد البعد.

لكن عناية ربانية انتشلتني إلى بر الأمان .. حينما تمسكت بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٤٨٦).

لم تكن قرأتني المتأنية وتساؤلاتي الجريئة لترسم لي وحدها طريق الحقيقة ... بل كان للعقل دوره في إثارة الكثير من علامات الاستفهام على كل ما أقرأه وأسمعه أو أشاهده.

قرأت وفكرت ... ناقشت ونوقشت ... وعشت الحرب بداخلي ... سنوات من الجذب تسبق المطر ... لكن الغيث قد يُنسيك أضعافاً مضاعفة من تلك الأيام المجذبة حينما تكتحل عينك برؤية الحقيقة.

كل ما عليك هو أن تتقدم خطوتين إلى الأمام .. تُفكر فيها ... وتحكم ضميرك ... تتحرر من التعصب للمذهب .. وتكون وجهتك إلى الإسلام ... الدين الذي أمرك برمي أغلال التقليد للآباء والأجداد والتمسك بالدليل والبرهان حيثما كان.

فعلت ذلك ... ووجهت لي الاتهامات من متعصبة الفريقين، أرادوا لي أن أكون نسخة منهم لا أن أكون نبض ضمير المسلم المتجرد .. لقد علمت أن الشرع لا يُحايي أحداً، وأن الحق حكر للدليل والبرهان لا حكراً على الأشخاص، فلست إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت

معهم . . . طريقي ضيق بين طرفي نقيض لكني أرى فيما بعده اتساعاً وراحة للضمير.

وكعلمي بأهمية التجرد للحق ونبد هوس التعصب أدركت كذلك أن الحوار نعمة رفع من شأنها الإسلام، وأنه جدير بالمرء أن يشكر نعمة الله عليه، ويكون شكره عز وجل من خلال استشعار نعمته وأهميتها، ومن لا يدرك النعمة فكيف له أن يشكر واهبها وأن يتنعم بها؟

حوار مع زميل

قلت لصاحبي يوماً: لو كتب الله عز وجل أن يريك رجلاً قيادياً عليه صبغة الصلاح والإيمان والتقوى، وعلمت أنه يتولى أناساً بعضهم مؤمن وبعضهم منافق وأنه لفضل الله عليه يعرف أهل التفاف من لحن قولهم، ثم علمت أن ذاك الرجل الصالح قد ترك أهل الصلاح واختار أهل التفاف وأعطى لهم المناصب القيادية وسوّدهم على الناس في حياته، وعلمت كذلك أنه لم يكف بإعطائهم المناصب وتقريبهم إليه بل صاهر بعضهم مع أن بناتهم مثلهم في التفاف !

ثم علمت أن ذاك الرجل الصالح قد مات وهنّ على ذمته ينطقن باسمه ويتكلمن بالدين ويُفتين للناس من بعده، والناس وثقوا به لأنهم أتباعه أولاً، ولأنهم يعلمون فيه الصلاح والتقوى ويعلمون أن الصالح لا يعتمد اختيار الخبيث إلا لخبث طراً عليه أو شهوة عارضة، أما أن يكون ملازماً للصلاح وفي كامل قواه العقلية ويختار الخبيث فلا يتأتى ذلك إلا لنقص في دينه.

ثم علمت يا صاحبي أن هؤلاء المنافقين الذين مكن لهم هذا الرجل الصالح قد تسلطوا على البلاد والعباد وسلبوا المؤمنين حقهم وأساؤا، فما قولك فيه؟

قال صاحبي: أراه إما خبيثاً فاجراً، وإما جاهلاً مغفلاً استخدمه عدوه أبشع استخدام.

قلت: فلان، قال: نعم

قلت: ألا ترى أَنَّ الشخصية التي تشتمها وتتهمها إما بالسذاجة أو الخبث هي نفس الشخصية التي يريدنا الشيعة الاثني عشرية من حيث لا يشعرون أن نتصورها في أشرف الخلق محمد عليه الصلاة والسلام!

إنك شتمت تلك الشخصية وأنت مدرك أنها شخصية رجل صالح فقط لا دخل له بالوحي من قريب ولا بعيد، شخصية غير معصومة، قد تستقيم يوماً وتعترىها الشهوة غداً، فكيف بنا ونحن نتكلم عن شخصية خليل الرحمن وخاتم الأنبياء والمرسلين؟!

إننا ندرك أَنَّ ختم نبوته صلوات الله وسلامه عليه يقتضي بقاء دينه بلا تحريف ولا عبث من بعده، وكيف يتأتى ذلك والشيعة الاثنا عشرية يجعلونه مصاهراً للمنافقين وزوجاً للمنافقات؟!

فالشيعة الاثنا عشرية يرون أَنَّ رسول الله قد صاهر منافقين هما (أبو بكر وعمر) وزوج ابنتيه من منافق وهو (عثمان)، وتزوج منافقات وهما (عائشة وحفصة) اللتان سمّينا في القرآن بـ (أمهات المؤمنين) كما قال تعالى ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾!

وتولى خالد بن الوليد قيادة جيشه ... منافق آخر في القائمة!

وكل هؤلاء يشتمهم الشيعة الاثنا عشرية ويقولون بردتهم، هؤلاء جميعاً كانوا أهل النفوذ في زمانه، مات هذا النبي الكريم وخلفهم من بعده، فمن المخطئ ومن المصيب؟ رسول الله أم الشيعة الاثنا عشرية؟ أخبرني بصراحة، وحكم ضميرك وانس الطائفية المقيتة وحكم عقلك، فأنا لا أخطبك من منطلق عصبية مذهبية ولكني أخطبك كمسلم لا يرتضي هذا الطرح في رسول الله ولا في أصحابه.

هل أخطأ رسول الله في الزواج من عائشة؟ هل أخطأ في اختيار رفيق دربه إلى المدينة وفي الغار؟ هل أخطأ في مصاهرتهم؟ هل كان رسول الله ينهى المسلم عن جلوسه السوء وزوجه السوء ثم يختار هو أهل نفاق ورده وضلال؟!! في الوقت ذاته الذي يدندن الشيعة الاثنا عشرية حول قضية أَنَّ الأنبياء والأوصياء يعلمون الغيب بإذن الله، وأنهم أطهار، بل ينزهونهم عن

جميع الأقدار صغيرها وكبيرها، في حين أنهم بالطرح الذي يطرحونه في صحابة رسول الله وبالذات أصهاره وأنسابه وزوجاته ينسبون إليه القدر والغفلة والجهل وعدّ ما شئت من مسميات ومعاني لا يرضاها المسلم لنفسه فكيف لرسوله محمد ﷺ!

صمت صاحبي برهة ثم قال لي: معك حق.

كان صادقاً مع نفسه ... لم يجد حرجاً في الاعتراف بحقيقة جستها ضميره ..

ولا يعيب الإنسان أن يبحث ويفكر بهدوء بعيداً عن البطانة التي يقودها التعصب والهوى والتي تسوّل له الاستمرار في الخطأ.

ما أحوجنا إلى هذا التجرد، وما أحوجنا إلى التفكير في الطريق الذي نسير فيه .. قبل أن نهلك أو يعمّنا الهلاك.

المرء على دين خليله

هكذا علمنا رسول الله ﷺ . . . وتلك وصيته الخالدة في أن لا يصحب المؤمن التقى إلا أهل الإيمان والتقوى وأن لا يقترن الصالح إلا بامرأة صالحة تحفظه في دينه ودنياه.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال). (٤٨٧)

وحديثه عليه الصلاة والسلام عن الجلوس الصالح والجلوس السوء أشهر ما يكون.

قال عليه الصلاة والسلام: (إنما مثل الجلوس الصالح وجلوس السوء كحامل المسك ونافع الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة). (٤٨٨)

وعلى هذا النسق توالى الأحاديث النبوية وكذا أحاديث الأئمة.

روى الإمام الصادق عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة) (٤٨٩)

ويقول الإمام علي، فيما كتبه إلى الحارث الهمداني: (واحذر من يقبل رأيه ويُنكر عمله، فإنَّ صاحب معتبر بصاحبه). (٤٩٠)

ويقول أبو عبد الله (الإمام جعفر الصادق): (خمس خصال من فقد

(٤٨٧) أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٣٢

(٤٨٨) مجموعة ورام ٢٦٦/٢ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه

(٤٨٩) بحار الأنوار ٧٢/٩٠ ومعاني الأخبار ص ١٩٥

(٤٩٠) بحار الأنوار ٧١/١٩٩ ونهج البلاغة ج ٢ ص ١٣١

منهن واحدة لم يزل ناقص العيش زائل العقل، مشغول القلب، فأولها صحة البدن، والثانية الأمن، والثالثة السعة في الرزق، والرابعة الأنيس الموافق، قلت: وما الأنيس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الدعة^(٤٩١)

فكيف ينتسب إليه هؤلاء الزوجة السوء والخليط السوء ثم يدعون أنهم لا ينسبون إلى رسول الله السوء؟!

وعن الصادق أنه قال: لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ثم قال: أمرني والدي بثلاث ونهاني عن ثلاث^(٤٩٢)، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم^(٤٩٣)، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم.^(٤٩٤)

وقد روي عن سليمان عليه السلام أنه قال: (لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخذانه)^(٤٩٥)، فما أعظمه من حديث وما أقواها من دلالة.

وفي هذا يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

بعد استعراض هذه الروايات ماذا يستطيع أن يقول المرء عن صحابة

(٤٩١) بحار الأنوار ١٨٦/٧١

(٤٩٢) لاحظ أن الوصية هنا من الإمام الباقر إلى ابنه الإمام الصادق - وكلاهما معصومان عند الشيعة الاثني عشرية - فانظر إلى حرص الباقر على الصلابة الصالحة وانظر بالمقابل إلى الذين ينسبون إلى رسول الله أنه ما أحسن اختيار أصحابه ولا أصهاره ولا حتى زوجاته! ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٤٩٣) نعم لا يسلم من يصاحب صاحب السوء، لا يسلم من تشويه السمعة، ومن الاتهام بالباطل، ومن نسبة أفعال صاحبه إليه.

(٤٩٤) بحار الأنوار ١٩١/٧١

(٤٩٥) بحار الأنوار ١٨٨/٧١ عن كنز الكراجي

محمد ﷺ وعن الرجل الذي اختارهم ورضي بصحبته وقربهم وصاهرهم أو كانوا أصهاراً له؟!

أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة . . . لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخذانه . . . ما صدق هذه الكلمات في نفسك وفي ضميرك ؟

ما أثر هذه الكلمات في نفس مسلم يرى صحابة نبيه في قفص الاتهام . . وليته كان اتهاماً فحسب بل هو القذف الصريح لهذه الفئة المختارة بالفسق والكفر والردة !

الرجل الذي أنار الله به بصائر الخلق . . كيف يُبقي على ذمته عائشة وحفصة ويصاهر أبا بكر وعمر ويزوج ابنتيه إلى عثمان، ويكون طلحة والزبير وفلان وفلان من أخص أصحابه وأكثرهم قرباً إليه - وهم كما يزعم الشيعة الاثنا عشرية أهل ردة أو نفاق أو فسوق على الأقل؟!

قد حكم الإمام الصادق بزوال عقل وانشغال قلب ونقصان عيش من افتقد الزوجة الصالحة والخليط الصالح، فإلى ماذا ينسب علماء الشيعة الاثني عشرية رسولنا الكريم وهم يدعون أن زوجته كانت ضالة أو كافرة وأن أصهاره وخطأه كفار ومرتدون على أعقابهم؟!

أسئلة ترد على البال ومن حق كل مسلم أن يثيرها ويُحاكم فيها ضميره

...

إنه الاختلاف الجذري بين رؤية أهل السنة والجماعة إلى صحابة رسول الله وزوجاته وبين رؤية الشيعة الاثني عشرية، هذه مقدّمته والكلام في تفاصيله أعظم دلالة على الحق وأكثر وضوحاً للجرم.

ماذا عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؟

لعل قارئاً يقول: هذا نوح ولوط عليهما السلام قد قال الله تعالى عن زوجتيهما ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (٤٩٦) فكيف لا تُتصور الخيانة في زوجات النبي عليه الصلاة والسلام؟

أقول: قد ثبت عند أولي الألباب أنَّ الله عز وجل قد نزه نوحاً ولوطاً عليهما السلام من هاتين المرأتين في حياتهما، فشهد هذان النبيان الكريمان عقاب الله لتيئك المرأتين، وطهرهما الله عز وجل منهما، فتبين من ذلك أنه لو كان في زوجة من زوجات رسول الله ﷺ ما يوجب تنزيه رسول الله عنهن أو التبرأ منهن لحصل ذلك في حياة رسول الله فلما لم يحصل ذلك ثبت أنهم أهل للميثاق الغليظ (الزواج) الذي جمعهم برسول الله.

وعجيب أن يدندن الشيعة الاثنا عشرية حول آية التطهير وحول معنى تطهير الله لأهل البيت، ثم لا يعتقدون أنَّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو سيد أهل بيته وخيرهم وأطهرهم قد طهره الله عز وجل من عائشة التي يطعنون بها ويتهمونها تارة في دينها وتارة في عرضها بينما هي زوجته حتى مفارقتها للحياة.

لسنا ندعي أنَّ زوجات رسول الله معصومات لا يُخطئن بل هن كغيرهن من الصالحات يخطئن ويصبن، يعصين ويتبن، لكن لم ولن تبلغ إحداهن ما يدعيه الشيعة الاثنا عشرية فيهن ولا معشاره (٤٩٧).

(٤٩٦) سورة التحريم آية ١٠

(٤٩٧) يكفي أن تصفح الكتب الشيعة التي تكلمت عن أم المؤمنين عائشة لترى العجب العجيب! فهذا البياضي يسميها في كتابه الصراط المستقيم باسم (أم الشرور) طاعناً في كتاب الله الذي سماها باسم (أم المؤمنين) في قوله تعالى: ﴿وَأَزَاجَهُنَّ أَهْلَاتَهُمْ﴾، والمجلسي يصفها بالنفاق وذاك يجوز لعنها، والقمي يروي في تفسيره ما يطعن في عرضها رضي الله عنها، وكلّ يدلو بدلو باسم حب أهل البيت وحب علي بن أبي طالب، وأهل البيت من هذا المعتقد وأصحابه براء.

ومحمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا وحي بعده، فكيف يجوز لعاقل أن يتصور أن تُترك فرصة الخيانة لزوجاته والارتداد من بعده وهن أمهات للمؤمنين ومكانهن من رسول الله يوجب هلاك الأمة للاغترار بقربهن من رسول الله؟

هذا وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾^(٤٩٨) والشيعنة الاثنا عشرية يتهمون أم المؤمنين عائشة تارة بالكفر وتارة بالنفاق، فكيف جاز لرسول الله أن يبقيا زوجة له؟!

وقد روى الحر العاملي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾ يقول: من كانت عنده امرأة كافرة، يعني على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام فليعرض عليها الإسلام، فإن قبلت فهي امرأته وإلا فهي بريئة منه، فهي الله أن يستمسك بعصمتها^(٤٩٩).

فأم المؤمنين عائشة إن كانت كافرة أو مرتدة أو منافقة - برأها الله من هذا الإفك - ففي جميع الحالات كان من الواجب تطبيقها التزاماً لكتاب الله، اللهم إلا إذا كان رسول الله المبلغ عن الله لم يعلم نفاقها أو ردتها وعلمه علماء الشيعة، فتلك مسألة أخرى!

وقد ذكر لي أحدهم أنّ عائشة موسومة بأنها رأس الكفر بنص رسول الله !

فقلنا: هات ما عندك.

فجاء بحديث البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (قام

(٤٩٨) سورة الممتحنة آية ١٠

(٤٩٩) وسائل الشيعة ٢٠/٥٤٢

النبي ﷺ سلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان^(٥٠٠).

فقلنا له: أين الشاهد؟

قال: إن رسول الله ﷺ قد وصفها بأنها قرن الشيطان حينما أشار إلى مسكنها.

فقلت له: هناك فرق في اللغة العربية بين (نحو) وبين (إلى) والحديث فيه (فأشار نحو بيت عائشة) لا (فأشار إلى بيت عائشة)، وهذا أمر يدركه من له أدنى معرفة باللغة العربية، لكن يبدو أن بغضك وحقدك على أم المؤمنين عائشة جعلك تتناسى ذلك.

ولأتناسى معك هذا ولأسألك سؤالاً يجلي لك الحقيقة أقول فيه: (أترى رسول الله ﷺ يشير إلى بيت عائشة وإلى كونها قرن الشيطان ثم يسكنها في بيت واحد وفي حجرة واحدة؟)، لأنسى أم المؤمنين عائشة التي افتريت عليها ولأسألك (أهذه قيمة رسولنا محمد ﷺ في نظرك؟ يرتضي المبيت مع امرأة بهذا المستوى؟).

والله لو حكمت عقلك لا هواك لما نطقت بهذه الضلالة.

والحديث الذي ذكرته قد ورد عن عبد الله بن عمر كذلك بصيغة أخرى تبين أن المراد من الإشارة نحو بيت عائشة إنما هو الإشارة إلى المشرق وما عُرف في أرض المشرق من الفتن والقلقل التي أنهكت الأمة، فالقدرية والخوارج والشيعة السبئية والكيسانية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم كلهم قد خرجوا من جهة المشرق^(٥٠١).

(٥٠٠) رواه البخاري ١١٣٠/٣

(٥٠١) ولا يعني ذلك أن لا يخرج في تلك الأراضي الأئمة والعلماء والصالحون فهؤلاء معلومون لكن القصد هو الإشارة إلى الصفة الغالبة لتلك الأراضي.

فقد روي عن عبد الله بن عمر أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق، فقال: ها إنَّ الفتنة ها هنا، إنَّ الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان) (٥٠٢). ثم أليس بيت عائشة هو بيت رسول الله كذلك؟!!

إنَّ هؤلاء الطاعنين لم يتناسوا القيم والأخلاق مع رسول الله ومع زوجاته وأصحابه فقط بل تناسوا قول الله عن نبيه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٥٠٣) فإذا كانت زوجته رمزاً للخيانة وكذا أصحابه فأبي ذكر يذكر به الذاكرون محمداً عليه الصلاة والسلام؟!!

حوار حاسم في القضية

طلبني أحد الشيعة يوماً للحوار معه عن صحابة رسول الله وعن عمر بن الخطاب على وجه الخصوص.

فقلت له: لنختصر الكلام، حتى لا أضيع وقتي ووقتكم، دعني أسألك أسئلة من شأنها أن تضع النقاط على الحروف في هذه المسألة.
قال: تفضل.

قلت: ألم يدعنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اختيار الزوجة الصالحة وإلى مصاهرة الكرام من الناس؟
قال: نعم بلا شك.

قلت: هل ترتضي لنفسك أن تصاهر ابن زنا؟

قال: معاذ الله!

(٥٠٢) البخاري في صحيحه ١١٩٥/٢ وابن حبان في صحيحه ٢٥/١٥ وموطأ مالك ٩٧٥/٢
ومستند أحمد

(٥٠٣) سورة الشرح آية ٤

فقلت له: ها أنتم تدعون كذباً وبهتاناً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان ابن زانية اسمها (صهاك) ^(٥٠٤)، ويدعي عالمكم نعمة الله الجزائري بكل وقاحة وخبث أن عمر بن الخطاب كان لا يهدأ إلا بماء الرجال ^(٥٠٥) عياداً بالله.

وتدعون أن ابنته حفصة كانت منافقة خيثة كأبيها!

فهل عقلتم وفهمتم ما لم يفهمه رسول الله؟!

أترى رسول الله يصاهر أبناء الزنا؟!

أو يرتضي لنفسه امرأة فاسدة منافقة؟!

والله إنكم لتفترون على رسول الله وعلى الصحابة.

ترضون لرسول الله ولصحابته ما لا ترضونه لأنفسكم.

فقال: وماذا عن عائشة وخروجها على الإمام علي عليه السلام؟

فقلت: مع أن كلامنا عن عمر وليس عن أم المؤمنين عائشة ^(٥٠٦)، إلا أن الكلام ذاته يقال ها هنا.

لن أتكلم عن عائشة هل أخطأت أم لم تخطئ، بل سأقول لك بكل وضوح: إن رسول الله ﷺ الذي أخبر عن خروجها على أبي طالب في حديث الحوَاب المروي عند السنة والشيعة هو نفسه الذي رضي بها زوجة له وأحبها وقربها إليه.

(٥٠٤) الكشكول للبحراني ٢/٢١٢ وكتاب (لقد شيعني الحسين) ص ١٧٧

(٥٠٥) الأنوار النعمانية ١/٦٣

(٥٠٦) حتى عائشة رضي الله عنها لم تسلم من الطعن الصريح في عرضها وشرفها، ذكر القمي في تفسيره ٢/٣٩٤ لقوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ قول الإمام (والله ما عني بقوله «فخانتاهما» إلا الفاحشة، وليقيم الحد على ثلاثة فيما أتت في طريق، وكان يحبها فلما أرادت أن تخرج إلى ... قال لها فلان لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم ...). والمراد بقلانة كما بين ذلك المجلسي هي عائشة، والمراد بالطريق خروجها إلى العراق والمراد بقلان الذي يحبها كما يدعي هذا المجرم هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

فهل كان رسول الله ﷺ مخطئاً حينما ارتضاها لنفسه وأحبها وهو يعلم أنها ستختلف مع علي وسيدور بينهما قتال؟

هل أنك أكثر ورعاً من رسول الله كي تنزه نفسك عن الزواج من مثيلاتها وهي الطاهرة النقية التي اختارها رسول الله ﷺ لتكون رفيقة دربه في حين أنك تنسب لرسول الله ما تنزه نفسك عنه؟!

هل أنت أنقى وأتقى وأورع وأعقل من رسول الله الذي استبقاها معه حتى وفاته؟!

فصمت الرجل ولم يستطع أن يقول شيئاً.

وكيف لعافل أن ينطق بغير هذه الحقيقة؟!

من من هؤلاء الشتامين اللاعانين يجروا على ادعاء أنه أكثر فهماً وإدراكاً ووزناً للأمور من رسول الله؟

ليأت هذا الرجل وليقلها على الملأ ليعرف الناس حقيقته بدلاً من تعمية الحقائق والطعن المبطن في رسول الله وفي زوجاته وفي أصحابه.

مناقشة بين الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) وبين مبغض للصحابة

جاء رجل إلى الإمام علي بن الحسين فقال له: (إني أبغض فلاناً وفلاناً من أصحاب النبي ﷺ، فقال له الامام زين العابدين: (قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَصْطُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٥٠٧) الآية تعني المهاجرين)، قال الامام زين العابدين للرجل: أنت من هؤلاء؟ قال الرجل: لا، ثم تلا زين العابدين الآية التي بعدها ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٥٠٨﴾ الآية تعني الأنصار، فقال
الامام زين العابدين: أأنت من هؤلاء؟ قال: لا، ثم تلا الامام زين العابدين
الآية التي تليها: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ (٥٠٨) قال الامام
زين العابدين: أأنت من هؤلاء؟، قال: أرجو ذلك، قال الامام زين العابدين:
ليس من هؤلاء من سب هؤلاء). (٥٠٩)

(٥٠٨) سورة الحشر آية ١٠

(٥٠٩) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٨، وقد رُوي في الكتب مثلها عن الإمام مالك بن أنس.

الصحة اللغوية والصحة الشرعية

يخلط كثير من الناس بين إطلاق لفظ (الصحة) في اللغة، وبين إطلاقه في الشرع، وهذا الخلط أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتهم يستيحيون الطعن بأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام باسم الموضوعية وباسم النقد العلمي بل باسم الدفاع عن الدين !

ولنقف قبل الخوض في موضوع الصحابة عند مفهوم الصحة لنضع النقاط على الحروف ونجلي الصورة لكل من ألقى السمع وهو شهيد.

فالصحة في اللغة واسعة النطاق، تشمل الصحة الحقيقية من ملازمة ومصاحبة وتشمل كذلك الصحة المجازية التي قد تُطلق مثلاً على اثنين بينهما قرون كثيرة مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام لزوجتيه (أتين صواحب يوسف)، وعلى من تمذهب بمذهب معين كقول القائل (أصحاب الشافعي، أصحاب أحمد ...) وكقول المجتهدين من العلماء عن نظرائهم من علماء المذهب ذاته الذين سبقوهم بقرون (قال أصحابنا)، وقد تُطلق ويُراد بها المعية فيقال (فلان بصحبة فلان) أي بمعيته.

وقد تُستخدم في الإضافة كأن يُقال (صاحب مال، صاحب علم ...)، وقد تُطلق ويُراد بها القائم على الشيء كنحو قول الله عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٥١٠) أي وما جعلنا القائمين على النار إلا ملائكة. ونظراً لهذا الاتساع في المعنى اللغوي للصحة جاز أن تُطلق الصحة اللغوية على الصحة الحسنة والسيئة والحقيقية والمجازية والكثيرة واليسيرة.

فأطلقت الصحة اللغوية على صحة المؤمن للكافر والعكس كقوله تعالى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾^(٥١١) وقوله تعالى ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾^(٥١٢)

(٥١٠) سورة المدثر آية ٣١

(٥١١) سورة الكهف آية ٣٧

(٥١٢) سورة الكهف آية ٣٤

ويجوز في اللغة إطلاق لفظ (الصحبة) على المنافقين كقول النبي عليه الصلاة والسلام في قصة المنافق عبد الله بن أبي بن سلول عندما طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يقتله فلم يقبل النبي ﷺ وذكر لهم السبب وهو (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (٥١٣)، وعبد الله بن أبي سلول لا يعتبر صاحبياً لأنه منافق، لكن أطلق عليه لفظ الصحبة هنا لأمرين:

الأول: إطلاق لغوي والإطلاق اللغوي لا يُعتبر فيه الإيمان من النفاق الثاني وهو الأهم: أن رسول الله ﷺ قال (حتى لا يتحدث الناس) والناس المشار إليهم هنا هم فئة مقابلة للصحابة، والقرآن الكريم حينما يخاطب أهل الإيمان كان يخاطبهم بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وحينما كان يوجه الكلام للكفار أو للناس مؤمنهم وكافرهم كان خطابه ﴿يا أيها الناس﴾، والكفار هم أكثر الناس حرصاً على الطعن في رسول الله ودعوته ولذلك حينما يقتل النبي ﷺ عبد الله بن أبي سلول، فلن يقول الكفار بأنه قد قتل منافقاً يستحق القتل بل سيقال (إن محمداً يقتل أصحابه) حتى يصدوا الناس عن قبول هذه الدعوة ومن الالتفاف حول رسول الله ﷺ.

ويجوز في اللغة إطلاق الصحبة على العدو كقوله عليه الصلاة والسلام (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فلما سأله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه). (٥١٤)

ويجوز إطلاق الصحبة في اللغة على من التقيت به مرة واحدة كقول

(٥١٣) نص الحديث كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن جابراً رضي الله عنه قال (كنا في غزاة قال سفيان مرة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها متنة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فملوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

(٥١٤) رواه البخاري

النبي عليه الصلاة والسلام (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يقول أحدهما لصحابه اختر وربما قال أو يكون بيع خيار)^(٥١٥)، فسمى المشتري صاحب مع أنه قد يلتقي مرة واحدة مع البائع ويشترى منه السلعة.

ويجوز في اللغة إطلاق لفظة (الصحبة) على من لا يعرف صاحبه ولم يلتق به يوماً كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: (بيننا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل، قال: قلت نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان، هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله، فقال كل واحد منهما: أنا قتلتها، فقال: هل مسحتما سيفيكما، قالوا: لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله ..)^(٥١٦).

ولهذا لا يُعرف للصحبة اللغوية ضابط، ولو كان الصحابي يُعرف بالصحبة اللغوية لكنا نحن صحابة أيضاً إذ لا يُشترط في اللغة دائماً المصاحبة ولا اللقاء كما في حديث عبد الرحمن بن عوف السابق، ولكان من التقى برسول الله من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين صحابة أيضاً، لأن الصحبة اللغوية لا تشترط الايمان.^(٥١٧)

(٥١٥) رواه البخاري

(٥١٦) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في المستدرك.

(٥١٧) أمر آخر لا بد من الإشارة له وهو أن الاستناد إلى اللغة في الحكم على الأحكام الشرعية خطأ

واضح، تصور لو أن رجلاً أنكر الزكاة زاعماً أن الزكاة في اللغة تعني التماء ولا تعني الحق المالي المخصوص الذي يخرج المسلم عند اكتمال النصاب وحلول الحول، وينكر الصلاة (العبادة المخصوصة) قائلاً بأن الصلاة في اللغة تعني الدعاء، وعلى هذا المنهج يسير من حكم على صحبة الرسول وصحابته من خلال التعريف اللغوي مهملأ التعريف الشرعي.

ولهذا وضع العلماء تعريفاً خاصاً للصحبة الشرعية يُعرف بها الصحابي من غير الصحابي.

قال ابن حجر العسقلاني في تعريف الصحابي: (من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمناً به ومات على الإسلام). (٥١٨)

وقال الشهيد الثاني - من علماء الشيعة الاثني عشرية الكبار - (الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، وإن تخللت رده بين لقيه مؤمناً به، وبين موته مسلماً على الأظهر . . والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشة ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكالمه ولم يره) (٥١٩)

وشرح التعريف الشرعي للصحابي كالتالي:

(من لقي النبي عليه الصلاة والسلام) يراد به كل من لقي النبي عليه الصلاة والسلام في حياته، أما من رآه بعد موته قبل دفنه ﷺ فلا يكون صحابياً، فأبو ذؤيب الهذلي الشاعر رأى رسول الله قبل دفنه، لكن من رآه بعد مماته فلا يُطلق عليه مسمى (الصحابي).

وقد استخدم العلماء لفظة (لقي) بدلاً من لفظة (رأى) لأن من الصحابة من لقي رسول الله ولم يره كعبد الله بن أم مكتوم كان أعمى.

(مؤمناً) أي يشترط فيمن يُطلق عليه مسمى صحابي أن يكون مسلماً، فمن لقي رسول الله وهو على الكفر سواء أسلم بعد ممات الرسول أو لم يُسلم فلا صحبة له.

أما من لقي رسول الله مؤمناً في حياته ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام بعد موت رسول الله فاختلف العلماء في صحبته هل ترجع له الصحبة بعد التوبة والرجوع إلى الإسلام أم تنتفي عنه.

وقول العلماء (به) قصدوا به أن يكون من لقي رسول الله مؤمناً به لا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة مثل بحيرى الراهب وورقة بن نوفل وغيرهم، فهؤلاء لا يُقال عنهم صحابة.

(ومات على الإسلام) فمن لقي الرسول مؤمناً به ومات على الردة والعياذ بالله، لا يُقال عنه صحابياً، فلا كرامة له ولا فضل.

شرف صحبة رسول الله

يحلوا لبعض الغلاة أن يجعلوا صحبة خير البشر (محمد) ﷺ واللقاء به والجلوس في مجلسه، صحبة مسلوقة القيمة والشرف ... ويستندون في ذلك إلى التعريف اللغوي للصحبة الذي شمل صحبة المؤمن للكافر وصحبة الرجل لمن لا يعرف !

بل تجرأ المفيد - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - على تشبيه صحبة الصحابة لرسول الله بصحبة البهيمة للعاقل !

يقول المفيد في احتجاجه (فإن اسم الصحبة يُطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم لقول الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أنهم سموا الحمار صاحباً، فقالوا:

إن الحمار مع الحمار مطية فإذا خلوت به فبئس صاحب) (٥٢٠).

فصحبته لرسول الله عنده لا شرف لها ولا مقدار، فكما أن الكافر يصاحب المؤمن، والعاقل يصاحب البهيمة، والحيوان يصاحب الجماد فكذلك حال الصحابة مع خير البشر محمد صلوات الله وسلامه عليه !

ولو سألت عاقلاً ما فضيلة الحجر الأسود لذكر لك من تلك الفضائل أن

رسول الله ﷺ قد وضعه بيديه الشريفتين، وأنه ﷺ قد قبله بغممه الطاهر، فيكفيه ذلك شرفاً.

وما قيمة الثوب الذي لبسه رسول الله أو النعل الذي انتعله لقال لك
يكفيهما شرفاً أن مسا جسد رسول الله ﷺ.

فكيف بمن صحبه وجالسه وصلى خلفه وربما عانقه يوماً أو دافع عنه
بنفسه وأهله وماله؟ هؤلاء عند المفيد وأمثاله بلا قيمة ولا شرف! بل صحبتهم
لرسول الله وصحبة البهيمة للعاقل سواء!

وقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عظيماً يشير به إلى فضل صحبته ﷺ
يقول فيه:

(يأتي على الناس زمان، يغزو فثام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى
رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فثام من الناس، فيقال
لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح
لهم، ثم يغزو فثام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من
صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم) (٥٢١).

وقد أكدت شرف صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام رواية شيعية
تُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب ذكرها شيخ الطائفة الطوسي في الأمالي
ونصها كالتالي: (عن أبي سعيد الخدري، قال أخبر رسول الله (صلى الله
عليه وآله) علياً بما يلقي بعده، فبكى (عليه السلام)، وقال يا رسول الله، أسألك
بحقي عليك وقرابتي منك، وحق صحبتي إياك، لما دعوت الله (عز وجل)
أن يقبضني إليه...) (٥٢٢)

فهذا هو الإمام علي يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام بحق هذه
الصحبة إلا دعا له، والمتعصبة الذين يدعون التشيع لهذا الإمام الجليل يقللون
من شأن هذه الصحبة ولا يعرفون لها قدرها ومنزلتها.

(٥٢١) رواء مسلم (باب فضل الصحابة) حديث رقم ٢٠٨

(٥٢٢) الأمالي للطوسي ص ٥٠١

والمرء ليعجب من هؤلاء المتعصبة الذين يرددون دوماً وفي كل حين عبارة (يا ليتنا كنا معكم)، وهم يرجون من كل قلوبهم لو أنهم صحبوا الإمام الحسين عليه السلام في ذهابه للعراق فنصروه وذبوا عنه، فيرى أحدهم في صحبة الحسين ابن رسول الله الشرف والقيمة، في حين يقف عند صحابة محمد عليه السلام وهو خير الخلق والنبي الخاتم الذي أرسل للناس كافة، وتمالأت عليه قوى الكفر فنصره هؤلاء وضحوا بدمائهم وأهليهم، ووقفوا معه في أحلك الظروف، فيجعل هذا المتعصب صحبة هؤلاء لرسولنا الكريم كصحبة البهيمة للعاقل! وقاحة ما بعدها وقاحة.

هذه قيمة صحبة رسول الله وهذه هي فضيلتها عند الغلاة الجفاة . . .
فإلى الله المشتكى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

هل في الصحابة منافقون؟

لا أدري كيف يمكن أن ينسب الشيعة الاثنا عشرية النفاق إلى صحابة رسول الله هكذا بكل سهولة وهم يقرأون قول الله تعالى في محكم كتابه العزيز عن المنافقين مخاطباً الصحابة ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ (٥٦) ﴿٥٢٣﴾!

قضية حسمها القرآن بكل وضوح، لكننا لا نزال نجادل فيها ونناقشها.

ولذا تقرر عند العلماء أن الصحابي هو من لقي رسول الله ﷺ مؤمناً ومات على الإيمان، أما المنافقون والمرتدون فلا يُطلق عليهم مسمى (الصحابي)، اللهم إلا إذا أريد بذلك الصفة اللغوية لا الصفة الشرعية كنحو قول النبي عليه الصلاة والسلام عن عبد الله بن أبي سلول المنافق (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (٥٢٤). مع علمه أنه منافق مندس بين صفوف المسلمين.

ومن الجهل بمكان أن يدعي أحدهم أن رسول الله ﷺ كان يعدّ عبد الله بن أبي سلول المنافق صاحباً له، فانت الذي لا تُقارن برسول الله إيماناً وورعاً وتقوى تتورع أن تعتبر المنافق صاحباً لك فكيف تنسب ذلك إلى خير الخلق وأورعهم وأتقاهم لله؟!!

فتبين من ذلك أن رسول الله ﷺ أراد الصفة اللغوية التي تعارف عليها الناس مؤمنهم وكافرهم دون الصفة الشرعية التي علمناها من الشرع.

وقد أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام أن هناك منافقين مندسون بين

(٥٢٣) سورة التوبة آية ٥٦

(٥٢٤) ذكرت تحت عنوان (الصفة اللغوية والشرعية) نص الحديث كاملاً فليراجع.

الجماعة المسلمة فقال: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الديلة) (٥٢٥)

وقد قال الله عز وجل في كتابه لصحابة رسول الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٥٢٦).

أما الشيعة الاثنا عشرية فوجهوا السهام نحو جماهير الصحابة فحكموا عليهم بالردة والضلال والانهيار على الأعقاب واستثنوا افراداً قليل منهم لم ينقضوا العهد.

وهؤلاء الذين تمتدحهم الشيعة الاثنا عشرية لا يقلون عن ثلاثة ولا يتجاوزون السبعة كما بينت الروايات الشيعية:

فقد روى الكليني في الكافي - وهو أهم مراجع الحديث عند الشيعة الاثني عشرية - عن حمran بن أعين قال (قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفيناها؟ قال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده ثلاثة) (٥٢٧) وهؤلاء الثلاثة هم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي كما بينت رواية الكشي في رجاله (عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي) (٥٢٨).

وهناك نصوص أخرى تشير إلى أن هؤلاء الثلاثة لحق بهم أربعة آخرون

(٥٢٥) رواه مسلم ٢١٤٣/٤

(٥٢٦) سورة النساء آية ٨٨

(٥٢٧) الكافي ١٩١/٢ باب قلة عدد المؤمنين

(٥٢٨) رجال الكشي ص ٦، الكافي ٣٢١-٣٢٢ مع شرح جامع المازندراني

ليصل عدد المؤمنين في عصر الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية إلى سبعة، ولكنهم لم يتجاوزوا هذا العدد، وهذا ما تحدث عنه الروايات الشيعية حيث تقول (عن الحارث بن المغيرة النصري، قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذا؟) (٥٢٩) فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال إي والله هلكوا إلا ثلاثة، ثم لحق أبو ساسان (٥٣٠)، وعمار (٥٣١)، وشتيرة (٥٣٢)، وأبو عمرة (٥٣٣)، وصاروا سبعة (٥٣٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع وذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣٥).

(٥٢٩) أي: بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ومبايعة الناس لأبي بكر

(٥٣٠) أبو ساسان اسمه الحصين ابن المنذر

(٥٣١) عمار بن ياسر

(٥٣٢) قال الأردبيلي (شتيرة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام) جامع الرواة ١/٣٩٨

(٥٣٣) قال الأردبيلي (أبو عمرة الأنصاري اسمه ثعلبة بن عمرو من الأصفياء من أصحاب أمير

المؤمنين) جامع الرواة ٢/٣٨٧

(٥٣٤) رجال الكشي ص ٧

(٥٣٥) الكافي (الروضة) حديث رقم ٣٤١ (قال المجلسي: حديث حسن أو موثق (مرآة العقول

٢٦/٢١٣-٢١٤)) والبرهان في تفسير القرآن للبحراني ٢/١١٥ (سورة آل عمران آية

١٤٤)، وتفسير العياشي ١/٢٢٣ ح ١٤٨

فكان كل أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الردة غير (المقداد وسلمان
الفارسي وأبو ذر) ثم أناب إلى الله بعد ذلك (أبو ساسان ثم عمار وشثيرة وأبو
عمرة) فصاروا سبعة!

وتؤكد جملة من النصوص الشيعية على أن العدد لم يزد على ذلك لفترة
من الزمان، قال أبو جعفر: (وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين
عليه السلام إلا هؤلاء السبعة)^(٥٣٦)، وكان أبو عبد الله يقسم على ذلك فيقول
(فوالله ما وفي بها إلا سبعة نفر)^(٥٣٧)

غير أن هؤلاء السبعة أو قل الأربعة الأبرز فيهم (المقداد وسلمان وعمار
وأبو ذر) لم يسلموا من الانتقاص المبطن.

فعن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن النبي
ﷺ لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبو
ذر الغفاري، إنه لما قبض رسول الله ﷺ جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي
طالب (عليه السلام) فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً، قال: ولما
قالوا إنا سمعنا من رسول الله ﷺ فيك يوم غدیر، قال: وتفعلون؟ قالوا:
نعم، قال: فأتوني غداً محلّقين، قال: فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة، قال: وجاءه
عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال له: ما آن لك أن
تستيقظ من نومة الغفلة ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنتم لم تطيعوني في حلق
الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجة لي
فيكم.^(٥٣٨)

(٥٣٦) رجال الكشي ص ١١-١٢

(٥٣٧) قرب الإسناد للحميري ص ٣٨، بحار الأنوار ٣٢٢/٢٢، الاختصاص للمفيد ص ٦٣

(٥٣٨) الاختصاص ص ٦ وبحار الأنوار ٢٨/٢٨٩

وعن ابن عيسى يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ سلمان كان منه إلى ارتفاع النهار فعاقبه الله أو وجئ في عنقه حتى صيرت كهيئة السلعة حمراء، وأبو ذر كان منه إلى وقت الظهر فعاقبه الله إلى أن سلط عليه عثمان حتى حمله على قتب وأكل لحم أليته وطرده عن جوار رسول الله ﷺ، فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله ﷺ حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود، لم يزل قائماً قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين عليه السلام ينتظر متى يأمره فيمضي. (٥٣٩)

بل لم يكن التعامل بين هؤلاء نفر على نمط الأخوة المعتادة بين أهل الإيمان الواحد.

ففي رجال الكشي (قال أمير المؤمنين: يا أبا ذر، إنَّ سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان) (٥٤٠) وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ يا سلمان لو غرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو غرض علمك على سلمان لكفر (٥٤١)

وهو تعامل قائم على أساس التقية والكتمان لا على أساس المصارحة والوضوح، فعن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي عليه السلام فقال: إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله بينهما فما ظنك بسائر الخلق) (٥٤٢) فحتى تلك الفئة المؤمنة والتي لا تتعدى سبعة نفر تتناكر قلوبها وتتعامل بالتقية مع بعضها البعض.

ثم لحق بركب هذه الفئة من المرتدين التائبين آخرون ذكرهم الكشي

(٥٣٩) الاختصاص ص ٩ وبحار الأنوار ٢٨/٢٥٩

(٥٤٠) رجال الكشي ص ١٥

(٥٤١) رجال الكشي ص ١١

(٥٤٢) رجال الكشي ص ١٧

نقلًا عن الفضل بن شاذان فقال: (إنَّ من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف والبراء بن مالك وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمران بن الحصين وبريدة الأسلمي وبشر بن كثير). (٥٤٣)

فوفقاً لهذه الروايات يتضح للقارئ أنَّ الصحابة المؤمنين في العقيدة الشيعة الاثني عشرية - في بداية الأمر - إنما هم ثلاثة (المقداد وسلمان وأبو ذر) والبقية مرتدون أناب بعضهم وتابوا إلى الله فصاروا بعد ذلك في قسم الممدوحين المرضي عنهم (الصحابة المؤمنين)!

هذه حقيقة لا يعرفها كثير من عامة الشيعة الاثني عشرية وقد لمست هذا من خلال مناقشتي لكثير منهم . . . يردد بعضهم اسم خزيمة بن ثابت وعماراً وأصحاب بدر الذين قاتلوا مع الإمام علي في صفين دون أن يدري أنَّ هؤلاء جميعاً وفقاً لمرويات الشيعة الاثني عشرية كانوا أهل ردة مع باقي الصحابة ثم تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الإمام بعد ذلك وأنَّ منهم من تأخرت توبته حتى موقعة صفين !

أي أنه كان على الردة طول تلك الفترة لموالاته لأبي بكر وعمر وعثمان!

ومن هؤلاء الصحابي خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) الذي يفخر به الشيعة الاثنا عشرية عادة .

ذكر عباس القمي في كتابه (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) عن البهائي في (الكامل) قوله أنَّ خزيمة بن ثابت وأبا الهيثم الأنصاريين كان جديتين

في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم صفين، وأنه عليه السلام قال: مع أنهما خذلاني في أول أمرهما غير أنهما تابا أخيراً وعرفا سوء ما فعلا! (٥٤٤)

أما إذا أردنا أن نرى القسم الآخر من الصحابة وهم الذين يعتبرون عند الشيعة الاثني عشرية منافقين أو أرباب مصالح، فتحت هذا القسم يدخل جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله باستثناء السبعة الذين أشارت إليهم الروايات .

وهذه الحقيقة لم أكتشفها لوحدي بل قررها علماء الشيعة الاثني عشرية منذ زمن لكن عباراتهم لا تكاد تذكر للناس حتى يعلموا الحقيقة الغائبة ويدركوا أي ظلم ظلمه المذهب لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله .

يقول يوسف البحراني في كتابه (الشهاب الثاقب في معنى الناصب) بكل صراحة ووضوح: (ويدل على ما قلناه من هذا التفصيل ما سيأتيك في الأخبار بالنسبة إلى أصحاب الصدر الأول أنهم أصحاب ردة، وأنهم لم ينج منهم إلا القليل، ثم رجع بعض الناس بعد ذلك شيئاً فشيئاً). (٥٤٥)

ويقول آية الله العظمى محمد الوحيدي في كتابه إحقاق عقائد الشيعة: (إن حديث ارتداد الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله من الأحاديث المعتبرة المتواترة، ووجهه أن إنكار ضروري الدين والمذهب يوجب الارتداد، فلما كانت الإمامة والخلافة أصلاً من أصول الدين، ومما آتاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالقطع فمن رذ على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأنكر ما جاء به يكون مرتداً بإجماع المسلمين . وهذا معنى ارتداد الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلا الثلاثة المذكورة (سلمان وأبوذر والمقداد) (٥٤٦) .

والعجب كل العجب في ما قاله عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (الفصول المهمة) عن نظرة الشيعة الإمامية الاثني عشرية للصحابة حيث يقول بكل بساطة ودون أدنى اكتراث لهذه الروايات: (رأي الإمامية في هذه

(٥٤٤) منتهى الآمال ص ١٧٣

(٥٤٥) الشهاب الثاقب ص ٦٣ (الفائدة الأولى)

(٥٤٦) إحقاق عقائد الشيعة ص ١٠٨

المسألة أوسط الآراء، إذ لم يفترطوا تفريط الغلاة، ولا أفرطوا إفراط الجمهور^(٥٤٧)، فبالله عليك، إذا كانت هذه هي الوسطية فكيف يكون الجور والبهتان؟!

ولك أن تتساءل (إذا كان صحابة رسول الله بهذا المستوى بحيث تكون الخيرة في قلة منهم بينما الكثرة الغالبة أرباب مصالح أو منافقون، فعن أي صحابة كان يتكلم القرآن ويمتدحهم غير مرة!!؟)

لا أظن أحداً سيغالط العقل والمنطق فيدعي أن القرآن كان يمتدح تلك القلة القليلة التي لا تتجاوز السبعة فحسب.

لأن مجتمعاً فاسداً منقلباً على عقبيه يوجد به قلة صالحة لا يحكم عليه كله بالخير ولا الصلاح ولا الفلاح، فكيف يتحدث القرآن عن الصحابة واصفاً إياهم بالصلاح والفلاح ومبشراً لهم بالجنة وهم بهذا المستوى!!؟

فها هم أصحاب السبت (اليهود) الذين ذكرهم القرآن كان فيهم الصالح وفيهم المصلح وهم الأقلية، ومع ذلك أتاها العذاب فنجأ الله المصلحين منهم ومسح الأثرية الفاسدة وحكم على مجتمعهم بالفساد والخيبة واللعنة إلى يوم الدين.

فقال عز من قائل ﴿فَرَزَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلَعْنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ^{٥٤٨}﴾.

ولك أن تتساءل أيها القارئ . . . إن كان أهل النفاق بهذه الكثرة وهذه العدة، وكانت السطوة والكلمة لهم، فكيف انتشر الاسلام وكيف سقطت فارس والروم وفتح بيت المقدس؟

ثم ما دام هؤلاء هم المنافقون فمالهم لم يتفقوا مع الكفار على القضاء على البقية الباقية التي لا يتجاوز عدد أفرادها عدد أصابع اليد الواحدة أو اليمين.

(٥٤٧) الفصول المهمة ص ١٨٩ مؤسسة البعثة - طهران ط ١.

(٥٤٨) سورة النساء آية ٤٧

إن فئة المنافقين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن مجهولة في مجتمع المدينة بل كانت فئة مفضوحة مخزية عُلم بعضها بعينه وعُرف البعض الآخر منها بالأوصاف المذكورة في القرآن .

فضحهم الله عز وجل في سورتي (المنافقين ، والتوبة) مبيناً حانهم ودسائسهم وما تكنه صدورهم تجاه رسول الله والمؤمنين ، وقد سُميت سورة التوبة بالفاضحة والمدممة لما أظهرته من صفاتهم ونواياهم وبما أظهرته من حال من قابلهم من المؤمنين .

ومن يقرأ الآيات من قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٥٤٩) إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فسيقف على صورة متكاملة لأهل النفاق يستطيع من خلالها أن يميز الخبيث من الطيب .

ويكفينا بياناً لهذا الفرق ، كيف فضح الله عز وجل المنافقين أمام الخلائق وبين حقيقتهم للناس بعد ما كان مكرهم سراً وفي الخفاء وذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ (٥٥٠)

والمنافقون معلومون بدليل أنهم بنوا مسجد الضرار فالمسجد معروف ومن بناء معروف .

ولذا جاء تأييد هذا المعنى في تفسير العياشي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - تفسيراً لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ رواية سلام أنه قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء ، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر

(٥٤٩) سورة التوبة آية ٤٤

(٥٥٠) سورة محمد آية ٢٩-٣٠

ﷺ أخبرنا أطل الله بقالك وأمتعنا بك إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحبينا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر ﷺ: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل، ثم قال أبو جعفر ﷺ: أما إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله تخاف علينا النفاق؟ قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والأولاد والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء، أفنتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا! هذا من خطوات الشيطان ليرغبكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذنون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا فيغفر لهم، إن المؤمن مفتن تواب أما تسمع لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّينَ﴾ (٥٥١) وقال ﴿وَأَن تَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (٥٥٢) (٥٥٣)

لقد أبى الله عز وجل إلا أن يميز الخبيث من الطيب، وألا يترك الحقيقة معناه، كيف وهو القائل ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٥٥٤).

يقول محمد مغنية في تفسير هذه الآية: (اندس في صفوف المسلمين منافقون لمجرد الهدم والتخريب، وقد فرض سبحانه على النبي والمسلمين أن

(٥٥١) سورة البقرة آية ٢٢٢

(٥٥٢) سورة هود آية ٣

(٥٥٣) تفسير العياشي ١/ ١٢٨، الكافي ٢/ ٤٢٣، مجموعة ورام ٢/ ٢١٠، بحار الأنوار ٦/ ٤٢ و ٥٧/ ٦٧

(٥٥٤) سورة آل عمران آية ١٧٩

يعاملوا كل من نطق بكلمة الإسلام معاملة المسلمين، ومن أجل هذا حار رسول الله ! وكيف يقبلهم وهم يفسدون ويعاكسون؟ فقال سبحانه للنبي وللمسلمين: مهلاً، سأسلط عليهم الأضواء حتى يفتضحوا أمام الناس، ولا يبقى لهم منفذ للكيد والإفساد^(٥٥٥)

ويتجلى هذا الافتضاح بما يجريه الله عز وجل من البلاء الشديد حتى تظهر صورهم الحقيقية وتنكشف أمام المؤمنين، قال تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٥٥٦)

و (المراد بالفتنة هنا افتضاح المنافقين على الملأ، وإظهار حقيقتهم لدى الجميع، وذلك بأن الله سبحانه كان يخبر نبيه الأكرم بما يبيتون ويمكرون، وكان النبي ﷺ بدوره يعاتبهم ويفضحهم، وقد تكرر هذا في كل عام مرة أو أكثر)^(٥٥٧)

يقول ابن كثير: (وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير حلفاء الأوس وبنو قريظة، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب

(٥٥٥) التفسير المبين (سورة آل عمران آية ١٧٩) ص ٧٨

(٥٥٦) سورة التوبة آية ١٢٦

(٥٥٧) التفسير المبين (سورة التوبة آية ١٢٦) ص ٢١٢

حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر الله قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وُجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافق لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة (٥٥٨).

و(إن من المعلوم بالاضطرار والمتواتر من الأخبار أنَّ المهاجرين هاجروا من مكة وغيرها إلى المدينة، وهاجر طائفة منهم كعمر وعثمان وجعفر بن أبي طالب هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام إذ ذاك قليلاً والكفار مستولون على عامة الأرض، وكانوا يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وهم صابرون على الأذى، متجرعون لمرارة البلوى، وفارقوا الأوطان، وهجروا الخلان لمحبة الله ورسوله والجهاد في سبيله كما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٥٥٩)

وهذا كله فعلوه طوعاً واختياراً من تلقاء أنفسهم، لم يكرههم عليه مكره، ولا ألجأهم إليه أحد، فإنه لم يكن للإسلام إذ ذاك من القوة ما يُكره به أحد على الإسلام، وكان النبي ﷺ إذ ذاك - هو ومن اتبعه - منهيين عن

(٥٥٨) تفسير ابن كثير ٧٦/١

(٥٥٩) سورة الحشر آية ٨

القتال، مأمورين بالصفح والصبر، فلم يسلم أحد إلا باختياره، ولا هاجر أحد إلا باختياره.

ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من العلماء: إنه لم يكن من المهاجرين من نافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار لما ظهر الإسلام بالمدينة، ودخل فيه قبائل الأوس والخزرج، ولما صار للمسلمين دار يمتنعون بها ويقاتلون دخل في الإسلام من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب من دخل خوفاً وتقية، وكانوا منافقين.

كما قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ (٥٦٠)

ولهذا إنما ذكر النفاق في السور المدنية، وأما السور المكية فلا ذكر فيها للمنافقين، فإن من أسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق، والذين هاجروا لم يكن فيهم منافق، بل كانوا مؤمنين بالله ورسوله، محبين لله ولرسوله، وكان الله ورسوله أحب إليهم من أولادهم وأهلهم وأموالهم.

وإذا كان كذلك علم أن رميهم - أو رمي أكثرهم أو بعضهم - بالنفاق، كما يقوله من يقوله من الشيعة الاثني عشرية الإمامية، من أعظم البهتان، وكذلك دعواهم عليهم الردة من أعظم الأقوال بهتاناً، فإن المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهوة، ومعلوم أن الشبهات والشهوات في أوائل الإسلام كانت أقوى، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه؟!

وأما الشهوة: فسواء كانت شهوة رياسة أو مال أو نكاح أو غير ذلك، كانت في أول الإسلام أولى بالاتباع، فمن خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعز حباً لله ورسوله، طوعاً غير إكراه، كيف يعادون الله ورسوله طلباً للشرف والمال؟!

ثم هم في حال قدرتهم على المعادة، وقيام المقتضى للمعادة، لم يكونوا معادين لله ورسوله، بل موالين لله ورسوله، معادين لمن عادى الله ورسوله، فحين قوى المقتضى للموالة، وضعت القدرة على المعادة، يفعلون تقيض هذا؟! هل يظن هذا إلا من هو من أعظم الناس ضللاً؟

وذلك أن الفعل إذا حصل معه كمال القدرة عليه، وكمال الإرادة له وجب وجوده، وهم في أول الإسلام كان المقتضى لإرادة معادة الرسول أقوى، لكثرة أعدائه وقلة أوليائه، وعدم ظهور دينه، وكانت قدرة من يعاديه باليد واللسان حيثئذ أقوى، حتى كان يعاديه آحاد الناس، ويباشرون أذاه بالأيدي والألسن.

ولما ظهر الإسلام وانتشر، كان المقتضى للمعادة أضعف، والقدرة عليها أضعف، ومن المعلوم أن من ترك المعادة أولاً، ثم عاداه ثانياً لم يكن إلا لتغير إرادته أو قدرته.

ومعلوم أن القدرة على المعادة كانت أولاً أقوى، والموجب لإرادة المعادة كان أولاً أولى، ولم يتجدد عندهم ما يوجب تغير إرادتهم ولا قدرتهم، فَعُلمَ علماً يقيناً أن القوم لم يتجدد عندهم ما يوجب الردة عن دينهم البتة، والذين ارتدوا بعد موته إنما كانوا ممن أسلم بالسيف، كأصحاب مسيلمة وأهل نجد، فأما المهاجرون الذين أسلموا طوعاً فلم يرتد منهم - ولله الحمد - أحد). (٥٦١)

علامة قف ...

إنه لا يمكن لأحد أن يثبت تواتر القرآن أو السنة النبوية إلا عن طريق الصحابة، ولن يستطيع إثبات أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي أنزل على محمد دون الرجوع إلى الصحابة.

وإذا ما وجهت السهام إلى نقلة القرآن ونقله السنة النبوية وقُدح في ذممهم وفي دينهم سقط اعتبار ما نقلوه وتطرق إليه الشك.

ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل يتقصص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدي إلينا هذا القرآن والسنة: أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة) (٥٦٢)

كلمات ثقيلة العبارة ... شديدة الألفاظ ... لكن أبا زرعة لا يتصور من مسلم ينطق بالشهادتين ويؤمن بالقرآن وسنة نبيه أن يشكك ويطعن في من نقل إليه هذا القرآن وهذه السنة ثم يدّعي بعد ذلك أنه مسلم يحب الإسلام ويقدّس القرآن والسنة!

إن الشيعة الاثني عشرية حينما يطعنون في عدالة الصحابة ويجرحونهم الليل والنهار لا يستطيعون أن يشبّوا بالمقابل تواتر القرآن الكريم من طريق غير طريق الصحابة، لأن من جمع القرآن هو أبو بكر والصحابة (الجمع الأول) ثم عثمان بن عفان والصحابة (الجمع الثاني)، فإن كان هؤلاء منافقين فليبحث الشيعة حيثئذ عن قرآن آخر!

أريد بهذه الكلمات أن أنبهك يا من زلت قدمه في هذا المعترك لتدرك أن الطريق الذي تسير فيه يعني الطعن الصريح في كتاب الله وفي سنة رسول الله من حيث لا تشعر.

والطعن في الصحابة أيسر الطرق الموصلة إلى الطعن في كتاب الله الذي جمعه ونقلوه، والطعن في كتاب الله كفر مخرج من الملة^(٥٦٣).

هذا إن تناسينا أن الطعن في الصحابة في حقيقته طعن صريح في النصوص القرآنية التي امتدحتهم وبشرتهم بالجنان.

والطعن في الصحابة يفضي كذلك إلى الطعن في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي (السنة النبوية) لأنهم رواة هذه السنة^(٥٦٤).

وبهذا لا يُبقي لنا الطاعنون في الصحابة لا قرآناً ولا سنة نتعبد الله بهما! فالقرآن نقله المرتدون المنقلبون على أعقابهم والسنة كذلك . . . فعلى أي شيء يقوم الدين حينئذ؟!

ولهذا حينما كنت أتصفح كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية كنت أستغرب من ندرة الأحاديث المروية عن رسول الله في مقابل الأحاديث المروية عن الإمام علي أو الإمامين الباقر وجعفر الصادق!

من هو رسول الله بالضبط وما هي مكانته في المذهب الشيعي الإثني عشري وأين تعاليمه طالما حلّ محله غيره بهذا الشكل وصارت الكلمة للأئمة لنبي الأئمة وإمامهم!

حاول بنفسك أن تتصفح أهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية (الكافي، من لا يحضره الفقيه، تهذيب الأحكام، الاستبصار وغيرها) لترى قلة

(٥٦٣) ولذلك نجد أن علماء الشيعة لا يتخرجون من القول أن إثبات تحريف القرآن من عدمه ليس من ضروريات الدين!! بل من قال بالتحريف عندهم لا يكفر، ومرّد ذلك إلى أنهم يقولون أن القرآن مقدّس ولكن من أذاه إلينا متواتراً مناققون!!

(٥٦٤) والعجيب أن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا تثبت إلا بروايات الصحابة المنافيين عند الشيعة، ولن تجد رواية واحدة متواترة في فضيلة واحدة بأسانيد شيعية بحثة بدء بالصحابي الممدوح عندهم وانتهاء بالمصنف!

أحاديث رسول الله ﷺ مقارنة بأحاديث الإمامين الباقر والصادق، وتأمل كيف صارت سنة محمد ﷺ مهمشة في هذه الكتب وصار الأصل هو سنة الإمام ! حتى الأحاديث القليلة المروية عن رسول الله لا يخلو الكثير منها من حيث السند من ضعف، فلو أمسكت كتب الجرح والتعديل عند الشيعة الاثني عشرية ورحت تحقق وتراجع كل رواية من تلك الروايات فستضح لديك هذه الحقيقة التي للأسف الشديد لم أر من أشار إليها حتى من علماء أهل السنة - فيما أعلم!

بينما تتصفح كتب الحديث عند أهل السنة وتشعر بالفرق الواضح حينما تعيش مع رسول الله ﷺ في أقواله وعباراته وأوصافه، وتجد أن كلمات رسول الله هي الأصل وأنه الجوهر وكلمات غيره ثانوية يؤخذ منها ويؤرد. هذه حقيقة لا أدعيها والله تعصباً .. لكنني لمستها بالفعل وعبرت عنها لمن أعرفه من الشيعة الاثني عشرية.

عدالة الصحابة

لكي تحاكم عقيدة ما لا بد أن تدرك معنى ومفهوم ما تحاكمه، والجمعجة والصياح لغة سهلة يستطيع أي أحد تبنيها في حوار معك وبالذات حول قضية مثل قضية (عدالة الصحابة).

كلما ناقشت أحداً حول هذه القضية رأيته يتكلم بثقة بالغة وكأنه فهم ما لم يفهمه الأكابر، يقول لك: (إنكم تدعون أن الصحابة عدول، وفلان شرب الخمر وأقيم عليه الحد لذلك، وفلان فعل كذا وكذا، فأين العدالة؟) ثم تعلوه ابتسامة المنتصر، وكأن ما ذكره حجة بالغة وحقيقة واضحة !

جرب أن تسأله عن مفهوم كلمة (العدالة) ما معناها أصلاً؟

الكثير لا يعرف مفهوم هذه الكلمة لكنه يحتاج ويناقش بما يتلقى ويسمع، وهذه هي المصيبة وبالذات حين يكون الحوار عن أناس صحبوا رسول الله وجاهدوا معه ورووا عنه !

كنت أتصفح الكتب الشيعية التي تنتقد مبدأ (عدالة الصحابة) وكنت أجد المفهوم ذاته الذي ينطق به العامي المحاور هو ذاته الذي تنطق به تلك الكتب، يحاول هؤلاء المؤلفون أن يجعلوا للعدالة تعريفاً صعباً للغاية لا يستطيع تصويره الشيعي في أفضل الناس علماً وإيماناً عنده (وهم مراجع التقليد) فكيف بمن يُنظر إليهم أنهم بذلوا وغتروا بعد رسول الله !

يكفي أن تعريف العدالة الذي يتبناه اليوم كثير من علماء الشيعة الاثني عشرية وهو (ملكة نفسية راسخة تبعث على ترك الكبائر واجتناب الصغائر وترك خوارم المروءة)، قد قال فيه المجلسي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - (اعلم أن المتأخرين من علمائنا اعتبروا في العدالة الملكة وهي صفة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى والمروءة، ولم أجدها في

النصوص ولا في كلام من تقدّم على العلامة (أي الحلبي) من علمائنا ولا وجه لاعتبارها). (٥٦٥)

فإذا كان التعريف الذي يحتاج به الشيعة الاثنا عشرية اليوم ويشككون في عدالة الصحابة من أجله ليس مقبولاً عند المتقدمين من علمائهم (الأقرب زمنياً وارتباطاً بالأئمة) الذين سبقوا العلامة الحلبي وليس مقبولاً كذلك عند بعض المتأخرين أمثال المجلسي ويوسف البحراني وغيرهم، فعلى أي أساس تتم المحاجة به بل ويُقاس به أصحاب محمد ﷺ؟!

على أي حال، مفهوم العدالة لا يدركه كثير من الناس ولذلك ينبغي قبل الخوض في أدلة أو واقعية العدالة أن نتعرض إلى مفهوم العدالة التي يعيها أهل السنة.

فالعدالة الذي يذكرها العلماء إما أن تكون عدالة رواية أو عدالة سيرة.

وعلماء أهل السنة والجماعة كان تنصيبهم في الكتب على عدالة الصحابة متناولاً لعدالة الرواية، وإن كانت عدالة السيرة ثابتة للصحابة لتزكية الله لهم ورضاه عنهم - وهو ما سنناقشه فيما بعد.

يقول اللكنوي رحمه الله: (وقد تُطلق العدالة على التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها، وهذا المعنى هو مراد المحدثين من قولهم: الصحابة عدول).

فقد قال السخاوي في فتح المغيث: قال ابن الأنباري: ليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول

رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن يثبت ارتكاب قاذح ولم يثبت ذلك . انتهى .

وقال العلامة الدهلوي مؤلف (التحفة الاثنا عشرية) وغيرها: في بعض إفاداته: إن ما تقرر في عقائد أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول قد تكرر ذكره غير مرة، ووقع في البحث والتفتيش عن معناه حضرة الوالد المرحوم (٥٦٦) فتنتج بعد البحث أن المراد بالعدالة في هذه الجملة ليس معناها المتعارف بل المراد العدالة في رواية الحديث لا غير، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم حتى من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي ﷺ أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير). (٥٦٧)

ولهذا النوع من العدالة شاهد من كلام أهل البيت في كتب الشيعة الاثني عشرية ولكنه للأسف غير مطبق على أرض الواقع رغم كونه مسطراً في أهم وأوثق كتاب للشيعة في الحديث!

روى الكليني في الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال: قلت: فأخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله ﷺ فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً) (٥٦٨)

(٥٦٦) ولي الله الدهلوي مؤلف كتاب (حجة الله البالغة)

(٥٦٧) ظفر الأمانى في مختصر الجرجاني للكنوي ص ٥٠٦-٥٠٧

(٥٦٨) الكافي (الأصول) ج ١ ص ٥٢ كتاب فضل العلم

عدالة السيرة لا تعني العصمة

إنَّ القول بعدالة سيرة الصحابة رضوان الله عليهم لا يعني أنهم معصومون من المعاصي والمخالفات، أو أنهم لا يخطئون ولا يغلطون، بل هم كسائر الناس من بني آدم في الطباع والنقص البشري لقول النبي ﷺ (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) (٥٦٩).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن تغفر اللهم، تغفر جثاً، وأي عبد لك ما ألقا) (٥٧٠).

وفي صحيح مسلم عنه عليه الصلاة والسلام قوله (لو لم تذبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم آخرين فيذبون فيستغفرون الله فيغفر لهم).

فصدور الذنوب من البشر له حكمة بالغة، وسر إلهي في نظام هذا الكون، وما من اسم لله عز وجل إلا وله تصرف خاص في هذا الخلق.

والواقع يصدق ما قلناه في الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم قد صدرت منهم معاصي ومن بعضهم كبائر كالغامدية التي زنت ورجمها رسول الله ﷺ، وكالرجل الذي كان يشرب الخمر ويؤتى به إلى رسول الله فيقيم عليه الحد والمخزومية التي سرقت وحاطب بن أبي بلتعة الذي أخبر قريشاً بقدوم النبي عليه الصلاة والسلام فاتحاً وهؤلاء تابوا إلى الله عز وجل إما باستغفار وإنابة إلى الله عز وجل أو بإقامة حد دنيوي، ولذلك فالحديث عنهم بسوء أو استغلال هذه المعاصي التي تابوا منها لا في القدرح فيهم فحسب بل لنقض عدالة غيرهم هو من الظلم البين بل من التجني!

وما ذكرناه من كبائر اقترفها بعض هؤلاء الصحابة فإنهم إما ألحقوها بحد يكفر المعصية كما حصل للغامدية والمخزومية، فالحدود كما قال عليه

(٥٦٩) رواه أحمد والترمذي

(٥٧٠) رواه الترمذي بسند صحيح

الصلاة والسلام مكفّرات أو أنها دخلت من باب قوله تعالى ﴿إِنَّ أَحْسَنَتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ كما حصل مع حاطب بن أبي بلتعة إذ شعر بالذنب والأسى على ما فعل فجاءت مشاركته في غزوة بدر التي أعز الله بها الإسلام لتشفع له زلته ويتوب الله عليه، ويبين رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فضيلة هذا الرجل وغفران الله عز وجل له زلته.

ولذلك قال المجلسي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية كما أسلفنا - ما نصه: (وإذا زالت العدالة بارتكاب ما يقدر فيها فتعود بالتوبة بغير خلاف ظاهر، وكذلك من حُدّ في معصية ثم تاب رجعت عدالته وقُبلت شهادته، ونقل بعض الأصحاب إجماع الفرقة على ذلك). (٥٧١)

قلت: ما دامت هذه القضية مجمع عليها عند الشيعة الاثني عشرية، ومن تاب أو حُدّ في معصية رجعت له العدالة، فلماذا يستمر مسلسل الطعن في عدالة الصحابة ويُعرض هؤلاء الصحابة كمثال للفساق - عياداً بالله؟!

محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة

من يتمسك بالنصوص الدالة على خطأ الصحابة أو على ذنب اقترفه أحدهم يغالط نفسه ... إذ كل عدل يذنب وإلا كان معصوماً!

ولذا رأينا هذه الحقيقة واضحة في إجابة السيد محمد حسين فضل الله - وهو مرجع تقليد كبير عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية - على تساؤل وجهه له أحد مقلديه قائلاً:

(م-٤٥٠) يتوهم بعض الناس أنّ العدالة من الأمور التي يصعب إدراكها والتعرف عليها، وكثيراً ما يطلب الناس في إمام الجماعة صفات تقرب من العصمة، فكيف نتثبت من عدالة الإمام، وهل يكفي ذكر أهل بلده له بالخير وكمال الدين ... رغم أنّ المخبرين ليسوا عدولاً؟

أجاب فضل الله بقوله (العدالة ليست العصمة . . . فقد يعصي المؤمن العادل ثم يتوب بعد انتباهه لذلك، على هدى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٥٧١)، أما كيف تثبت العدالة، فذلك بحسن الظاهر في سلوكه العام في المجتمع، بحيث يرى الناس فيه الإنسان المستقيم في دينه وفي أخلاقه الفردية أو الاجتماعية المرتبطة بالحدود الشرعية، كما تثبت بالشياع المفيد للعلم أو الاطمئنان وبخبر الثقة بعدالته، ولا قيمة لخبر الفاسق في العدالة سلباً أو إيجاباً)^(٥٧٢)

قلت: وهذا ما يقوله أهل السنة في صحابة رسول الله . . . لا يقولون بعصمتهم بل يقولون بأنهم مؤمنون يذنبون ويتوبون . . . فلماذا تُعطى قضية عدالة الصحابة أكبر من حجمها الطبيعي؟ وما الغرض من إثارة هذه القضية وعلماء الشيعة الاثني عشرية يعلمون أنَّ القول بالعدالة لا يعني القول بالعصمة وإنما الاستقامة؟!

بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة)

وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها . . . فبعض المتعصبة لما رأوا ما في كلام الشيعة الاثني عشرية من الطعن في أصحاب رسول الله والقول بردتهم ورأوا السباب والشتائم والأدعية المتضمنة للعن الشيخين أبي بكر وعمر^(٥٧٣)، ورأوا بالمقابل عبارات مُجملة لقداماء علماء أهل السنة في التنصيص على عدالة الصحابة بجملتهم، تمسكوا بحرفية تلك العبارات دون فهم المراد منها والتفصيل اللازم لها، فصار هؤلاء يشنعون على من يضع الأمور في نصابها، وقد ساهم هؤلاء المتعصبة للأسف الشديد في إيجاد فجوات وثغرات في موضوع عدالة الصحابة، حتى اعترى بعض العامة الشك

(٥٧٢) المسائل الفقهية ص ١٧٤ الجزء الثاني

(٥٧٣) كدعاء صمني قریش

في عدالة صحابة نبيهم ووجدوا إلى ذلك سبيلاً ما كانوا ليجدونه لو التزموا الفهم الصحيح لمفهوم العدالة.

فالقول بعدالة سيرة الصحابة إجمالاً لا يعني خروج الأحاد منهم عنها لأدلة شرعية أو لفسق ظاهر لا يحتمل التأويل وإحسان الظن بهم.

ولنأخذ مثلاً على ذلك فنقول: لو أنك قلت (كل أهل السودان طيبين) فلا يعني قولك هذا أنك إن مررت في حياتك بسوداني غير طيب أن ذلك يعني انتقاض القاعدة، فلكل قاعدة استثناءات ولا عيب في هذا إلا عند المتشددین من الناس.

وكذلك الحال فيما لو قال رجل بأن (كل أهل الجزائر كرماء)، فوجدت بخيلين أو ثلاثة مثلاً قد خرجوا عن القاعدة لأسباب خاصة فلا يعني ذلك نقض القاعدة في أهل الجزائر جميعاً!

ومشكلة متعصبة أهل السنة أنهم يتصورون أن خروج أحد من الصحابة عن قاعدة العدالة لنص شرعي ورد فيه قد يؤثر على مبدأ العدالة، فيتعصبون جهلاً لمفهوم العدالة فيردون النص الشرعي أو ربما يقبلونه ولكنهم يعطلون معناه، فلا يخرجون ذاك الصحابي من العدالة رغم تبشير الرسول ﷺ له بالنار أو حكمه عليه بالفسق!

وهؤلاء يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بصنيعهم هذا، ولا يدركون أي جرم ارتكبوا في حق أصحاب رسول الله وفي حق الناس.

فبسبب تعصبهم وانغلاق عقولهم أمام الحقائق الجلية وجد الطاعنون في الصحابة سبيلاً للطعن وفي استغلال ما ورد في الظالمين والفاستقين لصبه في محيط حسنات الصالحين والصالحات!

وأهل السنة والجماعة وسط بين طرفي الغلو، لا يرتضون الطعن في صحابة رسول الله ولا أمهات المؤمنين ولكنهم مع ذلك يدينون الله بما صح وثبت عن رسول الله ﷺ في أشخاص أساءوا الصحبة.

ولنأت بمثال حي لما نذكره:

- كركرة:

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات فقال رسول الله ﷺ (هو في النار)، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها) (٥٧٤) (٥٧٥).

قال الحافظ ابن حجر: (وقوله "هو في النار" أي يعذب على معصيته، أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه) (٥٧٦).

فأما المتعصبون فيسكونون فريقين، فريق يتعصب للعدالة دون النص فيجعل كركرة عدلاً مع دخوله النار!، وفريق آخر سيتعصب لهواه فيجعل الصحابة كلهم (كركرة)!

وأما أهل الإنصاف فيسجعلون لكل شيء قدره دون إفراط ولا تفريط فيقولون (كركرة) نموذج لصحابة خرجوا من عدالة السيرة لدليل شرعي ولفسق ظاهر لا تأويل له ولذلك استحق ما أخبر به النبي ﷺ.

- الرجل الذي قتل نفسه:

عن جابر بن سمرة قال: (أتني النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص، فلم يصل عليه) (٥٧٧).

وفي رواية البيهقي (أن أبا هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خبير، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن يدعي الإسلام (هذا من أهل النار)، فلما حضر القتال، قاتل الرجل حتى كثرت به الجراح فأثبته، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرايت الرجل الذي ذكرت أنه من أهل النار، قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار) وكاد بعض الناس يرتاب، فبينا هو

(٥٧٤) الغلول هو ما أخذه من الغنمة بغير وجه حق.

(٥٧٥) صحيح البخاري - الجهاد والسير - حديث رقم ٢٨٤٥

(٥٧٦) فتح الباري ١٨٨/٦

(٥٧٧) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - ترك الصلاة على القتال نفسه - حديث رقم ١٦٢٤

على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فانتحر بها... (٥٧٨).

فهذا الرجل (ليس عدلاً بلا شك)، بنص كلام رسول الله ﷺ الذين ذكر أنه من أهل النار لأنه مات منتحراً.

فالصحابة في مجموعهم عدول لكن ذلك لا يعني عدم خروج أحادهم من العدالة لدليل شرعي أو فسق ظاهر لا تأويل فيه (٥٧٩).

(٥٧٨) السنن الكبرى للبيهقي ١٩٧/٨

(٥٧٩) لا بد من الإشارة هنا إلى أن انتفاء عدالة السيرة عن الصحابي لفسق أو غيره لا يعني انتفاء عدالة الرواية، لأن إجلال الصحابة لرسول الله ومعرفتهم لمعظم جريمة الكذب على رسول الله مما يعرفه كل عاقل، فمن ادعى غير ذلك فعليه أن يأتي بالدليل، ولن يجد دليلاً واحداً على صحابي واحد أنه كذب على رسول الله، وغاية ما يثيره أهل الأهواء هو الطعن في أبي هريرة بشئ الطرق، وقد أفادنا الأستاذ عبد الله الناصر في كتابه (البرهان في تبرة أبي هريرة من البهتان) بما يدحض كل الشبهات المثارة على أبي هريرة.

فأكد أنه ما من حديث رواه أبو هريرة إلا وقد رواه الشيعة عن الإمامين الباقر والصادق على وجه الخصوص بنفس الألفاظ أو مع اختلاف بسيط في اللفظ أو بما يطابق المعنى ! أما ما يذكر عن روايته لـ ٥٣٧٤ حديثاً، فالصحيح أن هذا العدد هو لكل ما روي عن أبي هريرة وليس كل ما أسنده الرواة لأبي هريرة هو صحيح، فيضم هذا الرقم أحاديثاً ضعيفة وأحاديثاً مكررة، وإذا ما أخرجناها من جملة مرويات أبي هريرة فسيصفو لنا أقل من هذا العدد بكثير، يقول الدكتور محمد ضياء الأعظمي في كتابه (أبو هريرة في ضوء مروياته): فالذي نُسب إليه بأنه روى (٥٣٧٤) حديثاً كما حزم به ابن حزم في جوامع السيرة ص ٢٧٥ وابن الجوزي في (تلقيح أهل الأثر) ص ١٨٤ ثم كتاب مصطلح الحديث، فكل ذلك باعتبار تكرار الأسانيد وأكبر ما يدل على ذلك هو عمل الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الضخم، فإن مرويات أبي هريرة تستغرق ٣١٣ صفحة بالقطع الكبير من مسند يبلغ عددها أكثر من خمسة آلاف حديث بالأسانيد المكررة، بينما أني لما قمت بدراسة ما رواه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة (الإمام البخاري والإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي) لم يبلغ جميع ما رواه أبو هريرة في هذه الكتب السبعة إلا (١٣٣٦) حديثاً فقط انتهى كلامه.

فكثرة عدد الأحاديث التي تُنسب لأبي هريرة منشأها المكررات هذا بخلاف الروايات الضعيفة التي لا تصح نسبتها إليه.

وزيادة على هذا أقول: ليس من المستحيل لرجل تفرغ لصحبة رسول الله ونال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام أن يحفظ هذا العدد خصوصاً وأن الأحاديث عبارة عن جمل قصيرة يسهل حفظها لمن وفقه الله تعالى لذلك، بل إن المتتبع لروايات أبي هريرة رضي الله عنه في الكتب التسعة (الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسنند أحمد والدارمي) يجد أن كثيراً من الصحابة اشتركوا مع أبي هريرة في كل مروياته تقريباً، فلم ينفرد عنهم فيما روته عنه الكتب التسعة إلا برواية ثمانية أحاديث فقط! ألا يكفي هذا بياناً لصدقه؟

فالشيعية الاثنا عشرية تطرفوا فقدحوا في عدالة المجموع من أجل بعض الأفراد دون الاكتراث بنصوص القرآن والسنة المادحة لمجموع الصحابة، في حين أفرط متعصبة أهل السنة في المسألة فلم يُجوزوا خروج أحد من هذا الثناء بدليل شرعي أو فسق الظاهر، فبحثوا عن تأويلات لمن أساء الصحبة حماية لقاعدة العدالة، وكلا الفريقين تكلم في العدالة وليس في كلامه عدالة بل هو التطرف والظلم اللذان لا يرضى الله بهما.

ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟

عندما يطرح علماء الشيعة الاثني عشرية موضوع عدالة الصحابة فإنهم لا يريدون أعرابياً أسلم وأهمله التاريخ أو صحابية كالغامدية زنت ثم اعترفت باقترافها الذنب طالبة إقامة الحد عليها لتطهر وتموت نقية من الذنب فيغفره لها رب العالمين (٥٨٠) !

ولا يريدون كذلك حاطب بن أبي بلتعة الذي أفشى سر قدوم المسلمين لمكة من باب خوفه على أهله هناك ورغبة في أن تكون له يد على قريش حتى يحفظوه في أهله، فعوتب من رسول الله وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنقه فقال له رسول الله ﷺ (مهلاً يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

لكنهم يريدون كبار الصحابة (أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة والبقية)، ويريدون تمهيد الطريق لضرب هؤلاء الأعلام بكسر حاجز

(٥٨٠) قال عنها عليه الصلاة والسلام (لقد تابت نوبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت نوبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى) صحيح مسلم (كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى).

العدالة فحين يتحطم الجدار ويجوز الطعن في صحابي من هؤلاء الصحابة الكرام يصبح الطعن بأبرز الصحابة وأكثرهم ثقلاً أمراً سهلاً للغاية ! وبالذات إذا جاء هذا الطعن وهذا الشتم والتنقيص تحت مسمى الاعتدال أو الموضوعية والمنهجية العلمية !

ما كنت أعجب منه خلال قراءاتي في كتب الفريقين هو استنكار علماء الشيعة الاثني عشرية القول بعدالة الصحابة وإعطائهم للقضية حجماً أكبر من حجمها في حين أنهم يتناسون أن الأصل في المسلم العدالة^(٥٨١) وأن الصحابة ليسوا أهل إسلام وإيمان فقط بل مزكون من الله ورسوله !

فحتى لو ادعى مدّع أنه لا يوجد دليل واحد على عدالة الصحابة فإنه سيقف عند هذه النقطة التي أثرتها عاجزاً عن الإجابة .. إن الأصل في المسلم العدالة وعلى الذي يقدح في عدالة أي مسلم أن يأتي بالدليل وليس العكس !

فعلى أي أساس يطالبونا بأدلة عدالة الصحابة؟!

يقول شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الخلاف (إن الأصل في المسلم العدالة، والفسق طارئ عليه يحتاج إلى دليل)^(٥٨٢)، وهذا أمر بديهي عند كل مسلم، لا يحتاج حتى إلى استدلال.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا التشنيع على القائلين بعدالة الصحابة وكأن الصحابة من كوكب آخر غير كوكب الأرض ! أين الموضوعية وأين الإنصاف؟!

(٥٨١) المراد بالعدالة في هذه القاعدة الشرعية هي (السلامة من الفسق)، فالأصل في كل مسلم أنه سالم من الفسق حتى يثبت فسقه.

(٥٨٢) نقلاً عن كتاب أصول علم الرجال ص ١١٠

روايات شيعية منسوبة في إثبات عدالة الصحابة

رغم أن علماء الشيعة الاثني عشرية يرفضون بشدة مبدأ عدالة الصحابة ويظهرونها تارة بأنها غلو في الصحابة وإثبات لعصمتهم وتارة بأن فيها إثباتاً لعدالة المنافقين أيضاً إلا أن هناك ثمة روايات هنا وهناك في تراث الإمامية تقف جنباً إلى جنب مع آيات القرآن الصريحة في القول بالعدالة وكذا روايات أهل السنة والعقل السليم الذي يجزم بعدالة من نقل الدين وإلا تطرق الشك في نقل مصدري الشريعة (القرآن والسنة)، الأمر الذي يتطلع إليه أعداء الإسلام بكل شغف، ويجدون من يهدي لهم هذه الطعونات بكل بساطة !

من تلك الروايات الحاكمة بعدالة صحب محمد ﷺ ما يلي :

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب رسول الله ﷺ الناس بمنى في حجة الوداع في مسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها إلى من لم يسمعها فزُبَّ حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطية من ورائهم . المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم. (٥٨٣)

قلت : إن لم يكن الصحابة عدولاً فكيف يأتين رسول الله ﷺ أحداً منهم على تبليغ كلامه إلى من لم يسمعه ؟! والرواية لا يصلح لها إلا العدل فكيف يبلغ الرجل منهم قول رسول الله إلى غيره وهو ليس بعدل؟

(٥٨٣) الخصال ص ١٤٩-١٥٠ حديث رقم ١٨٢ (ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم).

وفي هذه الرواية مزيد بيان :

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم يُرَ فيهم قدرتي ولا مرجي ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يكون الليل والنهار ويقولون : اقْبِضْ أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير. (٥٨٤)

فإذا لم يكن في الصحابة مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، فكيف يكون فيهم من هو أشد من هذا وذلك (المنافق !) كما يدعي علماء الشيعة الاثني عشرية ؟!

وإذا كان صحابة رسول الله بهذه الصفات فلماذا يُعَدُّ القول بعدلتهم غلواً ؟!

وروى الكليني في الكافي عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال : إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال : قلت : فأخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال : بل صدقوا، قال : قلت فيما بالهم اختلفوا؟ فقال : أما تعلم أنَّ الرجل كان يأتي رسول الله ﷺ فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً. (٥٨٥)

وهذه تزكية عامة لصحابة رسول الله ﷺ من الإمام الصادق . . . نص فيها على صدقهم رضوان الله عليهم وانتفاء الكذب عنهم وهو ما يُعرف بعدالة الرواية.

(٥٨٤) الخصال ص ٦٣٨ حديث رقم ١٥ (ما بعد الألف) - (كان أصحاب رسول الله اثني عشر ألف رجل).

(٥٨٥) الكافي (الأصول) ج ١ ص ٥٢ كتاب فضل العلم

عدالة الصحابة مستحيلة وعدالة كبار علماء الشيعة الاثني عشرية لا غبار عليها !

إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ (٥٨٦)
ليس محصوراً في مكيال البيع والشراء بل في كل ما يُكال للناس به .

حينما يُكال لأصحاب رسول الله بمكيال يُحاسبون فيه على كل سعة وهمسة وحركة وسكنة ، بينما يُخصص لعلماء الشيعة الاثني عشرية ومراجع التقليد مكيالاً آخر يتغاضى عن أمور كثيرة تُستنكر في صحابة رسول الله وتُقام لها الدنيا وتُقدد بينما لا تُستنكر وليس لها أدنى أثر حينما يكون الكلام عن علماء الشيعة الاثني عشرية ومراجعها .

إنها أزمة الإنصاف وأزمة تحكيم الضمير ... خصوصاً ونحن لا نتكلم عن أصحابنا في المدارس أو زملائنا في العمل وإنما عن صحابة وأصهار سيد الخلق (محمد عليه الصلاة والسلام) .

والغريب في علماء الشيعة الاثني عشرية ومفكريهم وهم يطعنون ليل نهار في عدالة الصحابة ويسعون إلى تأويل كل نص فيه مدح للمهاجرين والأنصار وتبشيرهم بالجنان وإنكارهم لتعديل الله ورسوله لهم أنك تجدهم لا يترددون في إثبات عدالة جميع علمائهم السابقين دون أن يعدّوا إثبات العدالة لهم إثباتاً للعصمة ولا مناقضاً للإسلام ولا يستحق حتى وقفة تأمل !

فهم يستنكرون على أهل السنة إثباتهم لعدالة من زكاهم الله ورسوله ، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذا الدين ، ويشنعون عليهم أشد التشنيع ويعتدون القول بعدالتهم تقديساً لا يستحقونه ! لكن حينما يأتي الكلام عن كبار

علماء الشيعة الاثني عشرية السابقين يختلف الميزان وتصير كلمة (عدالة) كلمة عادية لا تستحق التشنيع ولا الوقوف عندها أصلاً !

لا تتصور أنني أبالغ . . . هذه حقيقة واضحة جلية يستشعرها كل منصف يرتضي الدليل والبرهان .

كنت ولا زلت أتساءل كيف لشيوعي منصف أن يردد طعونات علماء الشيعة الاثني عشرية في عدالة الصحابة ويناقد القضية بحماس وانفعال في حين يتجاهل أموراً ربما يقرأها يوماً في رسالة مرجع التقليد الذي يقلده دون توقف عندها أو وزنهما بالميزان نفسه الذي يزن به أصحاب رسول الله .

فهذا هو الخوئي - الزعيم السابق لحوزة النجف الأشرف والملقب بأستاذ الأساتذة - ماذا يقول في رسالته العملية لمقلديه ولمن تتلمذ على يديه من مراجع التقليد الحاليين ؟

يقول الخوئي في رسالته العملية (منهاج الصالحين ١/٩) : (مسألة ٢٩ - العدالة المعتمدة في مرجع التقليد عبارة عن الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة، وعدم الانحراف عنها يميناً ولا شمالاً، بأن لا يرتكب معصية بترك واجب أو فعل محرم، من دون عذر شرعي، ولا فرق في المعاصي من هذه الجهة، بين الصغيرة والكبيرة، وفي عدد الكبائر خلاف .

وقد عدّ من الكبائر الشرك بالله تعالى، واليأس من روح الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى، وعقوق الوالدين - وهو الإساءة إليهما - وقتل النفس المحترمة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، وأكل الربا، والزنا واللواط، والسحر، واليمين الغموس الفاجرة - وهي الحلف بالله تعالى كذباً على وقوع أمر، أو على حق امرئ أو منع حقه خاصة - كما قد يظهر من بعض النصوص - ومنع الزكاة المفروضة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة. وشرب الخمر، ومنها ترك الصلاة أو غيرها مما فرضه الله متعمداً، ونقض العهد، وقطيعة الرحم - بمعنى ترك الإحسان إليه من كل وجه في مقام يتعارف فيه ذلك - والتعرب بعد الهجرة إلى البلاد التي ينقص بها الدين، والسرقه وإنكار ما أنزل الله تعالى، والكذب على الله، أو

على رسوله ﷺ، أو الأوصياء عليهم السلام، بل مطلق الكذب، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، والقمار، وأكل السحت كثمن الميتة والخمر والمسكر وأجر الزانية، وثمن الكلب الذي لا يصطاد، والرشوة على الحكم ولو بالحق، وأجر الكاهن، وما أصيب من أعمال الولاية الظلمة، وثمن الجارية المغنية، وثمن الشطرنج، فإن جميع ذلك من السحت.

ومن الكبائر: البخس في المكيال والميزان، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، والولاية لهم، وجس الحقوق من غير عسر، والكبر، والإسراف والتبذير، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله تعالى، والاشتغال بالملاهي - كالغناء بقصد التلهي - وهو الصوت المشتمل على الترجيع على ما يتعارف عند أهل الفسوق - وضرب الأوتار ونحوها مما يتعاطاه أهل الفسوق، والاصرار على الذنوب الصغائر.

والغيبة، وهي: أن يذكر المؤمن بعيب في غيبته، سواء أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن، وسواء أكان العيب في بدنه أم في نسبه أم في خلقه أم في فعله أم في قوله أم في دينه أم في دنياه أم في غير ذلك مما يكون عيباً مستوراً عن الناس، كما لا فرق في الذكر بين أن يكون بالقول، أو بالفعل الحاكي عن وجود العيب، والظاهر اختصاصها بصورة وجود سامع يقصد إفهامه وإعلامه، كما أنَّ الظاهر أنه لا بد من تعيين المغتاب ... ومن الكبائر: البهتان على المؤمن - وهو ذكره بما يعيبه وليس هو فيه - ومنها: سب المؤمن وإهانته وإذلاله، ومنها: النميمة بين المؤمنين بما يوجب الفرقة بينهم، ومنها: القيادة وهي السعي بين اثنين لجمعهما على الوطاء المحرم، ومنها: الغش للمسلمين، ومنها: استحقار الذنب فإنَّ أشد الذنوب ما استهان به صاحبه، ومنها: الرياء وغير ذلك مما يضيق الوقت عن بيانه. (٥٨٧)

وقد ذكر مثل هذا آية الله السيستاني في رسالته العملية لمقلديه (منهاج الصالحين ١٦/١-١٧) وغيرهم من مراجع التقليد.

فتزكية رب العالمين ورسوله الكريم للصحابة فيها نقاش وجدال ويبحث عن كل خطأ وزلة ثم تلميعها، وتزكية مراجع التقليد والنص على عدالتهم بهذه الصورة المبالغ فيها لا يُحتاج فيها إلى نقاش ولا استنكار من أي شيعة! أهكذا يكون الإنصاف؟!

بماذا سيرر علماء الشيعة الاثني عشرية العدالة التي ينسبونها إلى مراجع التقليد؟ أليس اشتراط الخوئي والسيستاني وكذا باقي مراجع التقليد عند الشيعة الاثني عشرية لعدالة المرجع بهذه الصورة المبالغ فيها هو قول بعصمة مرجع التقليد؟!

يكفيك أن تقرأ قول الخوئي بعدها مباشرة (مسألة ٣٠- ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية، وتعود بالتوبة والندم، وقد مز أنه لا يفرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة) لتساءل (أيعقل أن يمر أسبوع من حياة المرجع (لن أقول يوم) دون أن يرتكب معصية تخرجه من العدالة؟! وهل يبقى مرجع التقليد على وضعه كمرجع تقليد حال اقراره للإثم وقبل توبته أم أنه يخرج من المرجعية ثم يعود إليها بعد رجوع العدالة له؟!

الغلو في تعريف العدالة وإسباغ هالة على هذه العدالة المزعومة والتي هي إلى العصمة أقرب وراء كل هذه التساؤلات.

ثم بعد هذا يُتهم من يقول بعدالة صحابة رسول الله مع تقييده تلك العدالة ونصّه على أنّ عدالتهم لا تعني عدم اقرارهم للذنوب وإنما المراد بها عدالة الرواية (وهو المراد من مصطلح (عدالة الصحابة) أو عدم فسقهم وهو التعريف الذي يقتضي وقوع المرء بالذنوب أو بالكبيرة ثم إلحاقها بتوبة، وكلا الأمرين لا غلو فيه!

منقلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟!

أن تُخرج رجلاً من الإسلام وتنعت بالمرتد والمنقلب على عقبيه لأنه أشرك أو كفر فهذا معروف واعتيادي بل هو حكم شرعي لا بد من البوح به والتدين به، لكن أن يُنعت أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بأهل الردة أو بالمنقلبين على أعقابهم من أجل تسليمهم الخلافة لغير علي بن أبي طالب أو تسليمهم إياها لأبي بكر الصديق فهذا أمر عجاب!

منذ متى صارت كراسي الحكم مقرونة بالتوحيد وبأركان الإيمان الستة (٥٨٨)؟!

ثم ما الذي سيجنيه الصحابة إن هم سلّموا الخلافة لأبي بكر بدلاً عن علي بن أبي طالب.

الأموال؟ هم تركوا أموالهم وأهليهم في مكة من أجل الله ورسوله وكانت تجارة قريش مضرب المثل (رحلة الشتاء والصيف) وزعماء قريش على أتم الاستعداد لشراء الذمم والضمان في سبيل دحر دعوة النبي ﷺ ومع ذلك تحمّل الصحابة الفقر والغربة والعذاب في سبيل هذا الدين، فما الذي تغير اليوم؟!

المكانة الاجتماعية؟ ما الذي تغير في خلافة أبي بكر حتى يبيع الرجل دينه ويشتري بالمقابل تلك المكانة الاجتماعية في مجتمع يرى التقوى ميزاناً لعلو الشخص وانخفاضه!

(٥٨٨) أركان الإيمان الستة هي: الإيمان بالله، الإيمان بالأنبياء، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره.

فمجتمع المسلمين في حياة نبي الله وبعد مماته هو نفسه الذي أعزَّ بلالاً الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي ولم يعرف لقبائل العرب المرتدة نسبها ومكانتها الاجتماعية بل سدّد السهام نحوها وأقام عليها حد الردة لما ارتدت وجهرت بالكفر.

ثم هذه قريش بعزتها وجبروتها ويعروضها المغرية على من أراد الدخول في دين الله، لم تستطع زحزحة صحابة رسول الله عن مواقفهم بل زادت في ثباتهم وإيمانهم، فما الذي تغير اليوم حتى تستطيع سقيفة بني ساعدة الصغيرة أن تغير كل هؤلاء الأشداء الصامدين؟! أن

لا توجد إجابة مقنعة تركز إليها النفس وتطمئن إليها القلوب تقنع المرء بهذا الطرح العجيب الذي لا يقبله عقل ولا منطق ..

يذكر علماء الشيعة الاثني عشرية كثيراً حب الأنصار لعلي بن أبي طالب وأنهم كانوا كثرة في جنده في موقعة صفين فلماذا لم يسلموا الخلافة إليه وسلموها لأبي بكر؟! لن تجد إجابة مقنعة تسلي بها نفسك.

إن نظرة الأنصار ومن قبلهم المهاجرين أبعد وأصوب منا جميعاً، لقد كانت هذه الفئة المؤمنة تُفرّق بين الخلافة وبين الارتباط العاطفي مع قرابة النبي



ولذا رأينا الكتب الشيعية التي تمتدح هؤلاء الأنصار ووقفهم جنباً إلى جنب مع الإمام علي في موقعة صفين هي الكتب نفسها التي تتعتم بالردة والانقلاب على الأعقاب في حادثة السقيفة !

ميزان عجيب يُكال به أصحاب رسول الله ... إن كانوا مع الإمام علي في أمر من الأمور صاروا خير الناس، وإن كان موقفهم مع من خالف علياً أو قُل في غير الاتجاه الذي أراده الإمام علي صاروا أهل ردة ومصلحة ونفاق !

فإن قالوا حكمنا عليهم بالردة والانقلاب على أعقابهم لأنهم أنكروا النص على علي بن أبي طالب، قيل لهؤلاء المستكرين: أو ليس الشيعة الاثني عشرية يذكرون أنّ حديث الغدير متواتر وأنّ مئات من الصحابة قد روه فآين الإنكار؟

عندما أقول بلساني إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي (من كنت مولاه فعلي مولاه) فآين إنكاري للنص؟!

فإن قيل: أنكروا المعنى، قيل لهؤلاء: ومن ذا الذي قال بأنّ ما ذهبتم إليه في تفسير الحديث هو الحق؟! هل أنتم أفهم وأعقل من صحابة رسول الله الذين عاشوا تلك اللحظات وسمعوا الحديث بآذانهم؟! أم أنكم أفهم بالعربية منهم حتى صرتم تعقلون من الحديث ما لم يعقلوه هم؟!

ومن تأمل نقاشنا لحديث الغدير وبقية الأحاديث سيعلم علم اليقين بأنّ صحابة رسول الله كانوا أكثر إدراكاً وفهماً للنصوص من الذين يدندنون حول هذه الأحاديث التي لم يعيشوا لحظاتها ولم يدركوا مغزاها ولم يتلمسوا مدلولاتها أو يدركوا حتى معاني ألفاظها !

من المرتد - صحابة رسول الله أم هؤلاء؟

أيها القارئ الحصيف . . . لن تحتاج معي إلى مزيد جهد أو إلى كثير إنصاف حتى تدرك الاعوجاج الواضح في الميزان الذي يُكّال به صحابة رسول الله بل يُكّال به كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أمامنا فريقان :

فريق طعن في كتاب الله مدعياً وقوع التحريف والتبديل فيه، على رأسه النوري الطبرسي - مؤلف كتاب المستدرک أحد الأصول الحديثية الثمانية لدى الاثنى عشرية - والذي ألف كتاباً باسم (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) يقول فيه عن القرآن وعن وقوع التحريف فيه ما نصه: (ومن الأدلة على تحريفه فصاحته في بعض الفقرات البالغة حد الإعجاز وسخافة بعضها الآخر) (٥٨٩).

وسيد عدنان البحراني القائل: (الأخبار التي لا تحصى كثرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة المحقة وكونه من ضروريات مذهبهم وبه تضافرت أخبارهم). (٥٩٠)

ويوسف البحراني القائل: (لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه ووضح ما قلناه ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها

(٥٨٩) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ٢١١

(٥٩٠) مشارق الشمس الدرية ص ١٢٦

كما لا يخفى إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ والثقلة، ولعمري إن القول بعدم التغير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضرراً على الدين). (٥٩١)

طعن هذا الفريق بالقرآن بكل وضوح قائلاً بوقوع التحريف فيه! وفريق آخر (وهم صحابة رسول الله) ... خطيئته التي لا يغفرها له الشيعة الاثنا عشرية هي أنه سلم الخلافة لأبي بكر بدلاً من علي! الفريق الأول الذي طعن في كتاب الله يعتذر له علماء الشيعة الاثني عشرية وغاية ما يقولون فيه هي كلمة (أخطأوا)، (اجتهدوا وتأولوا ولا نوافقهم على ما ذهبوا إليه)، وليت شعري متى صارت مسألة حفظ كتاب الله أو تحريفه مناطاً للاجتهاد؟! وأي اجتهاد في قول هذا المجرم أن (في القرآن آيات سخيقة)! والله إنها لطامة كبرى.

ولنأخذ أمثلة على نظرة علماء الشيعة الاثني عشرية إلى القائلين بالتحريف:

السيد علي الميلاني - من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية اليوم - يقول في كتابه (عدم تحريف القرآن ص ٣٤) مدافعاً عن المجرم (الميرزا نوري الطبرسي): (الميرزا نوري من كبار المحدثين، إننا نحترم الميرزا النوري، الميرزا نوري رجل من كبار علمائنا، ولا نتمكن من الاعتداء عليه بأقل شيء، ولا يجوز، وهذا حرام، إنه محدث كبير من علمائنا)!

ويقول آية الله العظمى علي الفاني الأصفهاني في كتابه (آراء حول

القرآن) بعد أن ذكر القائلين بالتحريف وهم من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية ورد على شبهاتهم: (الثاني: أنَّ القائلين بالتحريف أوقعهم في شبهة التحريف كمال ورعهم وجمودهم على الأخبار وعدم دقتهم في أسانيدهم ودلالاتها، وإلا فليس القول بالتحريف خرافة إذ هي ما لا أساس لها كالقصاص الخيالية والأوهام المنسوجة والأحاديث المفتعلة الكاذبة!) (٥٩٢)

انظر إلى التلطف بالعبرة مع القائلين بالتحريف وإلى إغذارهم بل والثناء عليهم ووصفهم بالورع! يا لذلك الورع البارد!

بينما لا يجد علماء الشيعة الاثني عشرية أدنى حرج في إطلاق ألفاظ الكفر والردة على الفريق الثاني (أصحاب محمد ﷺ)!

فإن تساءلت (ما ذنب هذه الفئة؟ هل عبدت غير الله؟ هل طعنت في كتاب الله؟

ليس هذا ولا ذاك، إنما هو جرم أكبر... أعطوا الخلافة لأبي بكر ولم يعطوها لعلي بن أبي طالب!

هل بشر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟

إنه من السهل على المرء أن يمسك بين يديه القرآن الكريم ويُقَلِّب صفحاته يميناً وشمالاً ثم يختار منه ما يشاء من آيات ويُفسرها بالتفسير الذي يحلو له ويناسب هواه دون أدنى فهم للسياق الذي جاءت به والمعاني التي اقتضاها ذلك السياق، كأن يُفسر لك قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾^(٥٩٣) بأن يعقوب عليه السلام لم يكن يبكي على ابنه النبي الكريم يوسف عليه السلام وإنما على يوسف ابن الجيران الذي تُوفي بالأمس وبكى عليه أهل الحي !!

وقد يأتي لقوله تعالى ﴿وَاللَّيْلَ وَالْيَوْمَ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبُوهَا وَزِينَةً﴾^(٥٩٤) ليقول بأن أسماء تلك الحيوانات ما هي إلا كنيات عن قبائل أو عائلات بينه وبينها نزاع طويل، تماماً كما يفعل العياشي^(٥٩٥) مثلاً مع قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٥٩٦) حين يفسر الكلمات الثلاث (الفحشاء والمنكر والبغي) بأنها ولاية أبي بكر وعمر وعثمان !

أو كما فعل الكليني^(٥٩٧) مع قوله تعالى ﴿وَكُرْهُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٥٩٨) حين يذكر أن المراد بهذه الكلمات الثلاث (أبو بكر وعمر وعثمان) !

(٥٩٣) سورة يوسف آية ٨٤

(٥٩٤) سورة النحل آية ٨

(٥٩٥) تفسير العياشي ٢/٢٦٧ والقمي في تفسيره ١/٣٨٨ بلفظ (فلان وفلان وفلان) بدلاً من التصريح بأسماء الخلفاء الثلاثة.

(٥٩٦) سورة النحل آية ٩٠

(٥٩٧) الكافي ١/٣٢٤

(٥٩٨) سورة الحجرات آية ٧

والأمثلة في ذلك تطول .. والتلاعب بكتاب الله مستمر ما دامت التعصبات قائمة في نفوس أصحابها.

لكنني أرمي إلى قضية أخرى بالغة الأهمية وهي أن لتفسير القرآن الكريم أصوله وقواعده التي يُفسر من خلالها وإلا كان ألعبه للجميع، ألعبه لكل حزب ولكل فرقة وملة !!

ولذا ينبغي للمفسر قبل الشروع في تفسير آية أن يُحيط بسبب نزولها وهل نُسخَت أم لا؟ وأن يكون ملماً باللغة العربية إلماماً جيداً مع فهم سياق الآيات وما ترمي إليه وما وجه ترابطها وتناسبها بما قبلها وما بعدها.

ولو أن طاعناً لم يرد الطعن في الصحابة بل في الرسول ذاته باستخدام هذا النمط من التفسير الذي يفسر به القمي والعياشي والكليني وغيرهم معتمداً على الهوى لا على الأصول العلمية للتفسير لكان له ذلك، تماماً كما يفعل المستشرقون والقساوسة عادة في الآيات التي تخاطب النبي عليه الصلاة والسلام!!

قارن بين أقوال جولدزيهر وأمثاله من المستشرقين في رسول الله وأساليبهم في التعامل مع النصوص الحاوية للتعيب الرباني على رسول الله كنحو قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ﴾^(٥٩٩) أو ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦٠٠) وبين استغلال علماء الشيعة مثلاً للآيات التي تعيب على الصحابة تباطؤهم بالقتال أو عتابهم على خطأ وقعوا فيه أو تقصير اللطعن فيهم والتشيع عليهم ووصفهم بالردة والكفر!

وجهان لعملة واحدة، وعليك أن تعي ذلك جيداً ..

(٥٩٩) سورة التوبة آية ٤٣

(٦٠٠) سورة التحريم آية ١

نماذج حية للمزاجية في تفسير الآيات

ليس من الإنصاف للحقيقة أن يعطي المرء رأيه في مسألة دون نقاشها أو دراستها، إذ أنَّ الحقائق تعرف بالدراسة والبحث لا بالعاطفة والأحاسيس والكشف الصوفي، ولذا آليت على نفسي أن أقرأ أهم ما استدل به الشيعة الاثنا عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم ثم أسطر بعد ذلك الحقيقة التي خرجت بها من ذلك البحث.

آية آل عمران

استدل الشيعة الاثنا عشرية بقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٠١﴾

وادعى التيجاني^(٦٠٢) أن هذه الآية صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله وعذ الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الاثنا عشرية ثبوتها على الإسلام.

ويطبق التيجاني ومن سبقه إلى هذا الفهم من علماء الشيعة الاثني عشرية هذه الآية على ما حصل بعد رسول الله ﷺ في حادثة السقيفة بانتخاب أبي بكر خليفة المسلمين !!

لكن ما مدى صحة ما ذهب إليه هؤلاء؟

(٦٠١) سورة آل عمران آية ١٤٣-١٤٤

(٦٠٢) ثم اهتديت ص ١١٤

المناقشة:

أولاً: نصت كتب التفسير وكذا كتب التاريخ وبعض كتب الشيعة الاثني عشرية على أنّ هذه الآية قد نزلت في واقعة محددة وهي (غزوة أحد) فما الذي حوّلها إلى سقيفة بني ساعدة وإلى الصراع السني الشيعي الاثني عشري؟!

يقول محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف: (تشير هذه الآية إلى واقعة معينة وهي وقعة أحد). (٦٠٣)

ويقول آية الله ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): (سبب النزول أنّ الآية الأولى من هاتين الآيتين ناظرة أيضاً إلى حادثة أخرى من حوادث معركة أحد، وهي الصيحة التي ارتفعت فجأة في ذروة القتال بين المسلمين والوثنيين أن قتلت محمداً، قتلت محمداً). (٦٠٤)

وقد كانت لموقعة (أحد) ظروفها الخاصة وملابساتها ولذلك جاءت الآيات الكريمات في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية.

ثانياً: تعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك ... يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعد ما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾) ويقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلَهُ الرُّسُلُ أَفَايِنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤١﴾ فمن كان يعبد الله عز وجل، فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات).

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فاتبعوا مسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلّي ولا نركي فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين.

يروى شيخ الطائفة الطوسي في الأمالي والمجلسي نقلاً عنه في بحار الأنوار حديثاً يؤكد فيه هذه الحقيقة:

فعن إبراهيم أنه قال: ارتد الأشعث بن قيس وناس من العرب لما مات النبي ﷺ فقالوا: نصلّي ولا نؤدي الزكاة، فأبى عليهم أبو بكر ذلك، وقال: لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولا أنقصكم شيئاً مما أخذ منكم نبي الله ﷺ، ولأجاهدكم، ولو منعتوني عقلاً مما أخذ منكم نبي الله ﷺ، ولجاهدكم عليه ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (حتى فرغ من الآية ...). (٦٠٥)

علق المجلسي على هذه الرواية قائلاً: (أقول: قال السيد ابن طاووس - ره -: ذكر العباس بن عبد الرحيم المروزي في تاريخه (لم يلبث الإسلام بعد موت النبي ﷺ في طوائف العرب إلا في أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف، وارتد ساير الناس ثم قال: ارتدت بنو تميم والرباب واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي وارتدت ربيعة كلها وكانت لهم ثلاثة عساكر: عسكر باليمامة مع مسيلمة الكذاب، وعسكر مع معرور الشيباني، وفيه بنو شيان

وعامة بكر بن وائل، وعسكر مع الحطيم العبدى، وارتد أهل اليمن، ارتد الأشعث بن قيس في كندة، وارتد أهل مأرب مع الأسود العنسي، وارتدت بنو عامر إلا علقمة ابن علاثة. (٦٠٦)

فقد (ارتد بسبب موت الرسول ﷺ) ولما حصل لهم من الضعف جماعات من الناس، قوم ارتدوا عن الدين بالكلية وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: لا نصلي ولا نزكي، وقوم ارتدوا عن إخلاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ فآمنوا مع محمد بقوم من النبين الكذابين كمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وغيرهما، فقام إلى جهادهم الشاكرون الذين ثبتوا على الدين، أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والطلقاء والأعراب ومن اتبعهم بإحسان، الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٦٠٧)، هم أولئك الذين جاهدوا المنقلبين على أعقابهم الذين لم يضرروا الله شيئاً.

وما أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون، فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين، الذين يحبهم الله - عز وجل - ورسوله، فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم، الذين يخرجون عن الدين، ويأخذون بعضه ويدعون بعضه كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين، وتسقى بالإسلام من غير التزام شريعته. (٦٠٨)

لكن ما حيلتنا مع من يجادل عن بعض أصناف أهل الردة ويتأول لهم قائلاً بأن اتفاقهم على منع الزكاة لا يعني ردتهم في حين لا يجد أي حرج في

(٦٠٦) بحار الأنوار ١٢/٢٨

(٦٠٧) سورة المائدة آية ٥٤

(٦٠٨) مجموع الفتاوى ١٤/٢٢٧، ٢٢٧/٢٨

توجيه السهام إلى أبي بكر والصحابة الذين انتصروا للإسلام وثبتوا على دين الله بعد خذلان أكثر الناس له والطعن فيهم والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من أجل عدم إعطائهم الخلافة لعلي!

إن هؤلاء العاذرين لا يجهلون عظم فريضة الزكاة التي قرنها الله بالصلاة مراراً في القرآن بل يجهلون حتى أحاديث أهل البيت التي بينت بكل وضوح أن ما فعله أبو بكر تجاه مانعي الزكاة هو عين الصواب، وأن فعله ذاك علامة فقهه رضي الله عنه.

روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله عز وجل ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٦٠٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، وفي رواية (لا تقبل له صلاة). (٦٠٩)

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء الله يهودياً أو نصرانياً. (٦١٠)

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة، فقال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقيم الصلاة). (٦١١)

فأين هذه الأحاديث الواضحة وكذا فعل الإمام علي الذي وقف جنباً إلى جنب مع الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في تلك المحنة من التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة وعلماء الشيعة الاثني عشرية الذين ما

(٦٠٩) الكافي ٣/٥٠٣

(٦١٠) الكافي ٣/٥٠٥

(٦١١) الكافي ٣/٥٠٦

زالوا يدندون حول قضية قتال مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة !

أبو بكر ذاك الرجل الذي عاش قضية الإسلام فكانت شغله الشاغل، يقول علامة الشيعة ابن شهر آشوب في كتابه (متشابه القرآن) في تفسير قول الله عز وجل ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (فهذا عام في جميع المواضع ويدخل فيه سجدة الشكر بعد الصلاة وقد سجد النبي ﷺ لما أتى برأس أبي جهل وسجد علي لما وجدوا ذا الثدية وسجد أبو بكر لما بلغه فتح اليمامة وقتل مسيلمة). (٦١٢)

رجل يسجد شكراً لله وفرحاً بانتصار الإسلام وهلاك مدع النبوة مسيلمة، ومع ذلك يتهم بالردة والانقلاب عليه عقبه ! ... يتهم في عرضه وفي دينه وفي كل شيء !

أما الشعار الإيماني الذي قاتل تحت لواءه الصحابة مسيلمة ومن معه فيذكر النوري الطبرسي في مستدرک الوسائل ١١٣/١١ عن الإمام علي بن الحسين أنه قال: كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة.

يا له من شعار ... ويا لعظمة هؤلاء الرجال.

أيها القارئ... إن هذه النصوص التي ذكرتها لك والتي دلت على تفاني هؤلاء الرجال في نصره هذا الدين وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر الصديق إنما هي حقائق سطررتها كتب الشيعة الاثني عشرية أنفسهم، فكيف لو ذكرت لك ما ذكرته كتب أهل السنة عن تلك الأحداث.

حينما يدرك المرء هذه الحقيقة يعلم علم اليقين أي ضلالة ينطق بها من يطعن في أصحاب رسول الله ويجعل من الذين جاهدوا في سبيل رفعة هذا الدين رموزاً للكفر والردة والنفاق !

ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصديق؟!، قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم، الصديق نعم، الصديق نعم، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة. (٦١٣)

فرحم الله الإمام أبا جعفر . . . ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم.

ثالثاً: قد يجد من يريد الطعن في الصحابة أن حجته في تطبيق الآية الكريمة على مبايعة الناس أبي بكر على الخلافة غير منطقية فيأتي للنص ليستخدمه كمطعن في أبي بكر والصحابة من خلال غزوة أحد نفسها.

ولذلك أقول بياناً لأحداث تلك الغزوة: في إطار الحديث عن غزوة أحد التي نزلت بسببها تلك الآيات، أشيع بعد هزيمة المسلمين التي كان السبب الجوهرى فيها ترك الرماة لمواقعهم أن رسول الله ﷺ قد قُتل .

فانقسم الناس بسبب هذه الصدمة المفاجئة إلى ثلاثة أقسام: قسم استمر على ما هو عليه كأبي بكر الصديق (٦١٤) وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبي دجانة والزيبر بن العوام ورجال من المهاجرين والأنصار.

فحين توجهت السهام تجاه رسول الله ﷺ في جهة من أرض القتال وأشيع في الجهات الأخرى مقتله عليه الصلاة والسلام فلم يدركوا ما كان

(٦١٣) كشف الغمة ٢/١٤٧

(٦١٤) يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (الشيبي الغالي سابقاً) في كتابه شرح نهج البلاغة ١٥/٢١: (ولم يختلف الرواة من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفر يومئذ وأنه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نُقل عنه قتل أو قتال، والاثبات جهاد وفيه وحده كفاية).

يواجه رسول الله ومن معه في تلك الجهة، قام خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله رجلاً رجلاً يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: ادنوه مني، فأدنوه منه فوسد قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ وتزس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثرت فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، فقال سعد: فلقد رأيته يناولني ويقول: ارم فذاك أبي وأمي .. حتى إنه لناولني السهم ما فيه نصل، فيقول: ارم به! (٦١٥)

فأما طلحة بن عبيد الله فيكفيه شرفاً أن شلت يده وهو يدافع عن رسول الله ﷺ، يقول قيس: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلاء). (٦١٦)

ومن حديث جابر قال: (لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: (من للقوم؟) قال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل: أنا، قال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: أنت، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال: حسس، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ثم رد الله المشركين). (٦١٧)

وحينما استعصى على رسول الله ﷺ صعود صخرة قعد طلحة ليصعد رسول الله عليه فيعتلي الصخرة، فعن الزبير أنه قال: (كان على النبي يوم أحد

(٦١٥) تاريخ الطبري ٦٦/٢

(٦١٦) رواه البخاري وأحمد في المسند

(٦١٧) أخرجه النسائي

درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقع طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي ﷺ يقول: (أوجب طلحة). (٦١٨)

وقد أنزل الله عز وجل خلال تلك الفترة النعاس على المؤمنين وأبقي في قلوب المنافقين الرعب، يقول أبو طلحة الأنصاري: (رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يمد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ أَمْنَةٌ تَعَاسًا﴾) (٦١٩)

ويتحدث عن الطائفة التي لم يغشها النعاس قائلاً: (والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق). (٦٢٠)

وقد كان الزبير بن العوام ممن غشهم النعاس أمانة من الله وفضلاً، يقول الزبير: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا وذقنه - أو قال - ذقنه في صدره، فوالله أني لأسمع كالحلم قول معتب ابن قشير (لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا) فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ أَمْنَةٌ تَعَاسًا﴾ إلى قوله ﴿مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ لقول معتب بن قشير، قال: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. (٦٢١)

أما عمر بن الخطاب فمن الثابت في التاريخ أنه كان مع رسول الله ﷺ في اللحظات الأخيرة من الحرب حين فكر أبو سفيان بالكر على المسلمين مرة أخرى.

وصاح وهو في أسفل الجبل: اعل هبل (مرتين)، فأجابه عمر قائلاً: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر.

(٦١٨) أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم

(٦١٩) أخرجه الترمذي

(٦٢٠) أخرجه الترمذي

(٦٢١) الطالب المالية رقم ٤٣١٥

فقال له أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال، فأجابه عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. (٦٢٢)

أما ما ورد عن قتاله يوم أحد، فذكر الطبري أنه حين علت عالية من قريش الجبل، (قال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلنوا، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل). (٦٢٣)

فهذا هو عمر الذي ينسبون له الردة والانقلاب على عقبيه يوم أحد !
غير أن الأمانة العلمية تدعوني إلى ذكر رواية ذكرت في هذا الباب.

فعن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر ابن الخطاب وطلحة بن عبيد الله (٦٢٤) في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله (٦٢٥)، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ. (٦٢٦) لكن توقف هؤلاء الصحب هذه

(٦٢٢) أخرجه أحمد في المسند والحاكم في المستدرک

(٦٢٣) تاريخ الطبري ٦٨/٢

(٦٢٤) والحديث ضعيف لأمر متعلقة بالسند وبالمتن كذلك:

فأما التي في السند فإن ابن حميد: هو يعقوب بن حميد بن كاسب؛ ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه بعضهم، وأمره لا يخلو من الضعف.

وسلمة: هو ابن رجاء التميمي، وفيه ضعف أيضاً مقارب لسابقه.

والقاسم بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج لا يعرف وروايته هذه منقطعة.

وأما المتن فلأن من الثابت بأسانيد صحيحة عند السنة والشيعة أن طلحة بن عبيد الله كان ممن يدافع عن رسول الله ﷺ حين انهزم المسلمون وأن يده سُلت بسبب ذلك بينما تذكر هذه الرواية الضعيفة أنه ممن ألقى السلاح، فلو أن هذه الرواية صحت وخالفت غيرها من الروايات الصحيحة الثابتة لكفانا ذلك تضعيفاً لها، فكيف وإسنادها ضعيف؟

(٦٢٥) في هذا رد على من يريد الطعن في هؤلاء الصحابة ويدعي ردتهم، فإنهم بقوا على الإيمان وعلى شهادة أن محمداً رسول الله لكن صدمة الإشاعة جعلتهم يحتارون ماذا يفعلون، ولو كانوا مرتدين لما قالوا (قُتل محمد رسول الله!) وإنما (قُتل محمد) ولقالوا مثل ما قاله المنافقون (لنلحق بعبد الله بن أبي).

(٦٢٦) تاريخ الطبري ٦٦/٢

للحظات لا يعني أنهم لا يوقفوا إلى مواقف مشرفة في هذه الغزوة، ينصرون بها دين الله عز وجل.

فيظهر من هذه الرواية أنَّ قسماً من الصحابة فاجأته الصدمة فلم يعد يعرف ماذا يفعل فاكتاب وتوقف عن القتال مع إيمانه برسول الله وحسرتة على موته المفاجئ، فتوقف عن القتال حينها لكنه لم يرتد أو يلحق بعبد الله بن أبي سلول أو بجيش الكفار، وإنما كان أسير الصدمة الكبيرة.

فلعل عمر بن الخطاب وبعض الصحابة توقفوا حينها بعد سماعهم لنبا مقتل رسول الله، ثم لما حفزهم أنس بن النضر دب الحماس في نفوسهم إلى اللحاق برسول الله ﷺ في جنان الخلد فقاموا وقاتلوا من جديد.

وقسم بقي على الإيمان كمن سبقه ولكنه انسحب من القتال وهم عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) (٦٢٧)، وهؤلاء الصحابة قد تجاوز الله عنهم زلتهم في كتابه الكريم بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا أَسْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٥٥) (٦٢٨)، فبين الله أنه قد عفا عن جميع من تولى يوم أحد، فدخل فيهم من هو دون عثمان في الفضل والسابقة، فكيف بعثمان الذي قدم للإسلام الكثير؟

روى البخاري أنَّ رجلاً حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء، أتحدثني؟ قال: نعم، قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أعلم أنَّ عثمان بن عفان فز يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم

(٦٢٧) تاريخ الطبري ٦٩/٢

(٦٢٨) سورة آل عمران آية ١٥٥

يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكثير، قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه.

وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه).

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، اذهب بهذا الآن معك). (٦٢٩)

أما القسم الأخير فهم الذين ارتدوا على أعقابهم وهم بعض أصحاب الصخرة كما ذكر الطبري في تاريخه، قالوا: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي، فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم! (٦٣٠)

وهؤلاء هم الذين نزلت فيهم الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣١).

فأين هذه الحقائق ممن يمزجون الحق بالباطل فيجعلون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغالب أصحاب رسول الله من أهل الردة؟!

ولا يجعلون من الآية دليلاً على ردة هؤلاء في غزوة أحد فحسب بل على ردتهم بعد موت رسول الله في انتخابهم أبي بكر خليفة للمسلمين! أي إنصاف هذا؟ وأي ضمير يرتضي هذا التجني؟!

(٦٢٩) رواه البخاري والترمذي وأحمد

(٦٣٠) تاريخ الطبري ٦٨/٢

(٦٣١) سورة آل عمران آية ١٤٤

آية المائدة

وقد استدلل بعض المتطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرْدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِّمْ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّهُمْ أَذْلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٣٢﴾

المناقشة:

قلت: لو ترك المرء منا التعصب وتفكر في الآية فسيجد أنها في واد وهو في واد آخر!

إن طالباً في المرحلة الابتدائية لم يخض ما خاضه الكبار من التعصب للمذهب، ومن المكابرة أمام الحقائق، فإنه لو طلب منه قراءة الآية السابقة وشرح معناها فسيجيبنا بأن الآية ليس فيها بيان ردة أحد من الناس وإنما فيها التوعد لمن يرتد عن دينه.

لكن ماذا يفعل المتعصب إذا ما كانت الآية التي يستدلون بها على ردة الصحابة قد نزلت وأريد بها الأئمة الذين يدعون الانتساب إليهم وهم منهم ومن شتمهم وقذفهم لصحابة رسول الله براء.

روى ابن شهر آشوب في مناقبه والبحراني في تفسيره البرهان في تفسير القرآن نقلاً عن صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام) قوله (ليس في القرآن آية ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا في حقنا) (٦٣٣).

بعد هذا النص الجلي الذي يرويه الشيعة الاثنا عشرية أين يذهب التيجاني وعلماء الشيعة الاثني عشرية وقد ألزموا أنفسهم تفسيراً للآية يقتضي الإخبار بردة من نزلت فيه الآية، والنص يجزم بنزولها في الأئمة من أهل

(٦٣٢) سورة المائدة آية ٥٤

(٦٣٣) المناقب ص ٣ ح ٥٣ والبرهان ١/ ٣٥٩ سورة البقرة آية ١٥٣

البيت! هل يستطيعون القول بردة أهل البيت عياداً بالله؟! لسنا نرضى بهذا ولا هم يستطيعون ذلك!

لولا أن قوله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا يأتي إلا بخير لمن نودوا من ربهم بهذا النداء لما قال الإمام الرضا مقولته تلك ليجعل نفسه وأهل البيت مع من قيلت فيه هذه الآية، فستان بين فهم الرضا وأهل البيت وبين فهم التيجاني ومن معه!

بل ماذا تراهم يفعلون مع هذه الرواية؟

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ (ما أنزل الله عز وجل آية ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها. (٦٣٤)

والآية تقول ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، فهل كان الإمام علي أميراً لأهل الردة - عياداً بالله -؟!؟

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم!!

فإن أردت أن تستنطق الآيات الكريكات وأن تتلمس المعاني الجليلة التي تحكيها في صحابة رسول الله ﷺ فقف عند كل عبارة من عباراتها وتفكر.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾... إن الله عز وجل يحب صحابة نبيه وهم محبوبون له... قد شهد لهم بالرضوان فقال ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٦٣٥) وهم حيثذ ألوف يتخللهم الخلفاء الأربعة، ورضا الله عنهم يوجب محبته لهم.

﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .. ذاك هو المثال الحي لواقع صحابة رسول الله ... تراحمهم أكسبهم الانكسار والتذلل فيما بينهم وشدتهم على الكفار وفي أمر الله أكسبتهم العزة والظفر على الكفار والمشركين .. قد حُب إليهم الإيمان ومن حُب إليه الإيمان فقد أحبه الله، قال تعالى فيهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِغْصَاءَ﴾ .. وقال فيهم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ... هذه حقيقة لا يجادل فيها إلا قليل الإنصاف ... فهم الذين تركوا المال والولد وقاتلوا جنباً إلى جنب مع رسول الله ... قاتل الرجل منهم قومه وعشيرته ... منهم من قاتل أباه أو أخاه أو ابنه واسترخص دمه من أجل رفعة هذا الدين .. لا يخاف في ذلك لومة من لائم أو كلمة من عائب.

هذا دريهم وهذه طريقتهم ... جاهدوا مع الخليفة أبي بكر في دحر المرتدين وانتصروا عليهم واستشهد منهم من استشهد دفاعاً عن هذا الدين ثم بعد هذا كله يأتي من يتناسى أهل الردة ويوجه سهامه لهؤلاء الصحابة مدعياً أن الآية نزلت في ردتهم وانقلابهم على أعقابهم !

عجباً .. كل هذا التفاني وهذه الشهادات القرآنية أهدرت ومُحيت ؟! ... أترضى بهذا الضمائر والأفئدة الحية؟

لكن تبقى الشهادة التي لن يستطيع أحد التنصل منها ولا محوها ... شهادة الآية الكريمة بأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما يحيق بأهل الردة مكرهم السيء وتغشاهم الذلة.

هذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة أبي بكر وذو زعماء الردة (مسيلمة والعنسي وسجاح) وخبيثتهم.

وفيما يلي دلائل أخر أقوى دلالة وأظهر بياناً:

يقول محمد جواد مغنية في تفسير الآية ﴿يَنَاقِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ الارتداد هو الكفر بعد الإسلام وقال أهل السير والتاريخ: إن ثلاثة ارتدوا وادعوا النبوة على عهد رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا به. الأول: الأسود العنسي، تنبأ في اليمن وأخرج عمال رسول الله ﷺ منها ولكنه قُتل قبل وفاة النبي ﷺ بيوم واحد، الثاني: مسيلمة الكذاب ادعى النبوة وكتب إلى محمد ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإنني شريك معك في الأمر، والأرض بيننا مناصفة) وقتل في عهد أبي بكر، الثالث: طليحة بن خويلد، ادعى النبوة ثم عاد وأسلم. أما سجاح فقد ادعت النبوة في خلافة أبي بكر وتزوجها مسيلمة). (٦٣٥)

وبكلام أصرح يقول المؤرخ الشيعي سعد القمي في كتابه (المقالات والفرق): (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوة مسيلمة وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فقاتلهم وقتل من قُتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسقوا أهل الردة). (٦٣٦)

ويقول الإمام علي عن إمساكه عن بيعة الخليفة الراشد أبي بكر في بادئ الأمر ثم مبايعته لأبي بكر ومؤازرته له وللصحابة في دحر المرتدين (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة للناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل...) (٦٣٧)

ويقول: (فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره

(٦٣٥) تفسير الكاشف - محمد جواد مغنية ص - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة

١٩٨١

(٦٣٦) المقالات والفرق ص ٤

(٦٣٧) نهج البلاغة ص ٦٢

الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيستر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً). (٦٣٨)

ولذلك وجد السيد محمد كاشف آل الغطاء نفسه مضطراً للاعتراف بهذه الحقيقة فقال عن الإمام علي: (وحين رأى أنّ الخليفتين - أعني الخليفة الأول والثاني - بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا، بايع وسالم). (٦٣٩)

نشرا كلمة التوحيد وجهزا الجيوش في سبيل الله وفتحا الفتوح ثم يتهمان بأنهما رأسى الكفر والنفاق والردة ! فيالله وباللإنصاف !

إنّ علماء الشيعة الاثني عشرية عندما يذكرون هذه الآية ويعذونها من الدلائل البينات على ارتداد الصحابة يريدون بذلك أن يبينوا بأنّ القوم الذين يحبهم الله ويحبونه والأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين والذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم هم شيعة الأئمة؟!

لكن ما رأي الأئمة أنفسهم في شيعتهم، هل كانوا ينظرون إليهم بنفس نظرة علماء الشيعة الاثني عشرية اليوم؟

يقول الإمام علي بن أبي طالب في نهج البلاغة واصفاً جهاد شيعته (فيا عجباً! عجباً والله يميم القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حَقِّكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمى يُغار عليكم ولا تغيرون وتَغْزُونَ ولا تَغْزُونَ، ويُعْصَى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القَيْظ أمهلنا يسبخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَبَارَةُ القُر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا

(٦٣٨) الغارات للثقفى ٢/ ٣٠٥، ٣٠٧

(٦٣٩) أصل الشيعة الاثني عشرية وأصولها ص ١٢٣-١٢٤

رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندماً وأعقبت سدماً فأذلكم الله، لقد ملأتم قلبي قينحاً، وشحتتم صدري غيظاً وجرعتموني نُغب الثَّهَام أنفاساً، وأفسدتم على رأياً بالعصيان والخذلان^(٦٤٠)

ويقول في موضع آخر يصفهم (أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يُوهي الضَّمّ الصُّلاب وفعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتُم حَيِّدِي حَيَّاد... المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخبى ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أ وعد العدو بكم)^(٦٤١)

ويقول في موضع آخر (الدليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رُمي بأفق ناصل، وإنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات... أضرع الله خدودكم^(٦٤٢) وأتعنس جُدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كما يبطالكم الحق)^(٦٤٣)

ويقول في موضع آخر (استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهرأ فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا... ثم يقول: لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم)^(٦٤٤)، فأين هذا كله من القوم الذين ذكرتهم الآية الكريمة ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؟!

وهذا هو الإمام الحسن بن علي يصف شيعته بعد أن طعنوه وستموه مذل

(٦٤٠) نهج البلاغة ص ٨٨-٩١

(٦٤١) راجع نهج البلاغة ص ٩٤-٩٦

(٦٤٢) أي أذل الله وجوهكم

(٦٤٣) نهج البلاغة ص ١٤٣-١٤٤

(٦٤٤) المصنوع السابق ص ٢٢٤

المؤمنين (أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي، خير من أن يقتلونني فتضيع أهل بيتي وأهلي) (٦٤٥)!

ويقول أيضاً: (يا أهل العراق، إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي) (٦٤٦).

وهذا هو الإمام الحسين يوجه كلامه إلى الشيعة فيقول: (تبتاً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلماً على أوليائكم، وبدأ على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن) (٦٤٧).

وهذا هو الإمام الباقر يصف شيعة فيقول (لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحمق) (٦٤٨).

وأما الإمام موسى بن جعفر الكاظم فيكشف عن أهل الردة في رأيه فيقول (لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ولو امتحتهم لما وجدتهم إلا مرتدين !!! ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد !! ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي، إنهم طالما اتكأوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنما شيعة علي من صدق قوله فعله) (٦٤٩).

فإذا كانت هذه صفات شيعة الأئمة الأحد عشر فماذا عن شيعة القائم (المهدي المنتظر)؟

(٦٤٥) الإحتجاج للطبرسي ٢/ ٢٩٠

(٦٤٦) لقد شيعني الحسين هاشم ص ٢٨٣

(٦٤٧) المصدر السابق ٢/ ٣٠

(٦٤٨) رجال الكشي ص ١٧٩

(٦٤٩) الروضة من الكافي ٨/ ١٩١ تحت عنوان (إنما شيعة علي من صدق قوله فعله) رقم ٢٩٠

روى الطوسي في كتابه (الغيبة) عن عميرة بنت نفيل قالت: سمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضاً ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض، قلت: ما في ذلك خير، قال: الخير كله في ذلك، عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله (٦٥٠).

وتأتي الروايات الشيعية لتجعل من الذين لعنوا بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض وكفر بعضهم بعضاً جند الله الذين استبدل الله بهم صحابة رسول الله!

بدقائق وبمجرد خروج مهدي الشيعة الاثني عشرية (محمد بن الحسن العسكري) يتحول هؤلاء إلى أحباب وإلى مخلصين وإلى جنود أشداء (٦٥١).

هذا إن تناسينا الشكوك التي أحاطت بكثير من الشيعة الذين عاصروا وفاة الحسن العسكري في وجود ابن له.

فقد ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) وسعد القمي في كتابه (المقالات والفرق) تفرق الشيعة آنذاك وتكذيب أكثرهم لوجود هذا الابن باستثناء طائفة واحدة وهي الشيعة الاثنا عشرية.

ومن يستقري روايات الشيعة الاثني عشرية في محمد بن الحسن العسكري يدرك أن الشخصية أسطورية وليس لها نصيب من الواقع.

(٦٥٠) الغيبة للطوسي ص ٤٣٧

(٦٥١) المهدي عند أهل السنة اسمه محمد بن عبد الله وهو من عترة النبي صلوات الله وسلامه عليه والأحاديث التي ذكرت في حاله تختلف عن تلك التي ذكرها الشيعة الاثنا عشرية في حال مهديهم (محمد بن الحسن العسكري)، ومن يستقري الأحاديث المذكورة في المهدي محمد بن عبد الله يجد أن الأمة الإسلامية ستوحد على يديه لا أن خروجه في الناس سيغير نفوس الناس ويجعل من غير المخلص مخلصاً ومن المرتد مؤمناً.

حديث المذاذة عن الحوض

ولعل من أبرز ما استدل به الشيعة الاثنا عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم حديث المذاذة عن الحوض والذي روي بأكثر من لفظ عند السنة والشيعة الاثني عشرية.

من هذه الروايات قول رسول الله ﷺ (يرد علي رجال أعرفهم ويعرفونني فيزادون عن الحوض، فأقول أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) (٦٥٢)

المناقشة:

قد تبين لك أيها القارئ من خلال حديثنا عن قوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ أَنَّ رسول الله ﷺ قد أغمض عينيه عن رجال من أصحابه كانوا على الإيمان فزلزل الله عز وجل من في قلبه مرض فارتد عن الإسلام واتبع مسيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد والأسود العنسي وسجاح، وقد أثبتنا ذلك من كتب السنة والشيعة الاثني عشرية ومن استنتاجات العقل.

وهذا الحديث يشير بكل وضوح إلى هؤلاء النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهم على الإيمان فانقلبوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فسلب الله عليهم جند الإيمان الأذلة على المؤمنين، الأعزة على الكافرين، فمات من هؤلاء المرتدين من مات ليلقى رسول الله ﷺ فيزاد به عن الحوض ورجع إلى الإيمان من رجع (والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

لكن ماذا يريد علماء الشيعة الاثني عشرية من إثارة هذا الحديث أمام البسطاء من الناس.

لعلك أدركت أيها القارئ أن علماء الشيعة الاثني عشرية أرادوا الطعن في كبار صحابة رسول الله (أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة والزبير وطلحة وغيرهم) والحديث بالنسبة لهم صيد ثمين، إذ يُمكن لهم أن يجعلوا هؤلاء الصحب ممن أحدثوا بعد رسول الله فيستحقوا البوار والخسران يوم القيامة، هكذا بكل سهولة !

ولذا تجد أن علماء الشيعة الاثني عشرية قد اجتهدوا في عدّ وحصر ما يرونه إحداثاً في دين الله من قبل هؤلاء الصحب وألقوا في ذلك المصنفات لإقناع الناس بصحة ما يدعونه في صحابة رسول الله، لكن ماذا يفعل هؤلاء الحماسيون لو أن حماسهم ورغبتهم في التشفي من أصحاب رسول الله قابله حماس آخر من إياضي أو ناصبي حاقد على الإمام علي ففعل مع الإمام علي ما يفعله هؤلاء مع باقي الصحابة؟

فالظلم والبهتان لا يُعرف له صاحب، ولا يظن أحد أن الظلم يقع على أناس دون آخرين، وأن سهامه التي يوجهها لصحابه رسول الله ستصيب قوماً ونسبتي آخرين.

فالحديث عام لا يستثني عمار بن ياسر ولا المقداد بن الأسود ولا أبا ذر وسلمان الفارسي ممن يجلبهم الشيعة الاثنا عشرية بل لا يستثني الحديث علياً نفسه !

وكل من في قلبه غل على صحابي يستطيع وفقاً لميزانه الأعوج أن يجعله ممن انقلبوا على أعقابهم !

ولتقرأ معي ما سيقوله الناصبي الحاقد بتمعن وإنصاف لترى كيف يُمكن للنظرية الشيعية أن تنسف نفسها بنفسها!

على أنني منذ البداية أبرأ إلى الله من الطعن في الإمام علي صراحة أو ضمناً، فالإمام علي صحابي جليل له مكانته ومقامه ولا نرتضي فيه طعناً أو انتقاصاً كما لا نرتضي ذلك في باقي الصحابة.

لكن أريدك أن تقرأ وتستشعر معي ظلم الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة، وتلمس كيف يُمكن أن ينقلب هذا الظلم ظلاماً

لعلي بن أبي طالب كذلك حينما تكون الكلمة للناصبي والعدو المستهدف هو علي بن أبي طالب.

يقول الناصبي: لقد رأيت في علي بن أبي طالب مثلاً للإحداث بعد رسول الله.

فقد قيل لرسول الله ﷺ (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وقد ترك علي بن أبي طالب الإمامة وهي أعظم أركان الدين والتي وردت فيها روايات شيعية كثيرة في بيان منزلتها وكونها أصلاً للدين لا يقوم إلا به.

وتخلى عن الزهراء عليها السلام يوم أن ضربت وضُبت عليها المصاب!

ولم يقدم تجاه قضية فدك المغصوبة أي شيء فلم يتتصر لبنت رسول الله !

وحكم الرجال في كتاب الله وكل من شارك في التحكيم كافر (علي وأبو موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص) (٦٥٣).

وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث (فأقول: يا رب مني ومن أمتي؟ فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك).

فالرسول عليه الصلاة والسلام قال (مني ومن أمتي) ويدل ذلك على أن هذا الشخص من رسول الله والرسول منه، وقد قال رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب (علي مني وأنا من علي).

وقال عن المبدلين من بعده (أمراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم، فصذقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه)،

(٦٥٣) هذه الاطروحة هي اطروحة الخوارج فلعل المتكلم مثلاً خارجياً ناصبياً وليس ناصبياً فحسب.

وقد غشي علي بن أبي طالب الظلمة أبا بكر وعمر وعثمان^(٦٥٤) وكان مستشاراً ووزيراً لهم كما تشهد بذلك كتب الشيعة الاثني عشرية من أولها إلى آخرها.

وقد توعدده الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث بسحب المنزلة التي أعطيت له بقوله (فليس مني ولست منه) . . لأن رسول الله ﷺ ما كان يعلم بما سيحدثه من بعده من الركون للظلمة وحب الدنيا والأعطيات والامتيازات.

وقوله عليه الصلاة والسلام (إذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان، فأقول أما النسب فقد عرفته ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقري).

والرجل الذي أتى رسول الله لم يقل له (أنا فلان بن فلان) لتعريف النبي عليه الصلاة والسلام به، لأن الرسول ﷺ قد صرح بالحديث ذاته عن الذين يأتونه (أعرفهم ويعرفوني) لكن الرجل أراد الإشارة إلى نسبه وقربه من رسول الله ﷺ ظناً أن ذلك سيشفع له فيجيبه الرسول بقوله (أما النسب فقد عرفته) أي أن النسب والقرابة لها مقامها لكن ليس مع الأحداث من بعدي، وهذا ما حصل حين تركت ابنتي تضرب ولم تفعل شيئاً وحين فعلت كذا وكذا.

ويقول الناصبي: وما يؤكد أن ذاك الرجل هو علي بن أبي طالب هو صدر حديث المذاكرة عن الحوض حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام (ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا يشفع يوم القيامة، بلى، والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض فإذا جئتم قال الرجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقري)^(٦٥٥)

(٦٥٤) وفقاً لرؤية الشيعة الاثني عشرية
(٦٥٥) بحار الأنوار ٢٣٩/٧ نقلاً عن أمالي الطوسي

فالرجل قد جاء متصوراً أنَّ رحمه وقربته ونسبه سيسفعان له إحداثه وتبديله لدين المصطفى، فيقرر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الرواية الشيعية أنَّ القرابة شافعة لكنها لن تنفع من أحدث وارتد على عقبيه.

ومما يؤكد أنَّ المراد هنا علي بن أبي طالب هو ما ورد في كتب الشيعة الاثني عشرية من أحاديث كثيرة تفيد أنَّ الناس يُدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم^(٦٥٦)، لكن الرجل الذي أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام هو من رحم رسول الله وقد أخبر الرسول الكريم بكل صراحة أنَّ هذا الرجل سيقول (أنا فلان بن فلان) لا (فلان بن فلانة).

فإن حاولت الدفاع عن علي بن أبي طالب واستشهدت بحديث لعمار أو موقف له أو لغيره فأخبرك منذ البداية أنهم ممن انقلب على عقبيه مع علي بن أبي طالب والحديث يشملهم، فارتضاءهم له وتركيتهم له وقبولهم لتحكيم الرجال كاف لاستحقاقهم المصير ذاته، فإن قلت: وأين الأحاديث التي وردت في فضل علي وعمار وفلان وفلان أجبتك بأنَّ فضائل أبي بكر وعمر وفلان وفلان لم تشفع لهم عندكم بل قلتم بانقلابهم على أعقابهم وشككتهم بتلك الفضائل، وكذلك الحال في علي بن أبي طالب ولا فرق!

أقول مخاطباً أرباب الضمائر الحية: هكذا تنسف النظرية الشيعية نفسها بنفسها .. ولن يستطيع الرد على هذا الناصبي الحاقداً إلا أهل السنة، الذين عرفوا لصحابة رسول الله حقهم وفضائلهم وأدركوا أبعاد أحداث الفتنة

(٦٥٦) روى الأربلي في كتابه كشف الغمة ١/١٤٢ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي (عليه السلام) ألا أبشرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق منها شيعة، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأمهاتهم إلا شيعةك فإنهم يدعون بأبائهم لطيب مولدهم.

وفي كتاب صفات الشيعة ص ١٦ عن محمد بن يحيى بن سدير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) إذا كان يوم القيامة دعي الخلائق بأمهاتهم ما خلانا وشيعتنا فإننا لا سفاح بيننا.

وأَسبابها، وقالوا للناصبي وللشيوعي الإمامي: على رسلكما . . . إنَّ الذين أحدثوا بعد رسول الله ﷺ فئة ارتدت عن الإسلام . . . قاتلها أبو بكر وعلي والصحابة . . . فلقي حتفه من تلك الفئة من لقي وهو على الكفر، ليُزاد يوم القيامة عن الحوض والرسول عليه الصلاة والسلام يقول (أصحابي أصحابي) والملائكة تجيبه (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

ما أجمل الإنصاف وأندره . . . وما أجمل أن يدرك المرء المعاني الجليلة التي يذكرها هذا الحديث . . . لكن ماذا تفعل مع التعصب وأهله.

حب الإمام علي وأبنائه للصحابة

بين ركام هائل من الروايات الشيعية الشائمة لصحابة رسول الله، والأدعية اللاعنة لهم، تبقى حقيقة لن تخفيها تلك المرويات، حقيقة الحب الذي يكنه علي بن أبي طالب لأصحاب رسول الله ﷺ، تلك الذكريات وتلك المشاهد العظيمة التي شاركهم فيها جنباً إلى جنب، وبقيت في ذاكرته وأمام عينيه لحظة بلحظة وحادثة بحدثة، على عكس الأطروحة الشيعية التي لا تظهر علاقته بهم وبالأخص الخلفاء الثلاثة إلا بمظهر البغضاء والتنافر ولا تصوره إلا بصورة الحاقد الصامت الذي لا يتعامل معهم بحضرتهم إلا بتقية وحذر ولا يتحدث عنهم من ورائهم إلا بسوء ولعن وكلام يُنبئ عن رغبة في الانتقام !

الصورة الحقيقية الناصعة البيضاء تبقى وما سواها يطيش، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية (نهج البلاغة)، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده !

ولندع علي بن أبي طالب بنفسه يصور لنا صحابة رسول الله كما رآهم وعانهم، إذ يقول: (لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يמיד الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب) (٦٥٧)

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الداهيون، فحق لنا أن نظماً إليهم، ونعَضُ الأيدي على فراقهم) (٦٥٨)

ما أجمل وأعظم هذه الكلمات أين الذين يدعون اتباعك أيها الامام العظيم من هذه التصريحات الهامة !؟

نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب!

قد يبدو غريباً أن يحتوي نهج البلاغة على مدح عمر بن الخطاب لكنها الحقيقة التي لم يستطع إغفالها حتى الشريف الرضي مؤلف كتاب (نهج البلاغة). هذه النصوص الجلية الواضحة في أبرز وأشهر كتاب للشيعنة تُعدّ إدانة صريحة للعقيدة التي خالفت المنقول والمعقول في تبنيها الغلو في الأئمة وفي قدحها في صحابة رسول الله.

ماذا يُمكن أن يقول المنصف الذي يقبل الحقيقة حيثما كانت ويُسلم لها ولا يقبل أن يكون ممن قال الله فيهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ (٦٥٩) ؟

هذا علي بن أبي طالب يخاطب عمر بن الخطاب بعد أن استشاره في

غزو الروم فيقول: (إنك متى سرت إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتتكب، لا تكن للمسلمين كافئة^(٦٦٠) دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء^(٦٦١) والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تُحب، وإن تكن الأخرى، كنت رداً^(٦٦٢) للناس ومثابة^(٦٦٣) للمسلمين). (٦٦٤)

ويخاطب عمر قائلاً: (فكن قطباً، واستدر الرحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخضت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك).

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك). (٦٦٥) ويمدحه بعد موته قائلاً: (لله بلاء فلان^(٦٦٦)، فلقد قوم الأود^(٦٦٧)، وداوى العمد^(٦٦٨)، وأقام السنة، وخلف الفتنة^(٦٦٩)! ذهب نقي الثوب، وقليل العيب. أصاب خيرها، وسبق شرها. أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي). (٦٧٠)

(٦٦٠) عاصمة يلجؤون إليها

(٦٦١) أهل المهارة في الحرب، والبلاء: هو الإجادة في العمل وإحسانه.

(٦٦٢) الردء بالكسر هو الملجأ

(٦٦٣) المثابة: المرجع

(٦٦٤) نهج البلاغة خطبة رقم ١٣٤ (ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم).

(٦٦٥) نهج البلاغة ص ٢٠٣ خطبة ١٤٦ (ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه)

(٦٦٦) أي لله ما فعل من الخير

(٦٦٧) قوم الاعوجاج

(٦٦٨) العمد - بالتحريك -: العلة

(٦٦٩) أي تركها خلفه، لا هو أدركها ولا هي أدركته

(٦٧٠) نهج البلاغة ص ٣٥٠ خطبة رقم ٢٢٨

يقول ابن أبي الحديد تعليقاً على هذا النص في شرحه لنهج البلاغة: (ويروى (لله بلاء فلان) أي: لله ما صنع، وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر، حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الأودي الشاعر، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي، فقال لي: هو عمر، فقلت له: أئني عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الثناء، قال: نعم، أما الإمامية فيقولون إن ذلك من التقية واستصلاح أصحابه !!!، وأما الصالحيون من الزيدية فيقولون إنه أئني عليه حق الثناء ولم يضع المدح إلا في موضعه ونصابه، وأما الجارودية من الزيدية فيقولون إنه كلام قاله في أمر عثمان أخرجه مخرج الذم له والتقص لأعماله كما يمدح الآن الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده فيكون ذلك تعريضاً به !!!، فقلت له: إلا أنه لا يجوز التعريض والاستزادة المحاضر بمدح الماضي إلا إذا كان ذلك المدح صدقاً لا يخالطه ريب ولا شبهة، فإذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب وأنه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه فهذا غاية ما يكون من المدح، وفيه إبطال قول من طعن في عثمان بن عفان، لم يجنبني بشيء، وقال هو بما قلت لك !

فأما الراوندي فإنه قال في الشرح إنه (عليه السلام) مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وإن الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله (ﷺ) من الاختيار والأثرة، وهذا بعيد لأن لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهراً بأنه يمدح والياً ذا رعية وسيرة، ألا تراه كيف يقول (فلقد قوم الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة) وكيف يقول (أصاب خيرها وسبق شرها) وكيف يقول (أدى إلى الله طاعته) وكيف يقول (رحل وتركهم في طرق متشعبة)) (٦٧١)

وقد أئني على عمر أيضاً فقال: (ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجراحه)

يقول ابن أبي الحديد: (الجران مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب). (٦٧٢)

وليس أدل على هذه العلاقة الطيبة المتينة بين عمر وعلي من تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب كما اعترفت بذلك كتب ومصادر الشيعة الاثني عشرية. (٦٧٣)

مالك الأشتر والشيخان أبو بكر وعمر

وهذا مالك الأشتر النخعي صاحب علي بن أبي طالب المقرب كما تستطر كتب التاريخ، يثني على الشيخين أبي بكر وعمر ثناء عطرأ، ورغم أن لمالك الأشتر مكانة عظيمة عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية إلا أن قولاً كهذا في أبي بكر وعمر لا يكاد يذكر في المجالس الحسينية التي لا تخلو عادة من الطعن في الشيخين والحديث عن الخلافة المغتصبة ! كحال بعض أسماء شهداء كربلاء من آل علي وآل الحسين الذين حملوا أسماء أبي بكر وعمر اللذين تهمهما الشيعة الاثنا عشرية بأنهما عدوا أهل البيت !

يقول الأشتر: (أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد ﷺ فجمع كلمتها وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه. ثم ولي من بعد قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات) (٦٧٤)

(٦٧٢) المصدر نفسه ٢٠/٢١٨

(٦٧٣) إن هذا الزواج يبطل الروايات المكنوية والتي تحكي أن عمر بن الخطاب ضرب فاطمة برجله حتى سقط جنينها !! هب أن رجلاً ضرب زوجته وتسبب في قتل ولدك، هل تزوجه من ابنتك!! وهل ترضى أن يكون صهرك!! بل وتسمي أحد أبناءك باسمه!! للاطلاع على هذه الحقيقة التاريخية يمكنك مراجعة كتاب (زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - حقيقة لا افتراء) لأبي معاذ الاسماعيلي.

(٦٧٤) مالك الأشتر - خطبه وآراءه / تحقيق قيس المطار ص ٨٥، الفتوح لابن قثم الشيعي ج ١

ويقول أيضاً في خطبة أخرى: (أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى بعث فيكم رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وأنزل عليه الكتاب فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه. ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته واستن بسنته، واستخلف أبو بكر عمر فاستن بمثل تلك السنة) (٦٧٥)

موقف الإمام علي بن الحسين من الصحابة

أما الإمام علي بن الحسين فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه فيقول: (فأذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يشتم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين وموازين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم). (٦٧٦)

(٦٧٥) مالك الأشتر - خطبه وآراءه ص ٨٩ والفتوح لابن قنم ج ١ ص ٣٩٦

(٦٧٦) صحيفة كاملة لزين العابدين ص ١٣

موقف الإمام جعفر الصادق من أصحابه

روى المجلسي في بحار الأنوار عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة وألفان من الطلقاء، ولم يكن فيهم قدي ولا مرجي ولا حروري (خوارج) ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يكون الليل والنهار، ويقولون: (اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير) (٦٧٧)

وهذا الكلام في صحابة رسول الله ﷺ هو عين التزكية القرآنية التي جاءت لتمدح صحابة رسول الله ﷺ وتبشرهم برضا الله عليهم وبجنان الخلد، لكن أين هذا كله من روايات الشيعة الاثني عشرية التي قالت بارتداد صحابة رسول الله ﷺ إلا بضعة رجال لا يتجاوزن عدد أصابع اليدين العشرة!

من هو جد جعفر الصادق؟

إنه أبو بكر الصديق... حقيقة أشبه بالخيال، هل يمكن أن يكون الرجل الذي تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ليل نهار هو جد أحد أئمتها؟ وهل يُعقل أن يفخر هذا الإمام الذي تعتقد الشيعة الاثنا عشرية فيه العصمة بمن تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ويكن له كل التقدير والوفاء؟! أمر غريب بالفعل!

لقد كان جعفر الصادق يفخر قائلاً (لقد ولدني أبو بكر مرتين) (٦٧٨) وذلك لأن نسبه ينتهي إلى أبي بكر من طريقين:
الأول: عن طريق والدته أم فروة (قريبة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٦٧٧) كتاب الخصال للقمي ص ٦٤٠ حديث رقم ١٥ (كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألف رجل) باب (ما بعد الألف)، بحار الأنوار ٢٢/٣٠٥
(٦٧٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ٢/٣٧٤

الثاني: عن طريق جدته أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (هي أم فروة قريبة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر^(٦٧٩)).

ولم يكن أبو عبد الله ليفتخر بأبي بكر إلا لشرف هذا النسب وشرف الانتساب لرجل يإيمان أبي بكر وفي عطائه للإسلام والذب عن دين الله. وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

بمولد بنت القاسم بن محمد وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم
يقول العلامة الشيعي محمد صالح الحائري المازندراني^(٦٨٠) في رسالته (منهاج عملي للتقريب): (إنَّ الإمام جعفر بن محمد الصادق وولده المعصومين من ولد إمامهم الأعظم أبي بكر الصديق من قبل أمه، فإنَّ أمه أم فروة بنت القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهي بنت عم القاسم المذكور، فالإمام محمد بن علي الباقر صهر الصديق علي ابنة حفيده القاسم، وكان يقول جعفر بن محمد (ولدي أبو بكر مرتين) يعني بهما محمداً والقاسم)^(٦٨١).

لكن هذا الحفيد الذي تتناقل كتب الشيعة الاثني عشرية افتخاره بجده أبي بكر هي ذاتها التي تتناقل سب وشم جد إمامها وتتفاخر بلعنه ! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

شهداء مع الحسين في كربلاء مجهولون عند عامة الشيعة

ربما يتفاجأ كثير من عامة الشيعة اليوم عندما يطلعون على حقيقة ظلت مخفية عنهم لزمان طويل، لم تخطر لهم على بال، بل هي عند الأكثرين من الاستحالة بمكان ما دامت مرتبطة بمحبة أبي بكر وعمر.

(٦٧٩) نفس المصدر

(٦٨٠) من كبار علماء (سمنان) بليران

(٦٨١) مسألة التقريب بين المذاهب لعبد الله العلايلي.

فعادة ما يظهر علماء الشيعة الاثني عشرية علاقة أهل البيت بكبار صحابة رسول الله (أبي بكر وعمر) وغيرهم من الصحابة بمظهر البغض المتبادل لكننا أمام دليل ملموس على نوع خاص من المعزة والتقدير، يعتبر فيها أهل البيت عن جبههم وإجلالهم لأصحاب رسول الله حين يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء ارتبطت ذهنياً عند الشيعة الاثني عشرية بالنفاق والكفر والانقلاب على الأعقاب.

فقد سقى الإمام علي ابناً له من ليلى بنت مسعود بن خالد التميمية باسم (أبي بكر) (٦٨٢).

وسقى الإمام الحسن ابنه أبا بكر (٦٨٣)، وذكر الطبرسي ابناً آخر له أسماه الإمام الحسن باسم (عمر). (٦٨٤)

أما الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) فقد سقى أحد أبنائه باسم (عمر) (٦٨٥).

كل ذلك تبركاً وتيمناً بصاحبي رسول الله ﷺ (أبي بكر وعمر).

وقد سقى الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) إحدى بناته (عائشة) (٦٨٦)، وذكر الأربلي في كشف الغمة أنّ من أبناء هذا الإمام الجليل (عمر) (٦٨٧).

وقد اتسقى الإمام علي بن موسى (الرضا) بأبيه الكاظم فسقى ابنته بـ (عائشة). (٦٨٨).

(٦٨٢) مقاتل الطالبين ص ٩١

(٦٨٣) كشف الغمة ٢/ ١٩٨ وإعلام الوري ١/ ٢١٣

(٦٨٤) إعلام الوري ١/ ٢١٣

(٦٨٥) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ٢/ ٥٩ وكشف الغمة ٢/ ٣٠٢ والإرشاد للمفيد

ص ٢٦١ وإعلام الوري ١/ ٢٦٢

(٦٨٦) الإرشاد ص ٣٠٢

(٦٨٧) كشف الغمة ٣/ ٣١

(٦٨٨) كشف الغمة ٣/ ٦٠

وكذلك فعل الإمام علي بن محمد (الهادي) فسَمَّى ابنته عائشة (٦٨٩).
كل هذه الحقائق مذكورة ومسطرة في كتب الشيعة.

إنَّ كل ذلك يؤكد أنَّ الشيعة الاثني عشرية لا يقفون من الصحابة موقف
أهل البيت من الصحابة، وإلا فهل من الشيعة الاثني عشرية من يرضى أن
يُسمي ولده أبا بكر أو عائشة ما دام أهل البيت فعلوا ذلك؟ أم أنَّ هذا خطأ آخر
ارتكبه الأئمة يُضاف إلى جانب خطئهم في مبايعة أبي بكر وعمر وتنازل
الحسن عن الخلافة !!!

إننا بهذا نضع (حب الشيعة الاثني عشرية لأهل البيت) تحت الاختبار
والمحك: فهل يقتدي الشيعة الاثنا عشرية بأهل البيت في تسمية أبنائهم
بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة كما فعل أهل البيت حسبما تروي كتب
الشيعة الاثني عشرية أنفسهم؟ فإن لم يفعل الشيعة الاثنا عشرية ذلك كان حيبهم
لأهل البيت ضرباً من الادعاء وما أسهل الدعاوى.

شهادة النبي لأبي بكر وعمر بالإيمان

بعد الذي رأيته في كتب الشيعة الإثني عشرية من اللعن والشتائم لأصحاب رسول الله ولأبي بكر وعمر على وجه الخصوص لم أتصور أنه ستقع عيناى على رواية شيعية عن رسول الله تشهد لأبي بكر وعمر بالإيمان. لكن شاء علماء الشيعة أمراً وشاء الله عز وجل خلافه.

روى المجلسي نقلاً عن المفيد في المجالس عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: يا ليتني قد لقيت إخواني، فقال له أبو بكر وعمر: أولسنا إخوانك آمناء بك وهاجرنا معك؟ قال: قد آمتم بي وهاجرتم، وبأليتني قد لقيت إخواني، فأعادا القول، فقال رسول الله ﷺ: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين يأتون من بعدكم يؤمنون بي ويحبوني وينصرونى ويصدقونى وما رأونى، فيا ليتني قد لقيت إخواني. (٦٩٠)

فأين هذه الرواية ممن يشكك حتى في إسلامهم في عهد رسول الله ﷺ ويعذهم من زمرة المنافقين؟! ثم هل يستحق أن يكون أخاً لرسول الله ﷺ من يسب ويشتم ويلعن أصحابه ومن آمن به ومن هاجر معه؟!

حب رسول الله ﷺ لعثمان

حين ينسى علماء ورواة الشيعة الإثني عشرية الإمامة قليلاً وينسون الرغبة بالتشفي في أصحاب وأصحاب رسول الله تظهر على السطح حقائق لم يكن لها أن تطفو أو أن ترى النور.

بيعة الرضوان ... تلك البيعة التي بايع بها رسول الله ﷺ أصحابه على القتال واضعاً يده الشريفة على يده الأخرى قائلاً (هذه لعثمان) بعد أن جاءه النبأ بمقتل عثمان.

وقد كنت أظن أنّ حديثاً كهذا رغم شهرته وصحته لا يمكن أن يُروى عند الشيعة الاثني عشرية الذين أشبعوا عثمان سباً ولعناً وطعناً حتى لا تكاد تتصور أنهم يذكرون فيه خيراً.

لكن حديثاً شيعياً مزّبي أثناء القراءة من شأنه أن يغير نظرة الشيعي المنصف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن يبين قيمة عثمان ومكانته عند رسول الله وفي الإسلام بشكل عام.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة فلما انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا ولبسوا السلاح وكان رسول الله ﷺ أراد أن يعث عمر، فقال: يا رسول الله إنّ عشيرتي قليل وإنّي فيهم على ما تعلم ولكني أدلك على عثمان بن عفان، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، فقال: انطلق إلى قومك من المؤمنين فيشرهم بما وعدني ربي من فتح مكة، فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخر عن السرح، فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين، وباع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان، قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ، فقال رسول الله ﷺ: ما كان ليفعل، فلما جاء عثمان، قال له رسول الله ﷺ أظفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به (٦٩١)

باع رسول الله ﷺ المسلمين من أجل عثمان وضرب بإحدى يديه الشريفتين على الأخرى لعثمان ثم ترى ثقته بعثمان جليلة وهو يرد على المسلمين قائلاً (ما كان ليفعل) .. في هذا كله الدليل الساطع والبرهان القاطع على حب رسول الله ﷺ لعثمان وثقته به.

وانظر إلى فعل عثمان بن عفان وهو يقول: (ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به) .. ما أعظم إكباره لرسول الله.

(٦٩١) الكافي (الروضة) حديث رقم ٥٠٣، قال المجلسي: حديث حسن (مرآة العقول ٢٦/

صحابه رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها

عندما كنت أتصفح كتب الشيعة الاثني عشرية وهي ترمي صحابة رسول الله مرة بالانقلاب على أعقابهم ومرة بالتآمر على الإمام علي والسعي إلى إزهاق روح الدين، كان يُخيل لي بأنني أتصفح سير عتاة مكة وكفارها أمثال أبي جهل أو أبي لهب أو غيرهما ممن حارب الإسلام كذلك الفئة التي اجتمعت يوم الخندق لتقضي على دعوة الإسلام ولكن عيني ترى شيئاً آخر، إن هذه الفئة الملعونة الظالمة الجارية وراء مصالحها كما تذكر ذلك كتب الشيعة الاثني عشرية ليست إلا الفئة التي قاتلت مع رسول الله في بدر وأحد والخندق وغيرها والتي صبرت وجاهدت وتركزت الأهل والولد في سبيل رفعة هذا الدين!!!

وما أنقله هنا ما هو إلا نموذج بسيط لما يُقال في صحابة رسول الله ﷺ:

يصفهم التيجاني^(٦٩٢) بقوله: (الصحابة أغضبوا رسول الله تاهوا وتطاولوا عليه) (لم يُراعوا حقه ولم يعرفوا له احتراماً) (معاندون مجادلون) (خالفوا أمر ربهم)^(٦٩٣)، (أنزلوا أنفسهم منزلة) (ليسوا جديرين بأي احترام) (استأجروا ضعفاء العقول ليرووا لهم الأحاديث الموضوعة في فضائلهم)^(٦٩٤)، (انقلبوا على أعقابهم، لا يستحقون ثواب الله ولا غفرانه) (تناقلوا عن الجهاد وركنوا إلى الدنيا)^(٦٩٥) (ارتدوا على أدبارهم، بدّلوا وغيروا وقالوا سمعنا وعصينا)^(٦٩٦).

ويصفهم النوري الطبرسي فيقول: (الذين آمنوا بألستهم ليحققوا دماءهم وهم بين جاهل غبي ومعاند غوي، ولاه عن الدين وتاه في شيع الأولين، وصارف

(٦٩٢) هذه الكلمات في وصف الصحابة كانت متفرقة في كتابه (ثم اهتديت) اعتيت بجمعها لبيان رأيه في صحابة رسول الله

(٦٩٣) التيجاني في كتابه (ثم اهتديت) ص ٨٨-٨٩

(٦٩٤) ثم اهتديت ص ٩٢-٩٣

(٦٩٥) ثم اهتديت ص ٩٦ و ١٠٠-١٠١

(٦٩٦) ثم اهتديت ص ١٠٤-١٠٧

همته في ترويج كفره، وجبار يخاف من مخالفة نهيه وأمره وليس فيهم من يُرجى خيره ويؤمن شره، لا يكاد يُشك أنهم أخس قدراً وأعجز تدبيراً وأضل سبيلاً وأخسر عملاً وأجهل مقاماً وأشر مكاناً وأسفه رأياً وأشقى فطرة^(٦٩٧).

ويصفهم الخميني قائد الثورة الإيرانية والنائب السابق للإمام الغائب في كتابه كشف الأسرار ما ترجمته: (أولئك الصحابة الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله التي تدل على خلافة الإمام علي بلا فصل، وعلى إمامة الأئمة، وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين)^(٦٩٨).

ويقول عنهم يوسف البحراني: (غير خفي - على ذوي العقول من أهل الإيمان وطالبي الحق من ذوي الأذهان - ما بُلي به هذا الدين من أولئك المردة المعاندين بعد موت سيد المرسلين، وغضب الخلافة من وصيه أمير المؤمنين، وتوائب أولئك الكفرة عليه، وقصدهم بأنواع الأذى والضرر إليه).^(٦٩٩)

ويقول كلاماً آخر أقبح من سابقه: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن أهل العصمة عليهم السلام بارتداد الصحابة بعد رحلته ﷺ من بين أظهرهم، وهو مصداق قوله سبحانه ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٧٠٠)، ومن المعلوم أنه ليس منشأ ذلك الارتداد إلا العكوف على عجل السامري، ونقض بيعة الوصي).^(٧٠١)

ويقول مرتضى محمد الحسيني النجفي: (إن الرسول ابتلي بأصحاب قد ارتدوا من بعده عن الدين إلا القليل).^(٧٠٢)

(٦٩٧) التوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب ص ٤٧ الباب الأول (الدليل الثاني)

(٦٩٨) كشف الأسرار ص ١١٤ الترجمة القديمة

(٦٩٩) الحقائق الناضرة ١ / ٥-٤

(٧٠٠) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٧٠١) الشهاب الثاقب في معنى الناصب ص ٢٠٢

(٧٠٢) السبعة من السلف ص ٧

ويقول نعمة الله الجزائري: (فإن أغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلما انتقل إلى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيته ورجعوا القهقري، ولذا قال ﷺ (ارتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ) إلا أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد وعقار) وهذا مما لا إشكال فيه (٧٠٣) !

هذه هي الصورة التي يعرفها هؤلاء عن صحابة رسول الله، وقرآن المسلمين يعرف حقيقة أخرى ويجهر بها ليصك بها أسماعهم !

صورتان متضادتان

لا يحتاج المسلم التالي لكتاب الله الكريم أن يتجشم عناء دراسة علم التفسير حتى يستشعر التفاوت الكبير بل التضاد بين رؤية القرآن الكريم للصحابة وبين رؤية الشيعة الاثني عشرية لهم، بين الآيات التي تبشرهم بالجنان ويرضا الله عنهم وبين روايات الطعن فيهم واللعن لهم عند الشيعة الاثني عشرية، ترى هل كان رب العزة والجلال الذي مدحهم في القرآن يجهل من هم الصحابة وما سيفعلونه قبل مماتهم؟! كلا والله وحاشاه سبحانه عن هذا الإفك، إذا كيف يمدحهم ويثني عليهم ويبشرهم بمغفرته ورضوانه وجنانه وهم مرتدون منقلبون على أعقابهم لم ينج منهم إلا القليل!!

هنا يكمن السؤال . . . لكن استعراضاً سريعاً لبعض النصوص القرآنية يكفي لإدراك مدى تفاوت النظرتين:

١- القرآن يترضى عن الصحابة والشيعة الاثنا عشرية تلعنهم !!!

قال سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٠٤)

(٧٠٣) الأنوار النعمانية ص ٨١ (نور مرتضوي)

(٧٠٤) سورة التوبة آية ١٠٠

فآلآية صريحة الدلالة على رضا الله سبحانه وتعالى عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم والخلود في جنات النعيم.

فأي عاقل يلعن من يترضى الله عنهم !!؟، وأي لسان يستطيع أن يشتم ويسب من امتدحهم الله عز وجل !!؟ وأي ضمير يستطيع أن يقول بردتهم وقد وعدهم الله الذي لا يخلف الميعاد أنهم سيغادرون الدنيا إلى جنات تجري تحتها الأنهار وأنهم خالدون فيها أبداً وأنهم من الفائزين !!؟

وقال سبحانه ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٧٠٥)

فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة (٧٠٦).

وممن بايع تحت الشجرة كما هو معروف الخلفاء الراشدون وجميع من ينعتهم الشيعة الاثنا عشرية بالانقلاب على أعقابهم والردة من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا متفق عليه عند السنة والشيعة الإثني عشرية.

فهل علم الشيعة الاثنا عشرية عن الصحابة ما لم يعلمه الله حين امتدحهم ثم تبين بعد ذلك أنهم غير أهل للمدح !!؟ هل كان مدحهم خطأ !!؟.

٢- القرآن يعدهم بالحسنى والشيعة الاثنا عشرية تنزلهم منزلة أهل النفاق !!!
قال سبحانه وتعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مَنكَرٌ مِّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أُولَئِكَ أَعْطُمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (٧٠٧)

(٧٠٥) سورة الفتح آية ١٨

(٧٠٦) ابن حزم في الفصل ٢٢٥/٤

(٧٠٧) سورة الحديد آية ١٠

فوعده الله عز وجل الصحابة الذين أنفقوا قبل الفتح وبعده بالحسنى، وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بالأمن من عذاب يوم القيامة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (٧٠٨)

فهل بدا لله بعد ذلك أن من قال فيهم هذه الآيات لا يستحقونها وأنهم ارتدوا على أعقابهم وسلبوا علياً حقه في الخلافة وفعلوا وفعلوا !! أم نقول: صدق الله في جميع أقواله وكذب من قال بغير قوله ؟

٣- القرآن يفتخر بهم والشيعية الاثنا عشرية تتبرأ منهم !!!

قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطُهُ فَتَازَرُوا فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (٧٠٩).

فهل ذكر الله أوصافاً كهذه لصحابة رسول الله في التوراة التي يقرأها اليهود، والإنجيل الذي يقرأه النصارى تعظيماً لشأن الصحابة وافتخاراً بهم كخير صحب لخير نبي وهو سبحانه يعلم أنهم سيرتدون وينقلبون على أعقابهم ويثبتوا عكس ما قيل فيهم في تلك الكتب السماوية لكي تُعطى الحجة بعد ذلك لليهودي والنصراني بأن يطعن في صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأن أصحاب ذاك النبي المبشر عندهم مذكورون بالإيمان والصلاح والتقوى

ونصرة الدين بينما أصحاب محمد مرتدون ومتقلبون على أعقابهم وهم ليسوا أشداء على الكفار ورحماء بينهم بل أشداء بينهم وأرأف بالكفار منهم بقرابة النبي عليه الصلاة والسلام !! هل كان الله يفتخر برجال لم يثبت على الإيمان منهم سوى سبعة !!؟

إن رجالاً كهؤلاء ممن لهثوا وراء الدنيا ونسوا نبيهم وكلام ربهم لعنة السماء أولى بهم فكيف يعدهم الله بالحسنى وبخير العاقبة !!؟ بل كيف يفاخر بهم الأمم السابقة (اليهود والنصارى) وهم ليسوا أهلاً للفخر بل للاستحياء !!؟

٤- الله يتوب عليهم ويغفر لهم ذلاتهم والشيعنة الاثنا عشرية لا تذكرهم إلا بتلك الزلات !!!

قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٧١٠)

وقال تعالى ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْكُمْ أَزْوَاجَهُمْ خَطَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ غَلِظَ أَلْفَاكُ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَاسٍ﴾ (٧١١) عسى الله أن يتوب عليهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٧١٤﴾ (٧١١)

فهذه الآيات تحدثت عن الصحابة وبينت سعة رحمة الله لمن أذنب منهم، وبينت كذلك إرادة الله ومحبه للتوبة عليهم وغفران ذنوبهم، وبينت بالمقابل ما يريده أرباب الشهوات والضلالة بأصحاب رسول الله من الميل.

ويُضاف إلى هذه الآيات العامة ما قاله تعالى فيمن أخطأ يوم أحد ففر من القتال كعثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴿٧١٢﴾

لكنك تجد الشيعة الاثني عشرية إلى اليوم يعيون عثمان بن عفان
ويذكرون من جملة هذه المعائب (فراهِه من أحد) !!

سبحان الله ... أما يكفي أن يعفو الله عنه؟!

من ذا الذي يستطيع أن يسلب العباد رحمة ربهم ويستبدل عفو الله لهم
بسخطه فيعيرهم بذنوبهم وأخطائهم التي تجاوز الله عنها وندموا هم عليها؟

لو أَنَّ الله عز وجل قد ملَّك أحداً من البشر خزائن رحمته لما رأينا أحداً
في الجنة ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿٧١٣﴾ .

لكن قف عند قول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾
وتفكر، من ذا الذي يجرو على مخالفة ما يريد الله، فيريد في قرارة نفسه أن
يفتك بهؤلاء الصحابة، لاعتاً كبارهم، شاتماً صغارهم، طاعناً في أعراض
أمهاتهم وأمهاتنا (أمهات المؤمنين)؟

أحسن طريقة لسب صحابة نبيك !!

ومن عجائب ما قرأت عن الصحابة ما قاله رجل يطلق عليه علماء
الشيعة الاثني عشرية اسم (عمدة العلماء والمحققين) وهو محمد نبي
التوسيركاني، ذاك الرجل الذي بلغ هذا المبلغ من العلم والتحقيق عند علماء
الشيعة الاثني عشرية ماذا يمكن أن يقول عن صحابة نبيه عليه الصلاة والسلام
وعن طرق إكرامهم ؟

(٧١٢) سورة آل عمران آية ١٥٥

(٧١٣) سورة الإسراء آية ١٥٥

يقول التوسيركاني في كتابه لثالي الأخبار ٩٢/٤ (اعلم أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال، فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مراراً بفراغ من البال، اللهم العن عمر ثم أبا بكر وعمر ثم عثمان وعمر ثم معاوية وعمر ثم يزيد وعمر ثم ابن زياد وعمر ثم ابن سعد وعمر ثم شمراً وعمر ثم عسكرهم وعمر. اللهم العن عائشة وحفصة وهنداً وأم الحكم والعن من رضى بأفعالهم إلى يوم القيامة)!!!

تباً لك هكذا سؤل لك شيطانك هذه الجهالات فأعماك عن الذكر . . .

انظر إلى الحقد وإلى أخلاقيات الخلاف . . . لو أن رجلاً مسلماً قال هذه الكلمات في كفار مكة لقلنا له (ما من خلق الإسلام أن تلتفظ بهذا ولا من آداب قضاء الحاجة أن يقضي المرء حاجته وهو يسب ويلعن) فكيف والكلام في أصحاب رسول الله وفي أصهاره وزوجاته؟!

إنه الحقد وإنها الضغينة وما تفعله في الصدور . . .

وكانني بالإمام محمد بن ضبيح بن السماك^(٧١٤) يرد على التوسيركاني ومن يحذو حذوه قائلاً " علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى ﷺ - وأن النصراني لا يسبون أصحاب عيسى - ﷺ - فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد - ﷺ - وقد علمت من أين أتيت، لم يشغلك ذنبك . . . أما لو شغلك ذنبك لخفت ربك، لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين، أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ولرجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين، فمن ثم عبت الشهداء والصالحين، أيها العائب لأصحاب محمد - ﷺ - لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب

محمد، فويحك ! لا قيام ليل ولا صوم نهار وأنت تتناول الأخيار، فأبشر بما ليس فيه البشري إن لم تتب مما تسمع وترى ". (٧١٥)

المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر) !!

ذكر يوسف البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) تحت ترجمة (الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي المشهور الآن بالمحقق الثاني) نقلاً عن نعمة الله الجزائري في صدر كتابه شرح غوالي اللثالي ما نصه (وكان - رحمه الله - لا يركب ولا يمضي إلا والباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومن على طريقتهما) !

ويبدو أن عادة لعن الشيخين كان تستهويه جداً إلى حد تصنيفه كتاباً في ذلك سماه (رسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ذكره البحراني من جملة مصنفاته. (٧١٦)

فعجباً لتلك القلوب كم فيها من أحقاد ...
لكن لا تعجب أيها القارئ من ذلك ففي الرواية القادمة ما هو أعجب
وأعجب ...

مخلوقات لا تعرف آدم ﷺ خلق أم لا ... لكنها تتبرأ من أبي بكر وعمر !!

ليس كل ما في كتاب (الكافي) صحيح ... هكذا يقول الأصوليون من الشيعة الاثني عشرية ويستشهدون عادة بفعل المجلسي في كتابه (مرآة العقول)

(٧١٥) رواه المعافى بن زكريا الجريفي في كتابه المجلسي الصالح (٣٩٢/٢) بأطول من هذا.

(٧١٦) لؤلؤة البحرين ص ١٥٣

الذي شرح فيه الكافي، فصحح بعض أحاديثه وضعف بعضها الآخر، وكلما ناقشت طالباً شيعياً من طلاب العلوم الدينية حول حديث في الكافي استشهد لي بتضعيف المجلسي له أو بتصحيحه إياه، لكن ماذا يمكن أن نقول ونحن أمام رواية رواها الكليني في الكافي وصححها المجلسي في مرآة العقول بل ورويت بأكثر من سند وأكثر من مصدر يفيد المعنى ذاته؟

عن عجلان أبي صالح قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: جعلت فداك، هذه قبة آدم عليه السلام؟ قال: نعم، ولله قباب كثيرة، ألا إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين، ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق، يرون من فلان وفلان!

قال المجلسي: قوله عليه السلام (من فلان وفلان) أي من أبي بكر وعمر. (٧١٧)

هكذا تمتزج الخرافة بالعقيدة، وتتجسد نزعات التشفي في أصحاب رسول الله!

فلا حول ولا قوة إلا بالله ...

تشبيه الاسترأبادي أم المؤمنين عائشة بحيوان!

لقد أثبت الله عز وجل لأم المؤمنين عائشة زوجة نبيه ﷺ مقاماً عرفه المسلمون ونص عليه مخالفوها.

قال عز من قائل ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٧١٨).

فعائشة هي أم المؤمنين بنص كتاب الله شاء الشيعة الاثنا عشرية أم أبوا،

(٧١٧) الكافي ج ٨ حديث رقم ٣٠١، قال المجلسي: صحيح (مرآة العقول ١٦٧/٢٦-١٦٨)

(٧١٨) سورة الأحزاب آية ٦

ولن يستطيع أحد محو هذه الآية لا من الأذهان ولا من الصدور ولا من رسم المصحف.

كانت أحب زوجاته له بعد خديجة بنت خويلد . . وإن حاول أحد سلبها هذا الحب كنحو سلبه إياها الفضائل التي ذكرت فيها، فلن يستطيع أحد سلبها الميثاق الغليظ الذي جمعها برسول الله ﷺ في بيت واحد وتحت سقف واحد بل في فراش واحد.

تلك الأم التي نالت من العقوق والكران لحقها ما لم تنله أم على وجه الأرض.

لكنها في نظر الإمام علي على خلاف ما يتوقعه الشيعة أنفسهم، فهو وإن اختلف معها في حرب يوم الجمل إلا إنه يجلبها ويعرف قدرها، قد ثبت عنه إكرامها وردّها إلى بيتها معززة مكرّمة، عارفاً لحقها ومقامها عند الله وعند رسول الله، وهذا منصوص عليه في كتب السنة والشيعة.

وإليك من كتب الشيعة الاثني عشرية هذه الرواية:

روى النوري الطبرسي في المستدرک عن أمير المؤمنين أنه لما هزم أهل الجمل، جمع كل ما أصابه في عسكرهم مما أجلبوا به عليه، فختمه وقسم أربعة أخماسه على أصحابه ومضى^(٧١٩)، فلما صار إلى البصرة قال أصحابه: يا أمير المؤمنين، أقسم بيننا ذراريهم وأموالهم، قال: ليس لكم ذلك، قالوا: وكيف أحلت لنا دماؤهم ولم تحلل لنا سبي ذراريهم؟ قال: حاربنا الرجال فقتلناهم، فأما النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهن، لأنهن مسلمات، وفي دار هجرة، فليس لكم عليهن من سبيل، وما أجلبوا به واستعانوا به على حربكم وضقه عسكرهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله، لذراريهم وعلى نسائهم العدة، وليس لكم عليهن ولا على

(٧١٩) المتفق عليه أنه لا تُغنم أموال البغاة ولا تُخمس لأنهم مسلمون بل ولا يجوز إتلافها وإنما يجب أن ترد إليهم، لكن ينبغي أن يجس الإمام أموالهم دفعا لشرهم بكسر شوكتهم حتى يتوبوا.

الذراري من سبيل، فراجعوه في ذلك، فلما أكثروا عليه قال: هاتوا سهامكم، فاضربوا على عائشة أيكم يأخذها وهي رأس الأمر؟! فقالوا: نستغفر الله، قال: فأنا أستغفر الله، فسكتوا ولم يتعرض لما كان في دورهم ولا لنسائهم ولا لذراريهم (٧٢٠).

قلت: ولو كانت أم المؤمنين عائشة عند أحد أدعياء التشيع اليوم لما عرف لها حقها ولا مكانتها، ولربما كان أول من يُفتي بجواز سبها وتعذيبها بل وقتلها.

لكن أيها المسلم... يا من تشهدت بشهادة أن (لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله) .. أتراك تتصور رجلاً يدعي الإسلام يستطيع أن يخط بقلمه وصفاً قبيحاً لزوجة النبي الذي يدعي أنه يؤمن به؟ واصفاً تلك الأم الطاهرة بأنها (حيوان ضعيف) !!

روى شرف الدين الحسيني الاسترابادي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - عن سالم بن مكرم عن أبيه قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال: هي الحميراء (أي عائشة).

ثم قال الاسترابادي: (ومعنى هذا التأويل إنما كنى عنها بالعنكبوت، لأن العنكبوت حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت وأضعفها لا يجدي نفعا ولا ينفي ضرراً وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلته حظها وعقلها ودينها اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها وعداوتها لمولايها بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف لا يجدي لها نفعا بل يجلب عليها ضرراً في الدنيا والآخرة لأنها بنته على شفا جرف هار فانهار بها في نار جهنم، هي ومن أسس لها بنيانه وشد لها أركانه وعصى في ذلك ربه

وأطاع شيطانه واستغوى لها جنوده وأعوانه فأوردتهم حميم السعير ونيرانه، وذلك جزاء الظالمين والحمد لله رب العالمين^(٧٢١).

لست هنا في مقام الدفاع عن أم المؤمنين عائشة، فمقام تلك الأم وشرفها محفوظ بحفظ مقام زوجها محمد ﷺ، والطعن فيها طعن في الرجل الذي ارتضاها زوجة له!!

كما إنني لست بصدد مناقشة الدعوى التي ادّعاها الرجل، لأنّ النقاش مع أناس عشعش الغل في قلوبهم وتربوا على البحث عن ما يشفي غليلهم بأي طريقة كانت ولو بالتلاعب بآيات القرآن، نقاش لا جدوى من ورائه.

لكنني أوجه رسالة إليك أيها العاقل . . في أن تبرأ إلى الله من العقيدة التي تتبنى مثل هذا الفكر . . لا تكلف نفسك ما لا تطيقه . . . أترك تطبيق موقفاً يكون رسول الله ﷺ خصمك فيه؟ . . . يقتص لزوجه منك وتبرأ من فعلك ويتخلى عنك ويتركك وحيداً مع الذين تسوقهم الملائكة إلى النار، وهي تقول لرسول الله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

(٧٢١) تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٢٢ وبحار الأنوار ٣٢/٢٨٦ نقلاً عنه وعن صاحب كنز الفوائد.

التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم

الصالح يخطئ ويتعثر بعض الأحيان لكنه سرعان ما يتدارك نفسه ويقف مستوياً من جديد، ذاك رجل عرف الصلاح وحفظ له صلاحه مقامه عند الله وعند الناس رغم تعثره، وما أخل بمكانته ولا بشرفه خطأ أو معصية بشرية اعتيادية لما كانت العصمة في أنبياء الله ورسله، فكيف بمن قال الله عنهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَايْمَنَ وَرَزَيْنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (٧٢٢) ؟

هل يمكن أن يُنظر إلى هذه الفئة المزكاه على أنها منافقة وراعية لمصالحها الشخصية وأنها بكبيرها وصغيرها إلا قلة لا تتعدى اليد الواحدة مرتدة كافرة؟! كل ذلك من أجل الإمامة التي لا يوجد نص واحد صريح فيها لا يقبل النقاش؟! لا

رصيد هذه الفئة المؤمنة المجاهدة من هذا الجهاد العظيم ومن الإسلام الذي نشره وأوصلوه إلينا وإلى الأمم أن يُطعن فيهم وفي نزاهتهم وفي عقيدتهم وفي كل شيء !!

ولذلك قيل قديماً (بعض الناس مثل الذباب لا يقع إلا على الجرح)، وهذا دأب من لا يعرف في غيره إلا أخطاءهم ليشتنع عليهم ويرميهم بالتهم، ولا يريد أن يرى فيمن يخضه ويلعنه إلا كل الشر... إنها منهجية البحث في القمامة كما يصفها المفكرون اليوم.

ولا يخفى على المؤمن النجيب أي بعد عن تعاليم الإسلام وأخلاقه

تلك المهارات التي تجعله ينظر نظرة طعن ونقيصة إلى الصالحين بل إلى أناس تربوا على يدي رسول الله ﷺ وتخرجوا من مدرسته !!

إن تربية الإسلام علمتنا أن المسلم طيب السريرة والقلب كما هو طيب اللسان والتعامل، وأنه أبعد ما يكون عن جمع الزلات وتتبع العثرات لأن خلقه الإسلامي يترفع به عن هذا المستوى.

فالرسول الكريم ﷺ هو القائل (إن المؤمن ليس باللعان والطفان ولا الفاحش ولا البذيء) (٧٢٣).

وما أجمل ما قاله ابن تيمية رحمه الله ناصحاً تلميذه ابن القيم: (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممراً للشبهات، واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل له ما لا يحتمل لغيره ويُعفى عنه ما لا يُعفى عند غيره، فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث).

لكن حينما يتشرب القلب هذه الشبهات ولا ينطق إلا بها، ضارباً بجميل الصحابة عليه عرض الحائط، ناكراً لجهادهم ودعوتهم وللآيات القرآنية المزيكية لهم، فإن مكيال الدنيا قبل الآخرة كفيلاً بأن يُظهر له من الحق والحجة الباهرة ما لم يخطر على قلبه.

وبالمكيال الذي تكيل تُكال

إن من يكيل الناس بمكيال عليه أن يقبل أولاً أن يكيل نفسه وأحبابه بالمكيال ذاته الذي يكيل به الآخرين . . . كي يتبين له كم يظلم عدوه ويتجنى عليه دون أن يشعر!

وقد قيل عند أولي الألباب: (كما تدين تُدان وبالمكيال الذي تكيل تُكال)، ذلك أن السهم المسموم يقتل صاحبه أيضاً إن جاز له أن يقتل الآخرين!

ومن عادى أولياء الله عز وجل فقد آذنه الله بالحرب وبهتك ستره وبالفضيحة يوم يلقاه .

فهؤلاء الذين يتصيدون العثرات لصحابة رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام الذين دافعوا عنه ونصروه وتركوا أهليهم وأموالهم في مكة مهاجرين في سبيل الله إلى المدينة، ويتصيد للأنصار الذين تقاسموا مع إخوانهم المهاجرين لقمة العيش من أجل الله عز وجل ومن أجل الإسلام، لا بد لهم أن يروا أي ألم وأي جريمة يرتكبون في حق الإسلام وفي حق أنفسهم إذا ما وقفوا يرون السهام التي يجرحون بها الأبرياء هي نفس السهام التي تجرح من يحبون أو من يدعون حبه .

ولو أن رجلاً من الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي بن أبي طالب بقي الغل في قلبه فأعماه عن رؤية علي بن أبي طالب الحقيقي وأراد أن ينظر إليه بنفس نظرة الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر وباقي الصحابة ويتشفى فيه، فأمسك بيده القلم وبدأ ينقّب في سيرة هذا الإمام العطرة عن خطأ أو ذنب أو زلة لسان لأظهر لك صورة مختلفة تماماً عن صورة هذا الرجل العظيم !!

فبالطريقة ذاتها التي يستخدمها الشيعة الاثنا عشرية في إظهار أبي بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة بمظهر المبدلين لشرع الله المغيرين لسنة رسول الله يمكن لرجل من النواصب أن يُظهر علماً بهذه الصورة !!

إننا على يقين بأننا أحقر من أن نقسم علي بن أبي طالب . . . ذاك الرجل

العظيم الذي خالط الإيمان قلبه وتجسد في حياته . . . لكنني أريد من القارئ المنصف أن يتلمس المعاني التي أريدها من طرح هذه الفكرة.

رؤية ناصبي للإمام علي

لنفترض الآن أن ذاك الناصبي بدأ ينقب في كتب الشيعة الاثني عشرية دون غيرها، ويتصيد العثرات ويعنون لكل ما يسطره من روايات بعناوين توحى بمضامينها حسب فهمه فإن ما سيجده هو الآتي:

١- الإمام علي والذين

فمن الأمور التي سيقف عليها هذا الناصبي الخبيث المتصيد للعثرات حديث رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ٣١٧/١٨ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعوذ بالله من الكفر والدين، قيل: يا رسول الله، أتعذل الدين بالكفر؟ قال: نعم.

فيأتي برواية شيعية أخرى رواها الحر العاملي عن السيد علي بن طاوس بإسناد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف فقضاها عنه وباع بيعة له بثلاثمائة ألف فقضاها عنه (٧٢٤).

ويقول لك الناصبي: انظر . . هذا رسول الله ﷺ يعذل الدين بالكفر، وهذا علي يموت وعليه دين، بالضبط كما يفعل الشيعة الاثنا عشرية عادة مع أبي بكر وعمر وباقي الصحابة، لا يريد المرء منهم أن يتفهم النصوص ولا أن يجمع بينها ولا أن يحسن الظن ولا أن يعرف لهؤلاء الصحابة فضلهم ويعلم أنهم بشر يخطئون ويصيبون.

فأما الشيعي الاثنا عشري فسيقف مبهوراً أمام هذا الناصبي الخبيث . . كل ما سيفعله أحد أمرين: إما تكذيب الروايات (السابقة منها واللاحقة) أو

شتم الناصبي ولعنه، لأنه لن يستطيع الطعن في منهجية ذاك الناصبي، فالمنهجية بينهما مشتركة، هذا يطعن في علي ويستخدم النصوص بغير حق، وذاك يطعن في أبي بكر وعمر والبقية ويستخدم النصوص بغير حق فيهم!

فإن قال له الشيعة (الإمام علي له من الفضائل كذا وكذا فكيف تقول عنه هذا وتحمل النصوص ما لا تحمل) فسيقول له الناصبي (ليست مشكلة، أنتم تناسيتم فضائل أبي بكر وعمر وطعنتم فيهما ولم تجدوا حرجاً في ذلك، فما الحرج في فعلي؟ وعلي عندي ممن لا يدري رسول الله ما أحدثوا بعده، أم أنكم تكيلوننا نحن النواصب وتكيلون أهل السنة وسائر الفرق بغير ما تكيلون به أنفسكم؟).

٢- إهانة اسم الله!

روى شيخ القميين عبد الله بن جعفر الحميري في كتابه (قرب الإسناد ص ١٥٤) عن جعفر عليه السلام عن أبيه الباقر قال: (كان نقش خاتم أبي محمد بن علي عليه السلام: العزة لله جميعاً، وكان في يساره يستنجي بها، وكان نقش خاتم علي عليه السلام: الملك لله، وكان في يده اليسرى يستنجي بها).

فيقول الناصبي: انظر .. هذا هو إمامكم علي يهين اسم الله بهذه الصورة، يستنجي باليد التي وضع فيها خاتماً عليه (الملك لله) ! وهذا هو الكفر بعد الإيمان .

أما الشيعة الاثنا عشري فلن يستطيع أن يرد على هذا الناصبي إلا بتكذيب للرواية وشتم للناصري .

وسيرد عليه الناصبي قائلاً: سبحان الله ! .. ها أنتم تقبلون كل الروايات التي تطعن فينا نحن النواصب، وتقبلون الروايات التي تطعن في أهل السنة، وتقبلون الروايات الطاعة في أبي بكر وعمر وعثمان والزيبر وطلحة وغيرهم، فما الذي جعل الروايات الطاعة في علي دائماً ضعيفة مكذوبة، والروايات الطاعة فينا وفي غيرنا دائماً صحيحة، اللهم إلا الهوى!

وهكذا يفعل الهوى في أصحابه، ولو التزم الفريقان الإنصاف وتقوى

الله في تحري الحق ودراسة أسانيد الروايات حق الدراسة لما وجدنا من يطعن في صحابي.

٣- سباب وشتم بالفاظ لا تليق

وسيمر الناصبي برواية أخرى ذكرتها كتب الشيعة الاثني عشرية عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: قامت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين وهو على المنبر فقالت: هذا قاتل الأحبة، فنظر إليها فقال لها: يا سلفع يا جريئة يا بذية يا مذكرة يا التي لا تحيض كما تحيض النساء يا التي على منها ^(٧٢٥) شيء بين مدلى ^(٧٢٦).

فسيقول الناصبي للشيعة الاثني عشري: انظر إلى هذا الكلام البذيء .. أتريد أن تقتعني أن من ينطق بمثل هذه الكلمات يستحق الإمامة؟

ونحن نقول: حاشا علينا أن يتلفظ بمثل هذه الكلام البذيء ولكن هذا ما ترويه كتب الشيعة الاثني عشرية عن الأئمة المعصومين، ترى لو جاءت رواية في مثل هذا المعنى مروية عن أبي بكر أو عمر أما كان الشيعة الاثنا عشرية قد أقاموا الدنيا وأقعدوها!!

إنه البغي على الناس ... وأسرع ما يعاقب عليه الله هو البغي .. فالدتان لا يموت.

والعجب كل العجب أن يأتي عالم شيعي كبير كالشيخ عبد الله دشتي لمثل هذه الرواية فيصفها بأنها من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام!! فماذا ترك هؤلاء إذن لأعداء الإمام علي؟!

يقول في كتابه (النفيس في بيان رزية الخميس) ص ٣٠٦ ما نصه: (والرواية تُذكر عند ذكر كرامات أمير المؤمنين (عليه السلام)) إذ أخبر المرأة بشيء

(٧٢٥) أي على فرجها

(٧٢٦) بحار الأنوار ٢٩٣/٤١

مستور عن الناس بل في آخر الرواية قالت: "يا ويلها اطلع منها علي بن أبي طالب (عليه السلام) على شيء لم يطلع عليه إلا أُمِّي أو قابِلَتِي".

وأي كرامة في أن ينسب للإمام علي مثل هذا الهراء؟!

إن هذه الروايات وغيرها الكثير مما أعرضت عنه خشية الإطالة ستجعل الناصبي المتعصب المتحامل على الإمام علي يتهمه زوراً وبهتاناً بأنه ممن ابتدع وأحدث في دين الله، وستكون حجته في ذلك أن الروايات التي ذكرها هي روايات شيعية إثني عشرية لا دخل للنواصب ولا أهل السنة ولا المعتزلة ولا أي طائفة بها بل هي شيعية اثني عشرية صرفة.

إن نظرة عوراء لرجل مؤمن مجاهد مبشر بالجنة كتلك التي رأيناها كفيلة بأن تستوقفك أيها الشيعي المنصف.

إن هذه النظرة العوراء التي جعلت فرقة كالخوارج تطعن في الإمام علي على كل ما يُنسب له صحيحاً كان أم ضعيفاً، متناسية فضله وتضحياته للإسلام وطاقته لله وللرسول وجهاده مع الصحابة إلى حد أن باتت تلك الفرقة تكفره وتلعنه وتطعن فيه ليل نهار!!

هذه النظرة العوراء في حقيقتها هي أخت شقيقة لنظرة عوراء أخرى لا زالت الشيعة الاثنا عشرية تنظر بها إلى صحابة رسول الله الذين قدموا للإسلام ما قدموا، وضخوا بأرواحهم وأموالهم ولطخوا الأرض بدمائهم في سبيل رفعة هذا الدين، حتى لا يكاد كتاب شيعي يخلو من طعن في صحابي من صحابة رسول الله، وكأن تلك الفئة المختارة لصحبة خاتم الأنبياء والمرسلين لم تكن إلا فئة تجري وراء الدنيا ووراء مصالحها وأهوائها.

عجباً لأولئك النفر الذين يتصيدون العثرات لأصحاب رسول الله !

أما تفكروا في ذنوبهم؟ أما يخافون من سوء العاقبة والمنقلب وهم يعادون الأخيار ويتهمونهم بأشنع التهم؟!

خاتمة

وهنا توقف قلبي عن الكتابة وفي محبرتي ما يُسطر الكثير ...
لقد تجلت لي الحقيقة بكل أطرافها.
أبصرتها حينما أزلت الغشاوة عن عيني ... حينما آليت على نفسي أن
أعرف الحق بالدليل.
أبصرتها حينما علمت أن الحقيقة لا تُعرف بالعاطفة والحماسة بل
بالدليل والبرهان.
أبصرتها حينما وازنت بين ما تطرحه العقيدة الشيعية وبين ما يطرحه
القرآن وتطرحه السنة النبوية.
أبصرتها حينما علمت أن رسول الله ﷺ لن يسامحني على كلمة سوء
أقولها في زوجاته وأصحابه وآل بيته.
أبصرتها حينما علمت أن الغلو في الصالحين هو داء الأمم السابقة الذي
به تنكبوا عن الطريق.
فيا أيها الشيعي المنصف الحر ... هذه حقائق تتحرك لها الجبال
الرواسي ولست أطالبك بأكثر من التفكير فيها ووزنها بميزان العقل والمنطق.
فكر ملياً وتفحص كلامي تفحص الباحث عن الحق، ولا يذهب بك
التعصب بعيداً وأنت تقرأ قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۖ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا
كَبِيرَا﴾ (١٨).
فلا تكن ممن قال الله فيهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ﴾ حين جعلوا أحبارهم ورهبانهم حكماً على الدين ولم يجعلوا الدين
حكماً عليهم، وجعلوا أقوال علماءهم وتشريعاتهم حكماً على حكم الله ورسوله.
هذه كلمات ناصح ... في زمن ندر به الناصحون.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد الخضر

١٩ رمضان ١٤٢٣ هـ

٢٤/١١/٢٠٠٢ م

فهرس الكتاب

٣	إهداء
٥	مقدمة
٧	الفصل الأول: تأملات
٩	- الوحدة التي نريد
١١	- دين موروث
١٣	- وفي أنفسكم أفلا تبصرون
١٤	- حبك للشيء يعمي ويصم
١٥	- هذا ديني وذاك مذهبي
١٦	- سهام رمتني وأخرى سترميني
٢٠	- نحن مع الحق وإن قاله خصومنا
٢٢	- لماذا لا نتحاور؟
٢٣	- نريده حواراً من أجل الحقيقة
٢٥	- من هنا كانت البداية
٢٨	- في السيدة زينب
٣٣	الفصل الثاني: في حب أهل البيت
٤٠	- حديث الثقلين
٥١	- الوصية الخالدة
٥٣	- الدعاء هو العبادة
٥٤	- التوسل شيء ودعاء غير الله شيء آخر
٥٨	- الاستغاثة في ميزان القرآن
٦٩	- الاستغاثة في ميزان العترة الطاهرة
٧٢	- شبهات حول بعض الأحاديث
٧٦	- يا الله أم يا علي ويا حسين؟!
٨٢	- وقفة مع دعاء (حلال المشاكل)
٨٣	- الاستغاثة بالزهراء والأئمة أم بخالقهم؟
٨٩	- ماذا بقي لرب العالمين؟

- الغلو في روايات الشيعة الاثني عشرية ٨٩
- الغلو في أمهات كتب الشيعة ٩٣
- كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟ ٩٧
- طلاس في كتب الأدعية والاستشفاءات! ١١٧
- الفصل الثالث: الخلافة والإمامة ١٢٣
- لا ينال عهدي الظالمين ١٣٢
- نصوص شيعية تشترط العدل في الحاكم لا العصمة ١٣٩
- الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً ١٤٢
- لماذا لم يذكر الأئمة في القرآن؟ ١٤٦
- فضائل لا تنصيص على إمامة ١٤٨
- القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية ١٥٠
- القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته ١٥٢
- نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدها الشيعة الاثنا عشرية ١٥٨
- نهج البلاغة ينفي أن تكون الإمامة في أهل البيت!! ١٦١
- عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية! ١٦٢
- مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من القرآن ١٦٥
- آية «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» ١٦٥
- آية التطهير وحديث الكساء ١٧٥
- آية المباهلة ١٨٥
- مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية ١٩٣
- حديث غدير خم ١٩٣
- حديث الاستخلاف على المدينة ٢١٠
- حديث الطائر ٢١٦
- حديث الدار ٢٢١
- حديث (علي مني وأنا من علي) ٢٢٦
- أحاديث الاثني عشر إماماً ٢٢٧
- الفصل الرابع: مع صحابة رسول الله ٢٣٣
- حوار مع زميل ٢٣٦

- المرء على دين خليله ٢٣٩
- ماذا عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؟ ٢٤٢
- حوار حاسم في القضية ٢٤٥
- مناقشة بين الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) وبين مبغض للصحابة ٢٤٧
- الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية ٢٤٩
- شرف صحبة رسول الله ٢٥٣
- هل في الصحابة منافقون؟ ٢٥٦
- علامة قف ٢٧٠
- عدالة الصحابة ٢٧٣
- عدالة السيرة لا تعني العصمة ٢٧٦
- محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة ٢٧٧
- بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة) ٢٧٨
- ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟ ٢٨٢
- روايات شيعية منسية في إثبات عدالة الصحابة ٢٨٤
- عدالة الصحابة مستحيلة وعدالة كبار علماء الشيعة الاثني عشرية لا غبار عليها! ٢٨٦
- متلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟! ٢٩٠
- من المرتد صحابة رسول الله أم هؤلاء؟ ٢٩٣
- هل بشر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟ ٢٩٦
- نماذج حية للمزاجية في تفسير الآيات ٢٩٨
- آية آل عمران ٢٩٨
- آية المائدة ٣١٠
- حديث المذاذة عن الحوض ٣١٨
- حب الإمام علي وأبنائه للصحابة ٣٢٤
- نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب! ٣٢٥
- مالك الأشر والشيخان أبو بكر وعمر ٣٢٨
- موقف الإمام علي بن الحسين من الصحابة ٣٢٩
- موقف الإمام جعفر الصادق من الصحابة ٣٣٠

- من هو جد جعفر الصادق؟ ٣٣٠
- شهداء مع الحسين في كربلاء مجهولون عند عامة الشيعة ٣٣١
- شهادة النبي لأبي بكر وعمر بالإيمان ٣٣٤
- حب رسول الله صلى الله عليه وآله لعثمان ٣٣٤
- صحابة رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها .. ٣٣٦
- صورتان متضادتان ٣٣٨
- أحسن طريقة لسب صحابة نيك!! ٣٤٢
- المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر)!! ٣٤٤
- مخلوقات لا تعرف آدم (ع) خلق أم لا.. لكنها تتبرأ من الشيخين! ٣٤٤
- تشبيه الاسترأبادي أم المؤمنين عائشة بحيوان! ٣٤٥
- التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم ٣٤٩
- وبالمكيال الذي تكيل تُكال ٣٥١
- رؤية ناصبي للإمام علي ٣٥٢
- خاتمة ٣٥٦